Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

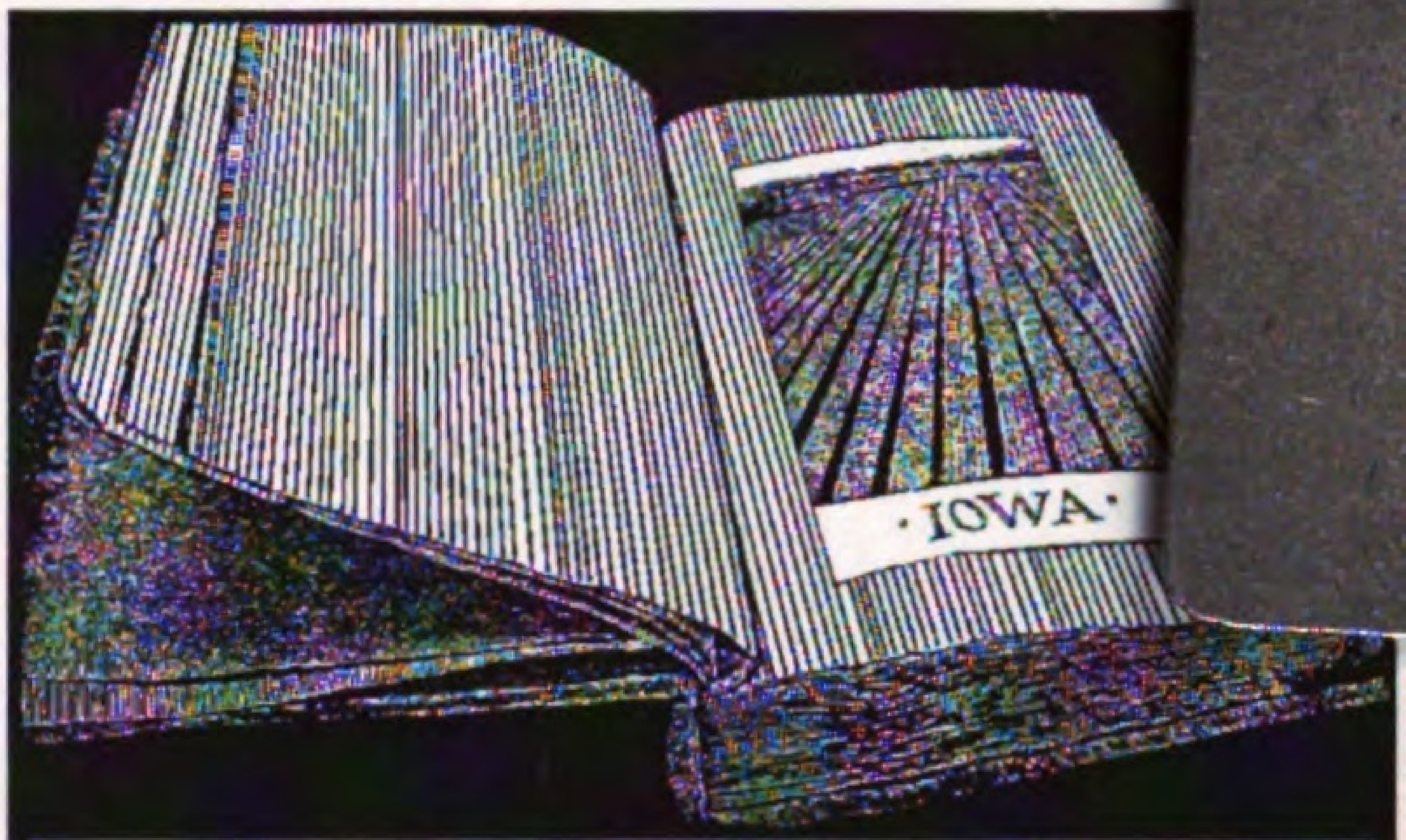

THE UNIVERSITY OF IOWA LIBRARIES

From the Collection of
Darrell I. Dykstra
Professor of History
Western Illinois University
1977-2006

Digitized by Google

Original from
UNIVERSITY OF IOWA

UNIVERSITY OF IOWA
3 1858 058 957 105

DATE DUE

~~JUN 28 2012~~	
~~APR 18 2012~~	

DEMCO, INC. 38-2931

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

DC
707
.T34
1849

Digitized by Google

Original from
UNIVERSITY OF IOWA

*(فهرسة تخليص الابريز * فى تلخيص باريز)*

	صحيفه
الخطبة	١
المقدمه	٥
الباب الاول من المقدمة فى ذكر الارتحال الى باريس	٥
الباب الثانى من المقدمة يتعلق بالعلوم والفنون المطلوبة	١٠
الباب الثالث من المقدمة فى ذكر وضع البلاد الافرنجية ونسبتها الى غيرها من البلاد ومزية الامة الفرنساوية على ماعداها من الافرنج الى اخره	١٢
الباب الرابع من المقدمة فى ذكر رؤساء هذه السفرة	٢٠
المقصد فى مدة السفر من مصر الى باريس ومارأيناه من الغرائب فى الطريق	٢١
المقالة الاولى	٢٢
الفصل الاول فى الخروج من مصر الى دخول ثغر اسكندرية	٢٢
الفصل الثانى فى ذكر نبذة تتعلق بمدينة اسكندرية	٢٣
الفصل الثالث فى ركوب البحر المالح المتصل بثغر اسكندرية	٢٦
الفصل الرابع فيما رأيناه من الجبال والبلاد والجزائر	٢٨
المقالة الثانية فيما كان من دخول مرسيليا الى دخول مدينة باريس	٣٢
الفصل الاول فى مدة اقامتنا فى مدينة مرسيليا	٣٢
الفصل الثانى فى الخروج من مرسيليا الى دخول باريس وفى المسافة بينهما	٣٨
المقالة الثالثة فى دخول باريس وذكر جميع ماشهدناه وبلغنا خبره من احوال هذه المدينة	٣٩
الفصل الاول فى تخطيط باريس من جهة وضعها الجغرافى وطبيعة ارضها ومزاج قطرها	٣٩
الفصل الثانى فى الكلام على اهل باريس وصفاتهم	٥٢

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA
The University of Iowa Libraries

صحيفه

الفصل الثالث فى تدبير الدولة الفرنساوية وهو يشتمل ايضا على اصول قوانين الفرنساوية ٧١
الفصل الرابع فى عادة سكنى اهل باريس وما يتبع ذلك ٨٥
الفصل الخامس فى اغذية اهل باريس وفى عوايدهم فى المآكل والمشارب ٩٠
الفصل السادس فى ملابس الفرنسيس ٩٣
الفصل السابع فى منتزهات باريس ٩٥
الفصل الثامن فى سياسة صحة الابدان بمدينة باريس ١٠١
الفصل التاسع فى الكلام على اعتناء باريس بالعلوم الطبية وفى ذكر نبذة من قانون الصحة تسمى نصيحة الطبيب مشتملة على مواد ١٠٢
المادة الاولى فى وصية صحاح البدن ١٠٥
المادة الثانية فيما يصنع حين اخذ المرض فى الظهور ١٠٦
المادة الثالثة فيما يصنع حين تمام ظهور المرض ١٠٨
المادة الرابعة فى معالجة الناقه ١٠٩
المادة الخامسة فى وصايا عامه على الصحه ١١٠
المادة السادسة فى معالجات لجملة علل وامراض ١١١
الفصل العاشر فى فعل الخير بمدينة باريس ١٢٠
الفصل الحادى عشر فى كسب مدينة باريس ومهارتها ١٢٣
الفصل الثانى عشر فى دين اهل باريس ١٢٧
الفصل الثالث عشر فى ذكر تقدم اهل باريس فى العلوم والفنون والصنايع وذكر ترتيبهم وايضاح ما يتعلق بذلك ١٣٠
المقالة الرابعة فيما كنا عليه فى الاجتهاد والاشتغال بالفنون المطلوبة لتحصيل غرض ولى النعم ١٤٦

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

صحيفه

الفصل الاول فيما حصل لنا اول الامر من الترتيب فى القراءة والكتابة وغيرهما ١٤٦
الفصل الثانى فى تدبيرنا فى شان الدخول والخروج ١٤٨
الفصل الثالث فى ترغيب ولى النعم لنا فى الشغل والاجتهاد ١٥٠
الفصل الرابع فى بعض مراسلات بينى وبين بعض كبار علماء الفرنساوية غير مسيو جومار ١٥٢
الفصل الخامس فى ذكر ما قرأته من الكتب الى آخره ١٥٨
الفصل السادس فى الامتحانات التى صنعت معى فى مدينة باريس ١٦٣
المقالة الخامسة فى ذكر ما وقع من الفتنة فى فرانسا ١٦٧
الفصل الاول فى ذكر مقدمة يتوقف عليها ادراك علة خروج الفرنساوية عن طاعة ملكهم ١٦٧
الفصل الثانى فى ذكر التغيرات التى حصلت وما ترتب عليها من الفتنة ١٦٩
الفصل الثالث فيما كان يصنعه الملك فى هذه المدة وفى رضائه بالصلح بعد فوات اوانه ١٧٤
الفصل الرابع فيما انحط عليه رأى اهل المشورة من تولية ملك آخر ١٧٧
الفصل الخامس فيما حصل للوزراء الذين وضعوا خطوط ايديهم على الاوامر السلطانية التى كانت السبب فى زوال مملكة الملك الاول ١٨١
الفصل السادس فيما كان بعد الفتنة وفى سخرية الفرنساوية على شرل العاشر وفى عدم اكتفاء الفرنساوية بذلك ١٨٤
الفصل السابع فيما كان من دول الافرنج بعد سماعهم بعزل الملك الاول الخ ١٨٦
المقالة السادسة فى ذكر نبذات من العلوم والفنون المسرودة فى الباب الثانى من المقدمة ١٨٨
الفصل الاول فى تقسيم العلوم والفنون على طريق الافرنج ١٨٨

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

صحيفه

الفصل الثانى فى تقسيم اللغات من حيث هى وفى ذكر اصطلاح اللغة
الفرنساوية وفيه نبذة من مختار الاشعار ١٨٨
الفصل الثالث فى فن الكتابة ١٩٥
الفصل الرابع فى علم البلاغة المشتمل على البيان والمعانى والبديع ١٩٧
الفصل الخامس فى المنطق ١٩٨
الفصل السادس فى المقولات العشرة المنسوبة الى ارسطو ٢٠١
الفصل السابع فى علم الحساب المسمى باللغة الافرنجية ارتياطيقا وفيه
يسير من الهندسة والجغرافيا والتاريخ ٢٠٣
الخاتمة من رجوعى من باريس الى مصر وفى عدة امور مختلفة ٢٠٨

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

(بيان الخطا والصواب)

خطا	صواب	سطر	صحيفه
التمه	الهمه	١٤	٥٨
يهزويه	يهذيه	١١	١٩١

Digitized by Google

Original from
UNIVERSITY OF IOWA

هذه رحلة الفقير الى الله تعالى

رفاعة بدوى رافع الطهطاوى

الى ديار فرانسا المسماة

بتخليص الابريز الى

تلخيص باريز اوالديوان

النفيس بايوان

باريس

تقريظ شيخنا شيخ الاسلام الشيخ العطار شيخ الجامع الازهر على هذا الكتاب

سبحان من أظهر عجائب مصنوعاته * فى اختلاف اوضاع مخلوقاته * وتباين انواع العالم واختلاف هيآته * يرى ذلك بعين الاستبصار * من ولج فى البحار واقتحم القفار * فان السفر مرآة الاعاجيب * وقسطاس التجاريب * وقد اودع فى هذه الرحلة مؤلفها الاديب الاريب * والفاضل الذكى اللبيب * ماشاهده من عجائب تلك البلاد * واحوال هؤلاء العباد * مايحرض العاقل على الاسفار * والتنقل فى الامصار * حتى يزداد بذلك علما يقينا * ويفوق بالاحاطة بأحوال عباده فى الزمن اليسير بما لايدركه القاطن بداره ولو عاش من السنين مئينا

حرره الفقير حسين العطار

خادم العلم بالازهر

عفا الله

عنه

Digitized by Google

Original from
UNIVERSITY OF IOWA

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

سبحان من سير اقدام الانام الى ما مضى فى سابق علمه * ويسر للانسان الاقدام على محتم قضائه وحكمه * فلا محيص لقوى وضعيف * ووضيع وشريف * عما جرى فى ام الكتاب * ولا مفر لغنى وفقير * وخطير وحقير * عن الاقتراب الى مطوى ذلك الحجاب * احمده سبحانه وتعالى حمد من ابتلاه فصبر * واغناه فشكر * واشكره شكر من توجه بجنانه للسير الى مرضاته * فتنزه فى رياض القبول وجناته * واصلى واسلم على من سارت ركائب شوقه الى مدبره * واشارت مواكب حسن خلقه الى طيب عنصره * سيدنا محمد الذى سافر الى الشام وهاجر الى المدينه * وسار من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وكان جبريل امينه * وعلى آله واصحابه * وعترته واحبابه * واتوسل الى الحضرة العلية * بالحضرة المحمدية * فى نشر ألوية العز والعدل * وكمال الجاه والفضل * على سائر الاقطار المصرية * وجميع مافيها من الاهالى والرعية * باشراق طالع التدبير العجيب * والتشييد الغريب * الوزير الاعظم * والدستور المكرم المفخم * نادرة وزراء الزمان * وشاردة امراء الاوان * من احيى العلوم باجتهاده * ونصب رسوم الاسلام بغزوه وجهاده * صاحب العلم المنيف * وفاتح الحرم الشريف * حضرة افندينا ولى النعم * عظيم الشيم * الحاج محمد على باشا

Digitized by Google · Original from UNIVERSITY OF IOWA

بلغه الله تعالى مايشاء وماشا * امين

* ابقاه ربى بخير * وعزة وسعاده *

* بجاه خير البرايا * والآل اهل السياده *

امابعد فيقول العبد الفقير الى امداد سيده ومولاه * السائر حيث وجهه ووﻻه * المعتمد على الكريم النافع * رفاعة ابن المرحوم السيد بدوى رافع * الطهطاوى بلدا الحسينى القاسمى نسبا * الشافعى مذهبا * لما من الله سبحانه وتعالى على بطلب العلم بالجامع الازهر * والمحل الانور * الذى هو جنة علم دانية الثمار * وروضة فهم يانعة الازهار * كما قال استاذنا العلامة العطار *

* لازم اذا رمت الفضائل مسجدا * بشموس انواع العلوم تنورا *

* فيه رياض العلم اينع زهرها * فلذلك المعنى تسمى الازهرا *

وقال بعضهم واحسن بيتين * معرضا بعلماء الحرمين

* ومن يغترب عن ازهر العلم فليخب * على بعد دار العلم والعلماء *

* ففيه بحور طاميات وغيره * بحور عروض لاتجود بماء *

وحصلت مايسر به على الفتاح مما يخرج به الانسان من الظلام * ويمتاز به عن مرتبة العوام * وكنت من معشر أشراف جارت عليهم الايام بعد أن أجرت غيثها فى ديارهم * واشارت الى نصبهم الاعوام بعد أن نصبت اعلام راحتها فى مزارهم * ومن المركوز فى الاسماع فى القديم والحديث * وعليه الاجماع بعد الكتاب والحديث * أن خير الامور العلم * وانه اهم كل مهم * وأن ثمرته فى الدنيا والآخرة على صاحبه تعود * وأن فضله فى كل زمان ومكان مشهود * سهل لى الدخول فى خدمة صاحب السعادة اولا فى وظيفة واعظ فى العساكر الجهادية * ثم منها الى رتبة مبعوث الى باريس صحبة الافندية المبعوثين لتعلم العلوم والفنون الموجودة بهذه المدينة البهية * فلما رسم اسمى فى جملة المسافرين * وعزمت على التوجه اشار على بعض الاقارب والمحبين * لاسيما شيخنا العطار * فانه مولع بسماع عجائب الاخبار * والاطلاع على غرائب

الآثار * أن انبه على ما يقع فى هذه السفرة وعلى ما اراه وما اصادفه من الامور الغريبة * والاشياء العجيبة * وأن اقيده ليكون نافعا فى كشف القناع * عن محيا هذه البقاع * التى يقال فيها انها عرائس الاقطار * وليبقى دليلا يهتدى به الى السفر اليها طلاب الاسفار * خصوصا وانه من اول الزمن الى الآن لم يظهر باللغة العربية على حسب ظنى شئ فى تاريخ مدينة باريس * كرسى مملكة الفرنسيس * ولا فى تعريف احوالها واحوال اهلها * فالحمد لله الذى جعل ذلك بأنفاس ولى النعمة وفى عهده وبسبب عنايته وتقويته للعلوم والفنون فما قصرت فى أن قيدت فى سفرى رحلة صغيرة نزهتها عن خلل التساهل والتحامل * وبرأتها عن زلل التكاسل والتفاضل * ووشحتها ببعض استطرادات نافعة * واستظهارات ساطعة * وانطقتها بحث ديار الاسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع * فان كمال ذلك ببلاد الافرنج امر ثابت شائع * والحق احق أن يتبع * ولعمر الله اننى مدة اقامتى بهذه البلاد فى حسرة على تمتعها بذلك وخلو ممالك الاسلام منه واياك أن تجد ما اذكره لك خارقا عن عادتك فيعسر عليك تصديقه فتظنه من باب الهذر والخرافات * او من حيز الافراط والمبالغات * وبالجملة فبعض الظن اثم * والشاهد يرى ما لا يراه الغائب

واذا كنت بالمدارك غرا * ثم أبصرت مدركا لا تمارى

واذا لم تر الهلال فسلم * لاناس رأوه بالابصار

وقد اشهدت الله سبحانه وتعالى على أن لا احيد فى جميع ما اقوله عن طريق الحق وأن افشى ما سمح به خاطرى من الحكم باستحسان بعض امور هذه البلاد وعوايدها على حسب ما يقتضيه الحال * ومن المعلوم انى لا استحسن الا ما لم يخالف نص الشريعة المحمدية * على صاحبها افضل الصلاة واشرف التحية * وليست هذه الرحلة مقتصرة على ذكر السفر ووقائعه بل هى مشتملة ايضا على ثمرته وغرضه وفيها ايجاز العلوم والصنائع المطلوبة والتكلم عليها على طريق تدوين الافرنج لها واعتقادهم فيها وتأسيسهم لها ولذلك نسبت فى غالب

الاوقات

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

الاوقات الاشياء التى هى محل للنظر اوللاختلاف مشيرا الى أن قصدى مجرد حكايتها وقد سميت هذه الرحلة تخليص الابريز فى تلخيص باريز * اوالديوان النفيس * بايوان باريس * وقد رتبتها على مقدمة وفيها عدة ابواب وعلى مقصد وفيه عدة مقالات * وكل مقالة فيها عدة فصول اوكتب مشتملة على فصول وعلى خاتمة * راجع الفهرسة فى اول الكتاب * وقد حاولت فى تأليف هذا الكتاب سلوك طريق الايجاز وارتكاب السهولة فى التعبير حتى يمكن لكل الناس الورود على حياضه * والوفود على رياضه * ولو صغر حجمه * وقل جرمه * فهو مشحون بما لا يحصى من فوائد الفرائد * و بما لا يستقصى من جزائل الخرائد * شعر

* فاذا بدالك تستقلوا حجمه * وحيا تكم فيه الكثير الطيب *

واسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب مقبولا لدى صاحب السعادة ولى النعم * معدن الفضل والكرم * وأن يوقظ به من نوم الغفلة سائر امم الاسلام من عرب وعجم * انه سميع مجيب * وقاصده لا يخيب

* المقدمة *

الباب الاول فى ذكر ما ظهر لى من سبب ارتحالنا الى هذه البلاد * التى هى ديار كفر وعناد * و بعيدة عنا غاية الابتعاد * وكثيرة المصاريف لشدة غلو الاسعار فيها غاية الاشتداد * اقول ان هذا يحتاج الى تمهيد وهو ان الاصل فى الانسان الساذجية والخلوص عن الزينة والوجود على اصل الفطرة لا يعرف الا الامور الوجدانية ثم طرأ على بعض الناس عدة معارف لم يسبق بها وانما كشفت له بالصدفة والاتفاق او بالالهام والايحاء وحكم الشرع او العقل بنفعها فاتبعت وابقيت * مثلا كان فى اوائل الزمن يجهل بعض الناس تنضيج المطعومات بالنيران لجهل النار بالكلية عندهم و يقتصرون على الغذاء بالفواكه او بالاشياء المنضجة بالشمس او اكل الاشياء النيئة كما هو باق فى بعض البلاد المتوحشة الى الآن ثم حصل اتفاقا أن بعضهم رأى خروج شرارة نار من الصوان بمصادمة حديدة او نحوها ففعل مثل ذلك وقدم واخرج النار وعرف خاصيتها * وكان

فى الناس من يجهل الصبغ والتلوين للثياب باللون الارجوانى مثلا فرآى
بعضهم كلبا اخذ محارة من البحر وفتحها واكل مافيها فاحمر حنكه وتلون بمافيها
فاخذوها وعرفوا منها صناعة الصباغة بهذا اللون كما يحكى ذلك عن اهالى
صور ببر الشام وكانت الناس فى اول الامر تجهل ركوب البحر ثم بالهام الهى
اوباتفاق بشرى عرفوا أن من خواص الخشب السبح على وجه الماء فصنعوا
السفينة ثم تبحروا فى السفن وعمروها ونوعوها انواعا فكانت اولا صغيرة
للتجارات ثم ترفعوا فيها حتى صلحت للجهاد والحرب وقس على ذلك ما اشبهه من
المحاربة بالسهام والرماح اولا ثم بعد ذلك بالسلاح ثم بالمدافع والاهوان وقد
كانت الناس فى اول الزمن تعبد الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك ثم بالهام الله
تعالى وبارساله الرسل صاروا يعبدونه الها واحدا فكلما تقادم الزمن فى الصعود
رأيت تأخر الناس فى الصنايع البشرية والعلوم المدنية * وكلما نزلت ونظرت الى
الزمن فى الهبوط رأيت فى الغالب ترقيهم وتقدمهم فى ذلك وبهذا الترقى
وقياس درجاته وحساب البعد عن الحالة الاصلية والقرب منها انقسم سائر
الخلق الى عدة مراتب * المرتبة الاولى مرتبة الهمل المتوحشين * المرتبة
الثانية مرتبة البرابرة الخشنين * المرتبة الثالثة مرتبة اهل الادب
والظرافة والتحضر والتمدن والتمصر المتطرقين * مثال المرتبة الاولى همل
بلاد السودان الذين هم دائما كالبهائم السارحة لا يعرفون الحلال من الحرام
ولا يقرؤن ولا يكتبون ولا يعرفون شيأ من الامور المسهلة للمعاش او النافعة
للمعاد وانما تبعثهم الوجدانية على قضاء شهواتهم كالبهائم فيزرعون بعض
شيء او يصيدونه لتحصيل قوتهم ويخصصون بعض اخصاص اوخيام للتوقى من
حر الشمس ونحوه * ومثال المرتبة الثانية عرب البادية فان عندهم نوعا من
الاجتماع الانسانى والاستئناس والائتلاف لمعرفتهم الحلال من الحرام
والقراءة والكتابة وغيرها وامور الدين ونحو ذلك غير أنهم ايضا لم تكمل عندهم
درجة الترقى فى امور المعاش والعمران والصنايع البشرية والعلوم العقلية
والنقلية وان عرفوا البناء والفلاحة وتربية البهائم ونحو ذلك * ومثال المرتبة

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

الثالثة بلاد مصر والشام واليمن والروم والعجم والافرنج والمغرب وسنار وبلاد امريقة على اكثرها وكثير من جزائر البحر المحيط فان جميع هؤلاء الامم ارباب عمران وسياسات * وعلوم وصناعات * وشرائع وتجارات * ولهم معارف كاملة فى آلات الصنايع والحيل على حمل الاشياء الثقيلة باخف الطرق ولهم علم بالسفر فى البحور الى غير ذلك * وهذه المرتبة الثالثة تتفاوت فى علومها وفنونها وحسن حالها وتقليد شريعة من الشرائع وتقدمها فى النجابة والبراعة فى الصنايع المعاشية * مثلا البلاد الافرنجية قد بلغت اقصى مراتب البراعة فى العلوم الرياضية والطبيعية وماوراء الطبيعة اصولها وفروعها ولبعضهم نوع مشاركة فى بعض العلوم العربية وتوصلوا الى فهم دقائقها واسرارها كما سنذكره غير أنهم لم يهتدوا الى الطريق المستقيم ولم يسلكوا سبيل النجاة ولم يرشدوا الى الدين الحق ومنهج الصدق كما أن البلاد الاسلامية قد برعت فى العلوم الشرعية والعمل بها وفى العلوم العقلية واهملت العلوم الحكمية بجملتها فلذلك احتاجت الى البلاد الغربية فى كسب ما لا تعرفه وجلب ما تجهل صنعه ولهذا حكم الافرنج بأن علماء الاسلام انما يعرفون شريعتهم ولسانهم يعنى ما يتعلق باللغة العربية ولكن يعترفون لنا بانا كنا اساتيذهم فى سائر العلوم وبقدمنا عليهم ومن المقرر فى الاذهان وفى خارج الاعيان أن الفضل للمتقدم اوليس أن المتأخر يغترف من فضالته * ويهتدى بدلالته * وما احسن قول الشاعر *

* ومما شجانى اننى كنت نائما * اعلل من فرط الكرى بالتنسم *
* الى أن بكت ورقاء فى غصن ايكة * تردد مبكاها بحسن الترنم *
* فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم *
* ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم *

ويعجبنى ايضا قولهم فى هذا المعنى عند المكافئة *

* انا الشجاع الذى قد كنت فى ظمأ * وسط الهجير على الرمضاء فى الوادى *
* فجدت بالماء فضلا منك مبتدأ * بغير قل فاشفى غلة الصادى *
* هذا جزاؤك منا لا نمن به * فضلا بفضل وكان الفضل للبادى *

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

فانها كانت فى زمن الخلفاء العباسيين اكمل سائر البلاد تمدنا ونورا فاهية وتربية زاهرة زاهية * وسبب ذلك أن الخلفاء كانوا يعينون العلماء وارباب الفنون وغيرهم على أن منهم من كان يشتغل بها بنفسه فانظر الى المأمون بن هارون الرشيد فانه زيادة عن اعانة ميقاتية دولته كان يشتغل بنفسه بعلم الفلك * كيف وهو الذى قد حرر ميل دائرة فلك البروج على دائرة الاستواء فوجده بالامتحان ثلاثا وعشرين درجة وخمسا وثلاثين دقيقة وغير ذلك * وقد اعان جعفر المتوكل من العباسية اصطفان على ترجمة الكتب اليونانية ككتاب ذيسقوريدس فى الادوية * وكذلك الملك عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس فانه طلب من ملك قسطنطينية المسمى ارمانيوس أن يبعث اليه رجلا يتكلم باللسان اليونانى واللاطينى ليعلم له عبيدا يكونون مترجمين عنده فبعث له راهبا يسمى نقولا الى غير ذلك * فمن هنا تفهم أن العلوم لا تنتشر فى عصر الا باعانة صاحب الدولة لاهله وفى الامثال الحكمية الناس على دين ملوكهم وقد تشتت عز الخلفاء وانهدم ملكهم فانظر الى الاندلس فانها بايدى النصارى الاسبانيول من نحو ثلثمائة وخمسين سنة وقد قويت شوكة الافرنج ببراعتهم وتدبيرهم بل وعدلهم ومعرفتهم فى الحروب وتنوعهم واختراعهم فيها ولولا أن الاسلام منصور بقدرة الله سبحانه وتعالى لكان كلا شئ بالنسبة لقوتهم وسوادهم وثروتهم وبراعتهم وغير ذلك * ومن المثل المشهور * ان اعقل الملوك ابصرهم بعواقب الامور * ولهذا تنبه ولى النعمة حفظه الله تعالى حيث ولاه الله سبحانه وتعالى على بلاد مصر القاهرة أن يرجع اليها شبابها القديم * ويحيي رونقها الرميم * فمن مبدء توليه حفظه الله سبحانه وتعالى وهو يعالج فى مداواة دائها الذى لولاه كان عضالا * ويصلح فسادها الذى قد كاد يكون زواله محالا * ويلتجي اليه ارباب الفنون البارعة * والصنايع النافعة * من الافرنج ويغدق عليهم فائض نعمته حتى ان العامة بمصر بل وبغيرها من جهلهم يلومونه فى انفسهم غاية اللوم بسبب قبول الافرنج وترحيبه بهم وانعامه عليهم جهلا منهم بانه حفظه الله انما يفعل ذلك لانسانيتهم وعلومهم لا لكونهم نصارى فالحاجة دعت اليه ولله در من قال *

ان

* ان المعلم والطبيب كلاهما * لم ينصحا اذا لم يكرما *

* فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه * واصبر لجهلك ان جفوت معلما *

ولا يتأتى لانسان أن ينكر أن الفنون والصنائع الغريبة بمصر قد برعت الآن بل وقد وجدت بعد أن لم تكن ويرجى بلوغها درجة كمال وفوقان * فما انفقه صاحب السعادة على ذلك كان فى محله اتفاقا * فانظر الى الورش والمعامل والمدارس ونحوها وانظر الى ترتيب امر العساكر الجهادية من الايات ومدارس حربية فانه من احسن ماصنعه صاحب السعادة واحق مايؤرخ من فعل الخيرات ولا يمكن ادراك ضرورية هذا النظام الالمن رأى بلاد الافرنج اوشاهد الوقايع * وبالجملة والتفصيل فولى النعمة آماله دائما متعلقة بالعمار * ومن الحكم المعروفة العمارة كالحياة والخراب كالموت وبناء كل ملك على قدر همته وقد سارع ولى النعمة حفظه الله تعالى فى تحسين بلاده فاحضر فيها ماامكنه احضاره من علماء الافرنج وبعث ماامكنه بعثه من مصر الى تلك البلاد فان علماءها اعظم من غيرهم فى العلوم الحكمية * وفى الحديث الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو فى اهل الشرك * قال بطليموس الثانى خذوا الدر من البحر والمسك من الفارة والذهب من الحجر والحكمة ممن قالها * وفى الحديث اطلب العلم ولو بالصين * ومن المعلوم أن اهل الصين وثنيون وان كان المقصود من الحديث السفر الى طلب العلم * وبالجملة حيثما امن الانسان على دينه فلا ضرر فى السفر خصوصا المصلحة مثل هذه المصلحة * ولعل هذا كله مطمح نظر صاحب السعادة فى هذه الارسالية وغيرها من الارساليات المتتالية المتسلسلة * فثمرة هذا السفر تحصل ان شاء الله تعالى بنشر هذه العلوم والفنون الآتية فى الباب الثانى وبكثرة تداولها وترجمة كتبها وطبعها فى مطابع ولى النعم * فينبغى لاهل العلم حث جميع الناس على الاشتغال بالعلوم والفنون والصنايع النافعة وليس هذا الزمان قابلا لان يقال فيه كما قال بهاء الدين ابو حسين العاملى فى صرف العمر فى جمع كتب العلم وادخارها ومطالعتها فى شعره *

* على كتب العلوم صرفت مالك * وفى تصحيحها اتعبت بالك *

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

* وانفقت البياض مع السواد * الى ماليس ينفع فى المعاد *
* تظل من المساء الى الصباح * تطالعها وقلبك غير صاح *
* وتصبح مولعا من غير طائل * بتحرير المقاصد والدلائل *
* وتوضيح الخفافى كل باب * وتوجيه السؤال مع الجواب *
* لعمرى قد اضلتك الهدايه * ضلالا ماله ابدا نهايه *
* وبالمحصول حاصلك الندامه * وحرمان الى يوم القيامه *
* وتذكرة المواقف والمراصد * تسد عليك ابواب المقاصد *
* فلا ينجى النجاة من الضلاله * ولا يشفى الشفاء من الجهاله *
* وبالارشاد لم يحصل رشاد * وبالتبيان ما بان السداد *
* وبالايضاح اشكلت المدارك * وبالمصباح اظلمت المسالك *
* وبالتلويح مالاح الدليل * وبالتوضيح ما اتضح السبيل *
* صرفت خلاصة العمر العزيز * على تنقيح ابحاث الوجيز *
* بهذا الامر صرف العمر جهل * فقم واجهد فما فى الوقت مهل *
* ودع عنك الشروح مع الحواشى * فهن على البصائر كالغواشى *

وقوله

* ايها القوم الذى فى المدرسه * كل ما حصلتموه وسوسه *
* فكركم ان كان فى غير الحبيب * ماله فى النشاة الاخرى نصيب *
* فاغسلوا يا اولى الراح عن لوح الفؤاد * كل علم ليس ينجى فى المعاد *

لان هذا مقال من تجرد عن الدنيا * وانهمك على الاخرى * اومن اشترى العلوم باغلى ثمن * فبخس صفقتها حادث الزمن

* الباب الثانى من المقدمة *

يتعلق بالعلوم والفنون المطلوبة * والحرف والصنايع المرغوبة * ولنذكر لك هنا الصنايع المطلوبة لتعرف اهميتها ولزومها فى اى دولة من الدول وهذه الفنون اما واهية فى مصر او مفقودة بالكلية وهى قسمان قسم عام للتلامذة وهو الحساب * والهندسة * والجغرافيا * والتاريخ * والرسم * وقسم خاص

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

متوزع عليهم وهو عدة علوم * العلم الاول علم تدبير الامور الملكية ويتشعب
عنه عدة فروع * الحقوق الثلاثة التى يعتبرها الافرنج وتسمى بالنواميس وهى
الحقوق الطبيعية * والحقوق البشرية * والحقوق الوضعية * وعلم احوال
البلدان ومصالحها ومايليق بها * وعلم الاقتصاد فى المصاريف * وعلم تدبير
المعاملات * والمحاسبات * والخازندارية * وحفظ بيت المال * العلم الثانى
علم تدبير العسكرية * العلم الثالث * علم القبطانية والامور البحرية * العلم الرابع *
فن معرفة المشى فى مصالح الدول * يعنى علم السفارة ومنه الايلجية وهى رسالة
البلدان وفروعه معرفة الالسن والحقوق والاصطلاحات * العلم الخامس *
فن المياه وهو صناعة القناطر والجسور والارصفة والفساقى ونحو ذلك
* العلم السادس الميكانيقا وهى آلات الهندسة وجر الاثقال * العلم السابع
الهندسة الحربية * العلم الثامن * فن الرمى بالمدافع * وترتيبها وهى فن الطبجية
* العلم التاسع * فن سبك المعادن لصناعة المدافع والاسلحة وغيرها * العلم
العاشر * علم الكيميا وصناعة الورق والمراد بالكيميا معرفة تحليل الاجزاء
وتركيبها * ويدخل تحتها امور كثيرة كصناعة البارود والسكر * وليس المراد
بالكيميا حجر الفلاسفة كما يظنه بعض الناس فان هذا لا تعرفه الافرنج ولا تعتقده
اصلا * العلم الحادى عشر * فن الطب * وفروعه فن التشريح والجراحة وتدبير
الصحة * وفن معرفة مزاج المريض * وفن البيطرة اى معالجة الخيل وغيرها
* العلم الثانى عشر * علم الفلاحة * وفروعها معرفة انواع الزروع وتدبير الخلا
بالبناء اللائق به وغيرها * ومعرفة ما يخصه من آلات الحراثة المدبرة للمصاريف
* العلم الثالث عشر * علم تاريخ الطبيعيات * وفروعه الحيوانات ومرتبة
النباتات ومرتبة المعادن * العلم الرابع عشر * صناعة النقاشة * وفروعها فن
الطباعة وفن حفر الاحجار ونقشها ونحوها * العلم الخامس عشر * فن الترجمة
يعنى ترجمة الكتب وهو من الفنون الصعبة خصوصا ترجمة الكتب العلمية
فانه يحتاج الى معرفة اصطلاحات اصول العلوم المراد ترجمتها فهو عبارة
عن معرفة اللسان المترجم عنه واليه والفن المترجم فيه فاذا انظرت بعين الحقيقة

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

رأيت سائر هذه العلوم المعروفة معرفة تامة لهؤلاء الافرنج ناقصة او مجهولة بالكلية عندنا ومن جهل شيا فهو مفتقر لمن اتقن ذلك الشئ وكلما تكبر الانسان عن تعلمه شيا مات بحسرته فالحمد لله الذى قيض ولى النعمة لانقاذنا من ظلمات جهل هذه الاشياء الموجودة عند غيرنا واظن ان من له ذوق سليم وطبع مستقيم يقول كما اقول وساذكر بعضها بالاختصار فى آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وهو المستعان

(الباب الثالث من المقدمة)

فى ذكر وضع البلاد الافرنجية ونسبتها الى غيرها من البلاد ومزية الامة الفرنساوية على من عداها من الافرنج وتبيين تخصيص صاحب السعادة لها بارسال النافيها دون ما عداها من ممالك الافرنج فنقول * اعلم ان الجغرافيين من الافرنج قسموا الدنيا من الشمال الى الجنوب ومن المشرق الى المغرب خمسة اقسام وهى بلاد اوروبا بضم الهمزة والراء وتشديد الباء * وبلاد آسيا بكسر السين وبلاد الافريقة * وبلاد الامريقة * وجزائر البحر المحيط المسماة الاوقيانوسية * فبلاد اوروبا محدودة جهة الشمال بالبحر المنجمد المسمى بحر الثلج الشمالى * وجهة الغرب ببحر الظلمات المسمى البحر المظلم والبحر الغربى * وجهة الجنوب ببحر الروم المسمى البحر المتوسط والابيض وببلاد آسيا * وجهة الشرق ببحر الخزر بضم الخاء والزاى آخره راء ويقال له بحر الحزز بحاء مهملة مفتوحة ثم زايين معجمتين اولاهما مفتوحة ويسمى ايضا بحر جرجان وبحر طبرستان وببلاد آسيا * فحينئذ بلاد اوروبا تقال على بلاد الافرنج وبلاد الاروام وبلاد قسطنطينية وبلاد الخزر والبلغار والافلاق والبغدان والسرب وغيرها وهى نحو ثلاث عشرة ارضا اى ولاية اصلية اربعة منها فى الشمال وهى بلاد الانكليز وبلاد دانيمرق بكسر النون وفتح الميم وسكون الراء وبلاد اسوج بفتح الهمزة وسكون السين وكسر الواو وبلاد الموسقو وستة فى الوسط وهى بلاد الفلمنك وبلاد الفرنسيس وبلاد السويسة وبلاد النمسة وبلاد البروسة بضم الباء وبلاد جرمانية المتعاهدة وثلاثة فى الجنوب وهى بلاد

اسبانيا

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

اسبانيا مع البرتوغال و بلاد ايطاليا و بلاد الدولة العلية العثمانية فى بلاد اوربا
التى هى بلاد الاروام والارناؤط والبشناق والسرب بالباء او الفاء والبلغار
والافلاق والبغدان بضم الباء وسكون الغين فمن ذلك تعلم أن تفسير بعض
المترجمين بلاد اوربا ببلاد الافرنج فيه قصور اللهم الا أن تكون بلاد الافرنج
تطلق على مايعم بلاد الدولة العلية ولكن يناقض ذلك أن الدولة العثمانية
يقصرون بلاد افرنجستان على ماعدا بلادهم من بلاد اوربا و يسمون بلادهم
بلاد الروم وان كان يعممون ايضا فى لفظ الروم فيريدون به بعض الاحيان مايعم
بلاد الافرنج و بعض البلاد الداخلة فى حكمهم من بلاد آسيا * و بلاد آسيا
محدّدة ايضا جهة الشمال بالبحر المنجمد الشمالى وجهة الغرب ببلاد اوربا
والافريقية وجهة الجنوب ببحر الهند و بحر الصين وجهة الشرق ببحر الجنوب
المحيط و ببحر بهرنغ بكسر الباء وسكون الهاء وفتح الراء وسكون النون وبالغين
او الكاف وهى تنقسم ايضا الى عشرة اراض اصلية واحدة جهة الشمال وهى
بلاد سبير وسبعة فى الوسط وهى بلاد الدولة العلية العثمانية التى هى الشام
وارمنية وكردستان وبغداد والبصرة وقبرص وغيرها ثم بلاد العجم و بلاد
بلوچستان و بلاد قابولستان وهى أفغهانستان وبلاد التتار الاكبر و بلاد
الصين و بلاد يابونيا واثنان فى الجنوب وهى بلاد العرب وبلاد الهند فبلاد الحجاز
و بلاد الوهابية تحت حكم الدولة العلية و بلاد اليمن تحت حمايتها و بلاد عمان
مستقلة وكلها اقاليم جزيرة العرب فهذه هى ولايات آسيا * ثم بلاد الافريقية
وهى محدّدة جهة الشمال ببحر الروم وجهة الغرب بالبحر الاطلنتيقى المسمى بحر
الظلمات و يسمى ببحر المغرب وجهة الجنوب بالبحر المحيط الجنوبى وجهة الشرق
ببحر الهند و ببغاز باب المندب و ببحر القلزم المسمى البحر الاحمر و ببلاد العرب *
ويمكن تقسيم الافريقية الى ثمانى اراض اصلية اثنتان فى الشمال وهى بلاد
المغاربة وبلاد مصر واربعة فى الوسط وهى السينيغبنيا و بلاد الزنج و بلاد
النوبة وبلاد الحبشة واثنتان فى الجنوب وهما بلاد غينا و بلاد كفرية فهذا
مايسمى الآن عند الافرنج بلاد افريقية وان كانت افريقية فى الاصل بلدة

معلومة جهة تونس وماحواليها ثم اضيف الى بلاد اوربا ماقاربها من الجزائر وكذلك لبلاد اسيا وافريقية * وهذه الاقسام الثلاثة يعنى اوربا وآسيا وافريقية تسمى الدنيا القديمة او الارض القديمة يعنى المعروفة للقدماء واما بلاد امريكة اوامريقة بالكاف او القاف فتسمى الدنيا الجديدة وتسمى ايضا الهند الغربى وتسمى فى بعض الكتب العربية عجائب المخلوقات وهى انما عرفت للافرنج بعد تغلب النصارى على بلاد الاندلس واخراج العرب منها فان هذا الوقت كان مبدأ للسياحة * وجوب البحر المحيط واستكشاف البلاد باعانة الدول لارباب الاسفار والملاحة * واما الآن فقد كادت السياحة تكون عند الافرنج فنا من الفنون فليس كل احد يحسنها * ولا كل دولة تتقنها * وذلك أنه لما كثرت الآلات الفلكية والطبيعية * سهلت الاستكشافات البرية والبحرية * وتداولت الاسفار * واستكشفت الاماكن والاقطار * وضم الى مايعرف من قديم الزمان * هذه الدنيا الجديدة التى انتظمت فى سلك معرفة اولى العرفان * ثم زاد الحال باختراع سفن النار * ومراكب البخار * فتقاربت الاقطار الشاسعة * وتزاورت اهالى الدول وصارت المعاملات والمخالطات بينها متتابعة * ومما قام مقام آلات السياحة قبل ابتداعها * وناب عن ادوات الملاحة قبل اختراعها * الانوار المحمدية * والغيرة الاسلامية * بل والمعارف الوافرة فى العلوم الرياضية والفلكية والجغرافية * فى زمن الخلفاء العباسية * ففتحوا بلاد مصر والسودان والمغرب والعجم وبلاد قابول وبخارى والهند والسند وجزائر سيلان وسومطرا وبلاد التبت والصين وعدة ولايات ببلاد اوروبا مثل ممالك الاندلس وصقلية وبلاد الروم وغير ذلك وتقدمت عندهم العلوم الجغرافية واشتهر من علماء الجغرافية كثيرون كالمسعودى وابن حوقل والشريف الادريسى وابن الوردى والسلطان عماد الدين ابى الفدا صاحب حماه ثم لما خمدت عندهم انوار هذه المعارف واهملوها ازدراء لها اولسبب آخر قلت سياحاتهم وقام مقامهم طوائف الافرنج وبرعوا فى ذلك واستفادت الدولة والرعية الفوائد الجسيمة بالامور السياسية والتجارية *

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

وصيروا الامم اشباه البهائم الى ملة النصرانية وكان الاسلام اولى بتلك المزية * ولقد تصدى ولى النعم * وعلى الهمم * لاحياء هذه المعارف * التليد منها والطارف * حتى لاحت تباشير بدو العلوم * وتلاشت عن المعارف غياهب الاحلاك والغيوم * شعر

* واذا رأيت من الهلال نموه * ايقنت أن سيصير بدرا كاملا *

ثم ان بلاد الامريقة تتصل بستة بحور فيتصل بها من جهة الشمال البحر المحيط المنجمد وبحر بافين ومن جهة الشرق بحر المغرب وبحر جزائر الانتيله وبالبحر المحيط الاكبر المسمى اقيانوس وبحر بهرنغ جهة الغرب وهى قسمان الامريقة الشمالية والامريقية الجنوبية فامريقة الشمالية ست اراض اصلية وهى الامريقة الروسية او المحكومة بالموسقو وبلاد اغرونلند وبلاد ابرطانية الجديدة او بلاد الانكليز الجديدة وبلاد الايتازونيا وهى الاقاليم المجتمعة وبلاد مكسيك وبلاد غواتيملا والامريقة الجنوبية تسع اراض وهى بلاد كلنبيا وبلاد ابريزيله وبلاد برو وبلاد بوليويه وهى برو العليا وبلاد براغية وبلاد بلاطة وبلاد شلى بكسر الشين وتشديد اللام المكسورة وبلاد بتاغونيا بفتح الباء والتاء وضم الغين وكسر النون * واما جزائر البحر المحيط فانها غربى بلاد الامريقة وعلى الجنوب الشرقى من بلاد اسيا وهى محددة من سائر جهاتها بالبحر المحيط وهى ثلاثة اجزاء اصلية النوتازية بضم النون المشددة وكسر الزاى والاستورالية بضم الهمزة وسكون السين وضم التاء وكسر اللام والبولينيزية بضم الباء وكسر اللام والنون والزاى ثم بلاد اوربا فيها اربع بنادر اصلية مشهورة بالتجارة اسلامبول تخت الدولة العلية ولوندرة بضم اللام وسكون النون وفتح الدال تخت بلاد الانكليز وباريس تخت بلاد الفرنسيس ونابلى بضم الباء ببلاد ايطاليا والبنادر الاصلية ببلاد آسيا اربعة ايضا بكين بكسر الباء والكاف قاعدة بلاد الصين وقلقوطة بفتح القاف واللام وضم القاف ويقال كلكته بكافين قاعدة بلاد الهند التى تحت حكم الانكليز وصورة ببلاد الهند ايضا ويقال هى التى كانت تسمى المنصورة وميا قو

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

بكسر الميم وضم القاف فى بلاد جزيرة يابونيا والبنادر الاصلية ببلاد الافريقية اربعة القاهرة قاعدة مصر وسنار قاعدة حاكم بلاد النوبة والجزائر وتونس ببلاد المغاربة والبنادر الاصلية ببلاد امريقة الشمالية هى مكسيكو ببلاد مكسيك ونويرق فى بلاد الايتازونيا وفيلادلفيا بكسر الفاء والدال وسكون اللام وكسر الفاء ومدينة وسهنغتون بسكون السين وكسر الهاء ثم نون ساكنة بعدها غين مكسورة واربعة فى امريقة الجنوبية وهى ريوجانير بكسر الراء وضم الياء وكسر النون فى بلاد ابريزيله وبنوسيرس بكسر الباء والسين والراء فى بلاد بلاطة وليمة بكسر اللام فى بلاد برّو وقيطو بكسر القاف فى بلاد غرناطة الجديدة وفى بلاد البحر المحيط بندران شهيران وهما مدينة بتاويا بندر جزيرة جاوة ومدينة مانيلة الواقعة فى جزيرة مانيلة احدى جزائر فيلبينة فهذه المدينة هى قاعدة جميع هذه الجزائر * ثم ان بلاد اوربا اغلبها نصارى وبلاد الدولة العلية هى بلاد الاسلام بهذه القطعة واما بلاد آسيا فانها منبع بلاد الاسلام بل وسائر الاديان وهى اوطان الانبياء والمرسلين ومهابط سائر الكتب السماوية وهى تتضمن اشرف الاماكن والارض المباركة والمساجد التى لاتشد الرحال الا اليها وفيها منشأ ومضم عظام سيد الاولين والآخرين والصحابة وهى منشأ الائمة الاربعة رضى الله تعالى عنهم لان منشأ الامام الشافعى رضى الله عنه غزة ومنشأ الامام مالك رضى الله عنه المدينة المشرفة ومنشأ الامام الاعظم ابى حنيفة النعمان الكوفة ومنشأ الامام احمد بن حنبل بغداد التى كانت كما قيل فى ايام الخلفاء بالنسبة للبلاد كالاستاذ فى العباد وكلها من بلاد آسيا ومهابعى ببلاد آسيا العرب وهم افضل القبائل على الاطلاق * ولسانهم افصح الالسن باتفاق * وفيهم بنو هاشم الذين هم ملح الارض وزبدة المجد ودرع الشرف ومما يدل على فضلها أن بها الاماكن المفضلة كالقبلة التى يجب على كل انسان أن يتوجه اليها خمس مرات فى اليوم والليلة والمدينتين اللتين نزل بهما القرآن العظيم ففضائلها لاتحصى وآثار اهلها لاتستقصى قال بعض اهلها

* عطفة ياجيرة العلم * يااهيل الجود والكرم *

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

* نحن جيران لذا الحرم * حرم الاحسان والحسن *

* نحن قوم به سكنوا * وبه من خوفهم امنوا *

* وبآيات الكتاب عنوا * فاتئد فينا اخا الوهن *

* نعرف البطحا وتعرفنا * والصفا والبيت يألفنا *

* ولنا المعلى وخيف منى * فاعلمن هذا وكن وكن *

* ولنا خير الانام اب * وعلي المرتضى حسب *

* والى السبطين تنتسب * نسبا ما فيه من دخن *

ومع أن الاسلام قد تولد فيها وانتشر منها الى غيرها ففيها جزء عظيم باق على الابتداع او الكفر كبلاد الصين وبعض بلاد الهند وجزء سالك فى اسلامه طريق الضلال كروافض العجم * واما بلاد افريقية فانها تشتمل على اعظم البلاد كبلاد مصر التى هى من اعظم البلاد واعمرها وهى ايضا عش الاولياء والصلحاء والعلماء وكبلاد المغرب التى اهلها اهل صلاح وتقى وعلم وعمل وان شاء الله يمتد بها الاسلام عند كفار السودان بانفاس ولى النعمة حفظه الله تعالى * واما امريقة فهى بلاد كفر وذلك أنها كانت عامرة فى الاصل بهمل عبدة الاصنام فتغلب عليها الافرنج لما قويت شوكتهم فى الفنون الحربية ونقلوا اليها جماعة من بلادهم وارسلوا اليها قسيسين فتنصر كثير من اهلها فالآن بلاد امريقة غالبها نصارى الا الهمل فهم وثنيون ولم يوجد بها دين الاسلام وسببه قوة الافرنج فى علم ركوب البحر ومعرفتهم العلوم الفلكية والجغرافية ورغبتهم فى المعاملات والتجارات وحبهم للسفر قال الشاعر

* ان العلا حدثتنى وهى صادقة * فيما تحدث أن العز فى النقل *

* لو كان فى شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل *

وقال آخر

* قلقل ركابك للفلا * ودع الغوانى والقصور *

* فمحالفو اوطانهم * امثال سكان القبور *

* لولا التغرب ما ارتقت * درر البحور الى النحور *

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

وقال الحريرى

* لجوب البلاد مع المتربه * احب الى من المرتبه *

وقال غيره

* قم واغترب فى البلاد مجتهدا * فمن ثوى فى بلاده هانا *

* كبيدق لايزال محتقرا * حتى اذا سار صار فرزانا *

وقال

* انفق من الصبر الجميل فانه * لم يخش فقرا منفق من صبره *

* والمرء ليس ببالغ فى ارضه * كالصقر ليس بصائد فى وكره *

ومن المعلوم ان الدر والمسك لا يشرفان مالم يفارقا وطنهما ومعدنهما وكل هذا لا ينافى أن حب الوطن من شعب الايمان لأن المقصود السياحة والاخذ فى اسباب طلب الرزق وهذا لا يمنع من تعلق الانسان بوطنه ومسقط رأسه فان هذا امر جبلى قال الشاعر

* يابعيد الدار عن وطنه * مفردا يبكى على شجنه *

* كلما جد الرحيل به * زادت الاسقام فى بدنه *

وقال غيره

* ولقد زاد الفؤاد شجى * طائر يبكى على فننه *

* شفه ماشفنى فبكى * كلنا يبكى على سكنه *

ولا ينافى ايضا هذا الامر مادة التوكل والاعتماد على المولى كما يفهم من كلام الشاعر فى قوله

* لقد علمت وما الاسراف من خلقى * ان الذى هو رزقى سوف يأتينى *

* اسعى اليه فيعيينى تطلبه * ولو قعدت اتانى لا يعيينى *

وقول الآخر

* اقنع بأيسر رزق انت نائله * واحذر ولا تتعرض للارادات *

* فاصفا البحر الا وهو منتقص * وما تكدر الا فى الزيادات *

فان هذا معناه التسلية لمن لا يحب الاسفار او النهى عن السفر للطمع * واما بلاد

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

جزائر البحر المحيط فانها قد فتح كثير منها بالاسلام كجزيرة جاوه فان اهلها مسلمون وبالجملة فبلاد النوتازية اغلبها اسلام وندر وجود دين النصرانية فيها ومن ذلك كله تعلم أنه يمكن أن اقسام الدنيا الخمسة يصح تفضيل بعضها على بعض يعنى تفضيل جزء بتمامه على الآخر بتمامه بحسب مزية الاسلام وتعلقاته فحينئذ تكون اسيا افضل الجميع ثم تليها افريقية لعمارها بالاسلام والاولياء والصلحاء خصوصا باشتمالها على مصر القاهرة ثم تليها بلاد اوروبا لقوة الاسلام ووجود الامام الاعظم امام الحرمين الشريفين سلطان الاسلام فيها ثم بلاد الجزائر البحرية لعمارها بالاسلام ايضا مع عدم تبحرها فى العلوم كما هو الظاهر فادنى الاقسام بلاد امريكة حيث لا وجود للاسلام بها ابدا هذا ما يظهر لى والله اعلم بالصواب * وهذا كله بالنظر للاسلام والامور الشرعية والشرف الذاتى فان المراد بالشرف ما يعم الشرعى وغيره فلا يقال ان اغلب ذلك من باب المزية وهى وحدها لا تستدعى افضلية ولا ينكر منصف أن بلاد الافرنج الآن فى غاية البراعة فى العلوم الحكمية واعلاها فى التبحر فى ذلك بلاد الانكليز والفرنسيس والنمسا فان حكماءها فاقوا الحكماء المتقدمين كارسطاطاليس وافلاطون وبقراط وامثالهم واتقنوا الرياضيات والطبيعيات والالهيات وماوراء الطبيعيات اشد اتقان وفلسفتهم اخلص من فلسفة المتقدمين لما أنهم يقيمون الادلة على وجود الله تعالى وبقاء الارواح والثواب والعقاب فاعظم مدائن الافرنج مدينة لوندرة وهى كرسى الانكليز ثم باريز وهى قاعدة ملك فرانسا وباريز تفضل على لوندرة بصحة هوائها كما قيل وطبيعة القطر والاهل وبقلة الغلا التام واذا رأيت كيفية سياستها علمت كمال راحة الغرباء فيها وحظهم وانبساطهم مع اهلها فالغالب على اهلها البشاشة فى وجوه الغرباء ومراعاة خاطرهم ولو اختلف الدين وذلك لان اكثر اهل هذه المدينة انما له من دين النصرانية الاسم فقط حيث لا ينتحل دينه ولا غيرة له عليه بل هو من الفرق المحسنة والمقبحة بالعقل اوفرقة من الاباحيين الذين يقولون ان كل عمل يأذن فيه العقل صواب فاذا ذكرت له دين الاسلام فى مقابلة غيره من الاديان اثنى على سائرها من حيث

انها كلها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر واذا ذكرته له فى مقابلة العلوم الطبيعية قال انه لا يصدق بشئ مما فى كتب اهل الكتاب لخروجه عن الامور الطبيعية وبالجملة ففى بلاد الفرنسيس يباح التعبد بسائر الاديان فلا يعارض مسلم فى بنائه مسجدا ولا يهودى فى بنائه بيعة الى آخره كما سيأتى فى ذكر سياستها ولعل هذا كله هو علة تخصيص ولى النعمة لها بارساله فيها هذه المرة الاولى ابلغ من اربعين نفسا لتعلم هذه العلوم المفقودة بل سائر النصارى تبعث ايضا اليها فيأتى اليها من بلاد امريكة وغيرها من الممالك البعيدة وقد بعث حفظه الله عدة للعلوم ببلاد الانكليز لكنهم ليسوا عديدين وكذلك ببلاد النمسا وبالجملة فسائر الامم تطلب العز وتسعى اليه كما قال الشريف الرضى * اطلب العز فما العز بغال *

ولا اعز من العلوم والفنون تطلبها الملوك فانه كلما كان الملك اجل خطرا وجب أن يكون ادق نظرا

(الباب الرابع من المقدمة فى ذكر رؤساء هذه السفرة)

قد بعث صاحب السعادة فى السفر الى بلاد فرانسا ثلاثة رؤساء من اكابر ديوانه السعيد وجعلهم ارباب نظر عام على من عداهم وهم على هذا الترتيب فاولهم صاحب الرأى التام * والمعرفة والاحكام * حائز فضيلتى السيف والقلم * والعارف برسوم العرب والعجم * حضرة عبدى افندى المهردار * والثانى صاحب الرأى السديد * والطالع السعيد * من خلع فى حب المعالى العذار * حضرة مصطفى مختار افندى الدويدار * والثالث الحاوى بين العلم والعمل * والبراع والأسل * حضرة الحاج حسن افندى الاسكندرانى * بلغه الله فى الدارين الامانى * امين * ثم ان حضرة الافندية الثلاثة كانوا يتعلمون ايضا كالباقى فحضرة الافندى المهردار سابقا اشتغل بعلم تدبير الامور الملكية وحضرة الافندى الدويدار سابقا بعلم تدبير الامور العسكرية وحضرة الحاج حسن افندى يشتغل بعلم القبطانية والهندسة البحرية وكان لسائر الثلاثة اجتهاد زائد وتحصيل بالغ مع أن الامرية فى الغالب تأنف ذلك وقد كان حكم هؤلاء الثلاثة

بالنوبة

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

بالنوبة فكانت نوبة الواحد يوما والآخر يوما آخر وهكذا فآل الامر الى أن صارت شهرا شهرا ثم صار الافندى المهردار وحده ثم ان حضرة الافندية الثلاثة كان معهم فى تدبير الدروس جناب مسيو جومار الذى ولاه صاحب السعادة ناظرا على الدروس وهو احد علماء الانستتوت بفتح الهمزة وسكون النون وكسر السين اى مشورة العلوم واكابرهم والذى يتراءى فى طبعه حب حضرة صاحب السعادة وخدمته بنصح ويشاهد منه دائما أنه يرغب فى الاعتناء بمصالح مصر من جهة نشر المعارف والعلوم فيها بل وفى سائر بلاد الافريقية كما يفهم ذلك من حاله ومما قاله فى طالعة رزنامته التى الفها سنة الف ومائتين واربعة واربعين من الهجرة وشهرة معارف مسيو جومار وحسن تدبيره يوقع فى نفس الانسان من اول وهلة تفضيل القلم على السيف لانه يدبر بقلمه مالا يدبر غيره بسيفه الف مرة ولا عجب فبالاقلام تساس الاقاليم وهمته فى مصالح العلوم سريعة كثيرة التأليف والاشتغال والغالب أن هذه الخصلة فى سائر علماء الافرنج فان مثل الكاتب كالدولاب اذا تعطل تكسر وكالمفتاح الحديد اذا ترك ارتكبه الصدا وجناب مسيو جومار يشتغل بالعلوم آناء الليل واطراف النهار وسيأتى ذكره عدة مرات وسنذكر لك عدة من مكاتيبه التى وصلت بيدى ان شاء الله تعالى وهنا انتهت المقدمة

(المقصد)

فى مدة السفر من مصر الى باريس ومارأيناه من الغرائب فى الطريق اومدة الاقامة فى هذه المدينة العامرة بسائر العلوم الحكمية والفنون والعدل العجيب والانصاف الغريب الذى يحق أن يكون من باب اولى فى ديار الاسلام وبلاد شريعة النبى صلى الله عليه وسلم وهذا المقصد يتضمن عدة مقالات تشتمل على عدة فصول

المقالة الاولى * فيما كان من الخروج من مصر الى دخول مدينة مرسيليا التى هى فرضة من فرضات الفرنسيس وفيها عدة فصول

المقالة الثانية * فيما كان من دخول مرسيليا الى دخول مدينة باريس

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

وفيها فصلان

المقالة الثالثة) فى دخول باريس وذكر جميع ماشاهدناه وما بلغنا خبره من احوال باريس وهذه المقالة هى الغرض الاصلى من وضعنا هذه الرحلة فلذلك اطنبنا فيها غاية الاطناب وان كان جميع هذا الاينى بحق هذه المدينة بل هو تقريب بالنظر لما اشتملت عليه وان استغرب هذا من لم يشاهد غرائب السياحة قال بعضهم

* من لم ير الروم ولا اهلها * ماعرف الدنيا ولا الناسا *

فمن باب اولى بلاد افرنجستان

المقالة الرابعة * فى ذكر نبذ من العلوم والفنون المذكورة فى الباب الثانى من المقدمة

* (المقالة الاولى) *

الفصل الاول فى الخروج من مصر الى دخول ثغر اسكندرية

كان خروجنا من مصر عصر يوم الجمعة الذى هو ثامن يوم من شعبان سنة احدى واربعين ومأتين بعد الالف من الهجرة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام * فتفاءلت بأن عقب هذا الفراق يحصل الاجتماع * وأن تسليم العودة سيقوم مقام الوداع * فركبنا زوارق صغيرة وتوجهنا الى اسكندرية واقمنا على ظهر النيل المبارك اربعة ايام ولا فائدة لذكر بعض البلاد والقرى التى رسونا عليها * وكان دخولنا الاسكندرية يوم الاربعا ثالث عشر يوما من شهر شعبان فمكثنا فيها ثلاثة وعشرين يوما فى سراية ولى النعمة * وكان خروجنا الى البلد فى هذه المدينة قليلا فلم يسهل لى ذكر شئ فى شأنها غير انه ظهر لى انها قريبة الميل فى وضعها وحالها الى بلاد الافرنج وان كنت وقتئذ لم ارشيأ من بلاد الافرنج اصلا وانما فهمت ذلك مما رأيته فيها دون غيرها من بلاد مصر ولكثرة الافرنج بها ولكون اغلب السوقة يتكلم ببعض شئ من اللغة الطليانية ونحو ذلك وتحقق ذلك عندى بعد وصولى الى مرسيليا فان اسكندرية عينة مرسيليا

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

(الفصـــــل الثانى)

فى ذكر نبذة تتعلق بهذه المدينة لخصناها من عدة كتب عربية وفرنساوية وذكرنا ماظهر لنا صحته * فنقول قال فى القاموس ان اسكندرية منسوبة الى اسكندر ابن الفيلسوف (صوابه فيليبش) وهو الذى قتل دارا وملك البلاد * والاسكندرية ستة عشر بلدا منسوبة اليه منها بلدة ببلاد الهند وبلدة بارض بابل وبلدة بشاطئ النهر الاعظم وبلدة بصغد سمرقند وبلدة بمرو واسم لمدينة بلخ والثغر الاعظم ببلاد مصر وقرية بين حماه وحلب وقرية على دجلة قرب واسط منها الاديب احمد بن المختار بن مبشر وقرية بين مكة والمدينة وبلدة فى مجارى الانهار بالهند وخمس مدن اخر انتهى ومرو بلدة من خراسان ببلاد الفرس والنسبة اليها مروى ومروزى وانظر ما مراده بالنهر الاعظم ثم رأيت فى كتاب تقويم البلدان لعماد الدين ابى الفدا اسماعيل بن ناصر سلطان حماه أن بالاندلس نهرا يسمى بالنهر الاعظم وهو نهر اشبيلية ونص عبارته ومنها نهر اشبيلية من بلاد الاندلس ويسمى عند اهل الاندلس النهر الاعظم انتهى ولعله انما سمى عندهم بالنهر الاعظم لامتيازه بحادثة المد والجزر كما نبه على ذلك ابو الفدا فى قوله يدخله المد والجزر عند مكان يسمى الارحا لا تزال فيه المراكب منحدرة مع الجزر صاعدة مع المد وقال بعضهم فى المد والجزر

*خليلى بادربى الى النهر بكرة * وقف منه حيث المد يثنى عنانه*

*ولا تجز الارحا فان وراءها * يبابا وعينى لا تريد عيانه*

انتهى فعلى هذا تكون اسكندرية اسم بلدة بالاندلس * ولعل اسكندر حين اجتيازه بجزيرة الاندلس بنى بها بلدة * وذكر صاحب كتاب نشق الازهار فى عجائب الاقطار أن اسكندر ذا القرنين اجتاز بلاد الاندلس وفتح بها بغاز جبل الطارق المسمى بحر الزقاق وأن محل هذا البغاز كان ارضا بين طنجة وبلاد الاندلس ولم يذكر فى هذا الموضع أن اسكندر بنى بلدة بهذه الجزيرة لكن هذا لا يدل على عدم وجود بلدة بها * وظاهر عبارتهم أنه يوجد اثنان كل منهما يسمى

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

الاسكندر احدهما اسكندر ذو القرنين والآخر هو قاتل دارا وقال في القاموس في موضع آخر ذو القرنين اسكندر الرومى لانه لما دعاهم الى الله تعالى ضربوه على قرنه فاحياه الله تعالى ثم دعاهم فضربوه على قرنه الآخر فمات ثم احياه الله اولانه بلغ قطرى الارض اولضفيرتين له انتهى فظاهر كلامه أن اسكندر ذا القرنين هو نفس اسكندر الرومى * والذى عليه علماء الشرق أن ذا القرنين المذكور فى الآية الشريفة هو غير اسكندر اليونانى فان الاول اقدم من الثانى وهو الذى قيل بنبوته وانه بنى سد ياجوج وماجوج وانه بحث عن ماء الحياة بلا طائل وفاز به الخضر عليه السلام فلذلك كان حيا الى الآن * واما الثانى فانه يسمى اسكندر الرومى او اليونانى يعنى الاغريقى لأن قدماء الاغارقة تسمى اليونان والمتاخرون يشتهرون باسم الاروام * واما الافرنج فلا يقولون الا بوجود اسكندر الاكبر ابن فليش اوابن فيلبوش المقدوانى ويجعلونه عين ما يعبر عنه فى التواريخ العربية باسم اسكندر ذى القرنين وينسبون اليه سائر ما يحكى عنه من العجائب كسد ياجوج وماجوج ونحو ذلك غير أنهم لا يصدقون بما لا يوافق للعادة * وعلى كل حال فقد اتفق كلام العلماء وحكماء الافرنج على أن اسكندرية تنسب الى اسكندر الرومى وهو ابن فيلبش وانا اقول الظاهر أن ذا القرنين هو الذى يعبر عنه عند اليونان بهرقليوس اوهرقول يدل على ذلك تسمية بوغاز جبل طارق بوغاز هرقليوس مع عبارة كتاب نشق الازهار وكذلك ماذكر فى خرافات اليونان عند الكلام على عمودى هرقول من أنه ادخل اوقيانوس (البحر المحيط) فى الجزء الذى يفصل اوروبا من افريقة حين فتح بغاز قادس المسمى الآن جبل طارق بين جبلين كانا قبل ذلك متصلين ببعضهما احدهما يسمى قلبة فى جهة اسبانيا والآخر يسمى ببلا فى جهة افريقة وصارا بعد فتح البوغاز بينهما كأنهما عمودان وكتب عليهما هرقول ما معناه ليس خلف ذلك شئ ومما يدل على ذلك ايضا ماذكره اليونان فى خرافاتهم من أن هرقول من فحول الرجال الذين يعبرون عنهم بانصاف الآلهة ويعتقدون أنهم متولدون بين الباقى والفانى اى بين الاله و بشر فان هرقول

على

على زعمهم متولد من جوبتير اى المشترى وألكمينة زوجة أنفتريون ملك طيوه حيث تشكل بشكل هذا الملك وواقعها فحملت به منه وذلك قريب مما ذكره الدميرى فى كتابه حياة الحيوان نقلا عن الجاحظ حيث قال ما ملخصه ان عمرو بن يربوع كان متولدا بين السعلاه والانسان قال وذكروا أن جرهما كان من نتاج الملائكة والآدميين فكان اذا عصى الملك ربه فى السماء اهبط الى الارض فى صورة رجل كما صنع بهاروت وماروت وأن من هذا القبيل كانت بلقيس ملكة سبا وكذلك كان ذو القرنين وكانت امه ادمية وابوه من الملائكة ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا ينادى رجلا ياذا القرنين قال افرغتم من اسماء الانبياء فارتفعتم الى اسماء الملائكة قال وزعموا أن التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والانس قال تعالى وشاركهم فى الاموال والاولاد وذلك أن الجنيات انما تعرض لصرع رجال الانس على جهة العشق فى طلب السفاد وكذلك رجال الجن لنساء الانس ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال والنساء للنساء وقال تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ولو كان الجان لا يفتض الآدميات ولم يكن ذلك فى تركيبه لما قال الله هذا القول انتهى غاية ما هنالك أن العلوية فى اعتقاد العرب آلهة فى اعتقاد اليونان واظن أن هذه المسئلة لو عرضت كالجارى على ارباب مدرسة فرانسا العظمى المسماة اكدمة لاجابت بعد النظر فيها بالصحة وايدت القول بذلك * وقد سلف فى عبارة القاموس اسماء البلاد التى تسمى باسكندرية وليس مما ينسب الى اسكندر الرومى الشهير بلدة الارناؤط المسماة اسكندرياسى يعنى اسكندرية بل هى منسوبة الى اسكندربيك * وقال بعضهم مدينة اسكندرية ببر مصر كانت تسمى قبل بناء الاسكندر لها بنحو ثلثمائة سنة واثنتين قبل ظهور عيسى عليه السلام قيسون بفتح القاف وسكون الياء التحتية * وقال الافرنج انها كانت تسمى نو بضم النون وقبل فتحها بالاسلام كانت تارة تحت حكم الرومان وتارة تحت حكم الاروام او اليونان * وفتحها عمرو بن العاص بامر عمر بن الخطاب ولما فتحها كتب الى عمر رضى الله عنهما انه وجد بها اربعة آلاف قصر واربعة

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

آلاف حمام وار بعين الف يهودى تدفع الجزية وار بعمائة ميدان واثنى عشر
الف بقال وخضرى وفاكهانى ولعل هذا من مبالغات المؤرخين كما بالغوا
فى غيرها من البلاد كمدينة بغداد * ومن عجائب مافيها خزانة الكتب التى حرقها
عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه فكانت عدة مافيها من الكتب سبعمائة
الف مجلد وقد كان اهل هذه المدينة فى سالف الزمان ثلثمائة الف نفس تقريبا
واهلها الآن اقل من ذلك بكثير وقد تغلب عليها الفرنسيس ثم اخرجهم
الانكليز منها ورجعت الى يد الاسلام وهى الآن يلوح عليها انوار العمارات
بانفاس صاحب السعادة وبها بهجة التجارة كما انها كانت فى الزمن السابق مركزا
للتجارات وصارت فى هذا الوقت دار اقامة صاحب السعادة فى اغلب الاوقات
وهى اشبه وضعا وعمارة بفرضات الافرنج وهى على الشمال الغربى من القاهرة
بنحو خمسين فرسخا موضوعة فى احدى وثلاثين درجة وثلاث عشرة دقيقة
من العرض يعنى درجة البعد عن خط الاستواء وسيأتى ذكر المسافة بينها
وبين باريس

(الفصل الثالث)

فى ركوب البحر المالح المتصل بثغر سكندرية * اعلم أن هذا البحر يسمى فى كتب
الجغرافيا العربية بحر الروم لأنه يتصل احد جهاته ببلاد الروم ويسمى ايضا
فيها بحر الشام لمجاورته ايضا لبلاد الشام ويسمى ايضا عند الافرنج البحر المتوسط
اوالجوانى وانما سمى بذلك لأنه داخل الاراضى الناشفة بخلاف البحر المحيط
فانه محيط بجميع الاراضى حتى قال بعضهم انه متواصل الجريان تحت
الاراضى العالية على سطح مائه وان حقق بعضهم خلافه لوجود الاراضى
اليابسة تحت سطحه كبعض اراضى الموسقو * ويسمى هذا البحر الجوانى
باللسان التركى بحر سفيد والبحر الابيض لمقابلته ببحر بنطش او البحر الاسود
وهناك بحر آخر يسمى بالبحر الابيض وهو فى بلاد الموسقو وهو المراد بالبحر
الابيض فى اطلاقات علماء الجغرافيا وكان ركوبنا هذا البحر عصر يوم الاربعاء
خامس يوم من رمضان وقد امتطينا سفينة حرب فرنساوية لاتغادر فى فؤاد

الانسان

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

الانسان رعبا * ورزينة صناعة تجذب قلب الراكب حتى يصير في وسطها اصبا * محتوية على سائر ما يحتاج اليه من الحرف والصنائع * مشتملة على آلات الحروب وعلى الحربجية ومحصنة بثمانية عشر من المدافع * وكان مجراها يوم الخميس سادس يوم من شهر رمضان المبارك وكان هبوب الريح وقتئذ خفيفا فسرنا من غير اشعار بالسير * فتوسمنا في وجهها الخير * ولم نتألم بذلك وكنت قبل ركوب البحر عملت بما علمه لي بعض من سافر من العلماء الى اسلامبول من تجرع حثوات عظيمة من ماء البحر المالح وقال انه يدفع المه فكان الواقع انه لم يحصل لي الم على اني حين نزلت المركب كنت متمرضا بالحمى فبرئت منها بمجرد السفر وحركة السفينة * ورب ما صحت الاجسام بالعلل * ولا زلنا نسير من غير شدة تحرك واضطراب نحو اربعة ايام وبعدها عصفت الرياح * وتموج ماء البحر وتلاعب بذات الالواح تلاعب الاشباح بالارواح * فلازم اكثرنا الارض * وتوسل جميعنا بالشفيع يوم العرض * ووقع عندنا الموقع قول بعض الظرفاء خاطر من ركب البحر واشد منه خطرا من جالس الملوك بغير علم ومعرفة وتحقق عندنا تضمين بعضهم لهزل ابي نواس في قوله

* رأيت جميع الهائلات محيطة * بوطيء لاجل الحمل جارية البحر *
* فاقسمت عمري لا ركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على الظهر *

غير أن المعتمد على الكريم * لا يخشى من الخطب العظيم * وما احسن قول من قال

* لما ركبنا بحر * وكاد من خاف يتلف *
* على الكريم اعتمدنا * حاشاه أن يتخلف *

وقد ذهب هذا الامر بعد نحو ثلاثة ايام وصار يزور غبا ومما يستحسن في طباع الافرنج دون من عداهم من النصارى حب النظافة الظاهرية فان جميع ما ابتلى الله سبحانه وتعالى به قبطة مصر من الوخم والوسخ اعطاه للافرنج من النظافة ولو على ظهر البحر فان اهل المركب التي كنا فيها يحافظون على تنظيفها واذهاب الوسخ ما امكن حتى انهم يغسلون مقعدها كل يوم من الايام

ويكنسونها فى صف النوم كل نحو يومين وينفضون الفراش وغيره ويشممونها رائحة الهواء ويزيلون اوخامها مع أن النظافة من الايمان وليس عندهم منه مثقال ذرة ومع ما عند الفرنساوية من النظافة الغريبة بالنسبة لبلادنا فانهم لايعدون انفسهم من الامم كثيرة الاعتناء بالنظافة كما يفهم من هذه العبارة المترجمة من كتاب العوائد والاخلاق المؤلف باللغة الفرنساوية وعبارته اعظم الناس اعتناء بنظافة المنازل اهل الفلمنك فتجد فى مدنهم غالب حاراتهم مبلطة بالحجر الابيض المتعهد بالتنظيف وبيوتهم مجملة من خارجها ايضا وشبابيكهم القزاز تغسل دائما بل وحيطانهم الخارجة وقد توجد النظافة فى حصة من بلاد الانكليز وبلاد الاقاليم المجتمعة من امريكة وهى قليلة فى فرانسا والنمسا وغيرهما ومن الامم من هى كثيرة الاتساخ وكثيرة القمل بل تجد بعض اناس يأكلهم القمل ولايبالون وقد ذهب داء البرص من منذ انتشار الاقمصة البيض التى تغسل ويغيرها كل اسبوع مرة اوعدة مرات فالملابس البيض من جملة ما انتج النظافة والسلامة من آثار الاوساخ الرديئة انتهى

(الفصل الرابع فيما رأينا من الجبال والبلاد والجزائر)

قدمرنا على جزيرة كريد سابع يوم من سفرنا ورأينا على بعد جبلها الشامخ المسمى عند اليونان ايدا الشهير بالامور الغريبة فى تواريخهم ثم فى اليوم الثالث عشر منه رأينا جزيرة سيسيليا بالمهملتين وبعضهم يكتبها بالمعجمتين وهى مشهورة باللسان العربى باسم صقالية اوصقلية وهذه الجزيرة على الجنوب من بلاد ايطاليا منفصلة عنها بالبغاز المسمى بغاز مسينة بفتح الميم وتشديد السين المكسورة المهملة وسكون الياء وفتح النون وهى من اعظم جزائر البحر المتوسط واخصبها ولذلك كانت تسمى فى الزمن السابق شونة رومة وكانت فى الاعصر السالفة سببا لحرب الرومانيين مع اهل قرطاجة اى سكان الغرب ثم انتهى الامر الى أنها وقعت تحت حكم الرومانيين ثم انتقلت منهم الى ملوك اليونان ثم فتحها المسلمون ثم تغلب عليها النصارى

الترمندية بضم النون المشددة وسكون الراء وفتح الميم وكسر الدال وفتح الياء المشددة فرقة من اهل الشمال وهم سكان اقليم نرمنديا الذى هو الآن من ايالات فرانسا ثم حكمها بعض ملوك الاسبانيول ثم النيمسا ثم انتهى الامر الى أن كانت جزأ من مملكة نابلى الكتان المسماة بولية حتى انها هى ونابلى قد يسميان الآن عند الافرنج السيسيليتين بتغليب سيسيليا على نابلى وفى كتب الجغرافيا أن اهل هذه الجزيرة مائة الف نفس ومدنها فوق الجبال وقد رأينا بهذه الجزيرة على بعد فى اليوم الرابع عشر الجبل المسمى منتثنا بفتح الميم وسكون النون وكسر التاء الفوقية وسكون الثاء المثلثة ومنتثنا كلمة مركبة من كلمتين احداهما منت معناها جبل والاخرى اثنا فالاحسن كتابتها هكذا امنت اثنا وهو مشهور الآن بلفظة جبيل و يظهر لى أن هذا الاسم تحريف جبل فهو عربى ادخله المسلمون فى هذه الجزيرة واطلقوه على هذا الجبل فبقى بعد خروجهم الى الآن وتغير بتحريف اهل هذه الجزيرة له وهذا الجبل جبل نار فانه يخرج منه بالنهار دخان و بالليل لهب وقد يقذف مواد حجرية محترقة ثم ان جبال النار تسمى بالافرنجية الجبال البلكانية ويسمى الجبل النارى بلكان بضم الباء الموحدة وسكون اللام ويقال ولكان بضم الواو وقد صحف هذا الاسم بالعربية الى لفظة بركان بالراء ولعله تعريب عن لغة اهل الاندلس ويسمى طهمه بفتح الطاء وسكون الهاء كما ذكره المسعودى فى كتابه المسمى مروج الذهب وفوهة البركان تسمى بالفرنساوية كراتيره بكاف وتاء فوقية مكسورتين وفتح الراء الثانية ولا يوجد جبل النار غالبا الا فى الجزائر وقد ذكر ارباب رصد هذا الجبل أن ارتفاعه على ظهر سطح البحر المحيط الف وتسعمائة قدم وثلاثة اقدام وأن دورة قاعدته نحو خمسة وخمسين فرسخا فرنساويا ودائرة فوهته ربع فرسخ * ثم ان العادة أن جبل النار يهيج ثم يسكن ثم يهيج وقد يمكث مدة مطفيا حتى يظن الناس خموده بالكلية ثم يهيج ثانيا بعد مضى مدة اعصر وقد هاج جبل اثنا احدى وثلاثين مرة ومنها هيجانه سنة الف وثمانمائة وتسعة بتاريخ الافرنج واعظم هيجانه ما كان سنة سبعمائة وثلاث وتسعين حيث

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

خرب مدينة كابان واهلك ثمانية عشر الف نفس وعلامة هيجان البراكين شدة العجيج والقرقعة والدوى تحت الارض وابتداء التدخين اوازدياده قال بعض الطبائعية اننا اذا قابلنا حوادث الزلازل بحوادث البراكين رأينا كأن هاتين الحادثتين معلولتان لعلة واحدة وهى النيران التى تحت الارض اى المحتقنة فى باطنها الا أن آثار الزلازل اوسع من آثار البراكين يعنى أن آثار الزلازل تظهر فى متسع عظيم من الارض بخلاف آثار جبال النار فلا تمتد الا بجوار قرب جبل النار وقد جرت العادة ايضا أن الزلزلة تعظم بقدر البعد من البركان وعلل ذلك بعضهم بقوله ان النار التى تحت الارض تحاول منفسا لتخرج منه فان كان فى الارض بركان فانها تخرج منه فتذهب قوة النار فتنفقد الزلزلة بخلاف الارض الخالية عن البراكين فان النيران تحاول منفسا فيها فلا تجده فترتج الارض بذلك وقال بعض الحكماء ايضا ان كلا من الحوادث البركانية والزلازل صادر عن جاذبية المحاكة المسماة بالفرنساوية الاكتريستة بكسر الهمزة وسكون الكاف وكسر التاء والراء وكسر السين وفتح التاء المسماة الرسيس بفتح الراء المشددة وكسر السين التى هى خاصة الكهربا عند حكها قال بعضهم فى رد هذا القول انه ينافى ما اعتمده بعض الحكماء فى بناء الارض ونظم طبقات صخورها ومن القواعد المقررة أن ثوران البركان يغلب كل ماقل علوه ويقل كلما عظم العلو وهذا ما جرت به العادة والله سبحانه وتعالى اعلم * وفى اليوم الخامس عشر رسونا على مدينة مسينة ولم نخرج من السفينة ابدا لانهم لا يمكنون من يجئ من البلاد الشرقية الى بلادهم أن يدخلها الا بعد الكرنتينة وهى مكث ايام معلومة لاذهاب رائحة الوباء ولكنهم يجيئون للانسان بسائر ما يحتاج ويناولهم الثمن فيضعونه فى اناء فيه خل ونحوه مع التحفظ التام (راجع الفصل الاول من المقالة الثانية) وقد تزودنا من هذه المدينة ما احتجنا اليه من الفواكه والخضراوات والمياه العذبة الى آخره واقمنا بموردتها خمسة ايام وشاهدنا من بعد قصورها العالية وهيا كلها الشامخة السامية ورأيناها توقد قناديلها ووقداتها قبل أن يدخل وقت الغروب وتمكث بعد شروق الشمس

والظاهر

والظاهر أن مدة مرورنا بها كانت عيدا حيث انا سمعنا بها اصوات النواقيس مدة اقامتنا حتى ان ضربهم النواقيس مطرب جدا وقد صنعت فى ليلة من هذه الليالى فى المحادثة مع بعض الظرفاء مقامة ظريفة مضمونها ثلاثة معان الاول المجادلة فى انه لا مانع من ان الطبيعة السليمة تميل الى استحسان الذات الجميلة مع العفاف وانشأت فى ذلك جملة شواهد لطيفة وانشأت فيه قولى

* اصبو الى كل ذى جمال * ولست من صبوتى اخاف *
* وليس بى فى الهوى ارتياب * وانما شيمتى العفاف *

الثانى سكر المحب من معانى خمر عينى محبوبه واستغنائه عن الراح براحته وانشأت فى هذا المعنى قولى

* قد قلت لما بدا والكأس فى يده * وجوهر الخمر فيها شبه خديه *
* حسبى نزاهة طرفى فى محاسنه * ونشوتى من معانى سحر عينيه *

الثالث فى تأثر النفس بضرب الناقوس اذا كان من يضرب الناقوس ظريفا يحسن ذلك وقد انشدت فى هذا المعنى قول الشاعر

* مذ جاء يضرب بالناقوس قلت له * من علم الظبى ضربا بالنواقيس *
* وقلت للنفس اى الضرب يؤلمكى * ضرب النواقيس ام ضرب النوى قيسى *

وذيلتها ببعض ابيات مجنسة والبحث فى معناها ونوع تجانيسها وبالجواب عن بعض الغاز نحوية الى آخره وليس هذا محل بسط الكلام فى ذلك ثم سرنا من هذه المدينة اليوم المتمم العشرين من مدة سفرنا وسرنا حتى حاذينا جبل النار وجاوزناه وفى الرابع والعشرين جاوزنا مدينة نابلى وقد كانت قديما تسمى باللغة التركية پولية وتعدينا بنحو تسعين ميلا فانعكس الريح وصار قدام السفينة هابا من المقصد اليها فصارت تميل عن المقصد لا اليه لانه من جهة الهواء ويعجبنى قول بعضهم

* ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الى فقلت من الم النوى *
* لم لا تميل الى يا غصن النقا * فاجاب كيف وانت من جهة الهوا *

وقول الصلاح الصفدى

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

* تقول له الاغصان اذهز عطفه * اتزعم أن اللين عندك قد نوى *
* فقم نحتكم فى الروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منامع الهوى *

فبانعكاس الريح رجعنا الى مدينة نابلى بعد أن جاوزناها ورسونا عندها ولم ندخلها لما تقدم وهى من المدن العظمى ببلاد الافرنج وملكها يحكم على بلاد جزيرة صقلية المتقدمة ومدينة نابلى هى كرسى هذا الملك وقد تسمى باللغة العربية نابلى الكتان بفتح الهمزة وكسر اللام وسكون الكاف وقد كانت مملكة نابلى فى يد الاسلام ومكثت نحو مائتى سنة ثم تغلبت عليها النصارى النورمندية هى ومملكة صقلية ولم تزل الى الآن فى ايدى النصارى الايطاليانية حتى انها تسمى بلاد ايطاليا الجنوبية وقد اسلفنا أن مدينة نابلى هى احدى البنادر الاربعة الاصلية بالبلاد الافرنجية ثم رأينا فى اليوم التاسع والعشرين جزيرة قرسقه بضم القاف وسكون الراء وضم السين وفتح القاف التى هى فى حكم الفرنسيس وتسمى الآن جزيرة قرس وقد فتحها المسلمون ولم يمكثوا فيها زمنا طويلا وهى وطن نابليون بضم الباء وسكون اللام وبالياء الشهير باسم بونابارته الذى تغلب على مصر فى غزوة الفرنساوية ثم تولى سلطنة فرانسا مع أن اباه كان رئيسا فى الطوبجية وفى اليوم الثالث والثلاثين رسونا على فرضة مرسيليا فكانت مدة مكثنا فى البحر ثلاثة وثلاثين يوما ومنها امكثنا خمسة ايام قدام مسينة بفتح الميم وتشديد السين المكسورة وفتح النون ونحو يوم قدام نابلى وتأخرنا كثيرا بلعب الرياح ولولا ذلك لوصلنا فى اقل من هذه المدة بشئ يسير

* (المقالة الثانية) *

* (الفصل الاول فى مدة اقامتنا فى مدينة مرسيليا) *

قد رسونا على موردة مرسيليا التى هى احدى فرض بلاد فرانسا فنزلنا من سفينة السفر فى زوارق صغيرة فوصلنا الى بيت خارج المدينة معد للكرنتينة على عادتهم من أن من اتى من البلاد الغريبة لابد أن يكرتن قبل أن يدخل المدينة ولنذكر هنا ما قيل فى الكرنتينة بين علماء المغرب على ما حكاه لى بعض من يوثق به من فضلاء الغرب قال وقعت بين العلامة الشيخ محمد المناعى التونسى

المالكى

المالكى المدرس بجامع الزيتونة ومفتى الحنفية العلامة الشيخ محمد البيرم المؤلف عدة كتب فى المنقول والمعقول وله تاريخ دولة بنى عثمان من مبدئها الى السلطان محمود الحالى محاورة فى اباحة الكرنتينة وحظرها فقال الاول بتحريمها والثانى باباحتها بل وبوجوبها والف فى ذلك رسالة واستدل على ذلك من الكتاب والسنة واقام الاول الادلة على التحريم والف رسالة فى ذلك على اعتماده فيها فى الاستدلال على أن الكرنتينة من جملة الفرار من القضاء ووقعت بينهما محاورة ايضا نظيرهذه فى كروية الارض وبسطها فالبسط للمناعى والكروية لخصمه وممن قال من علماء المغرب بأن الارض مستديرة وانها سائرة العلامة الشيخ مختار الكنتاوى بارض ازوات بقرب بلاد تمبكتو وهو مؤلف مختصر فى فقه مالك ضاهى به متن خليل وضاهى ايضا الفية ابن مالك فى النحو وله غيرذلك من المصنفات فى العلوم الظاهرية والباطنية كأوراد واحزاب كحزب الشاذلى وقد الف كتابا وسماه النزهة جمع فيه جملة علوم فذكر بالمناسبة علم الهيئة فتكلم على كروية الارض وعلى سيرها ووضح ذلك فتلخص من كلامه أن الارض كرة ولا يضر اعتقاد تحركها او سكونها * مات هذا الشيخ سنة الف ومأتين وست وعشرين من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى السلام وخلفه حفيده المسمى باسمه ثم ان هذا البيت الذى كنا فيه للكرنتينة متسع جدا به القصور والحدائق والبناء المحكم فبه عرفنا كيفية احكام ابنية هذه البلاد واتقانها وامتلائها بالرياض والحياض الى آخره ولم نشعر فى اول يوم الا وقد حضر لنا امور غريبة فى غالبها وذلك أنهم احضروا لنا عدة خدم فرنساوية لا نعرف لغاتهم ونحو مائة كرسى للجلوس عليها لان هذه البلاد يستغربون جلوس الانسان على نحو سجادة مفروشة على الارض فضلا عن الجلوس بالارض ثم مدوا السفرة للفطور ثم جاؤا بطبليات عالية ثم رصوها من الصحون البيضاء الشبيهة بالعجمية وجعلوا قدام كل صحن قدحا من القزاز وسكينا وشوكة وملعقة وفى كل طبلية نحو قزازتين من الماء واناء فيه ملح وآخر فيه فلفل ثم رصوا حوالى الطبلية كراسى لكل واحد كرسى ثم جاؤا بالطبيخ

فوضعوا فى كل طبلية صحنا كبيرا او صحنين ليغرف احد اهل الطبلية ويقسم
على الجميع فيعطى لكل انسان فى صحنه شيأ يقطعه بالسكين التى قدامه
ثم يوصله الى فمه بالشوكة لا بيده فلا يأكل الانسان بيده اصلا ولا بشوكة غيره
او سكينه او يشرب من قدحه ابدا ويزعمون أن هذا انظف واسلم عاقبة ومما
يشاهد عند الافرنج انهم لا يأكلون ابدا فى صحون النحاس بل ولا فى اوانيه ابدا
ولو مبيضة فهى للطبخ فقط بل دائما يستعملون الصحون المطلية وللطعام عندهم
عدة مراتب معروفة وربما كثرت وتعددت كل مرتبة منها فاول افتتاحهم
الطعام يكون بالشوربة ثم بعده باللحوم ثم بكل نوع من انواع الاطعمة
كالخضراوات والفطورات ثم بالسلطة وربما كانت الصحون المطلية بلون الطعام
المقدم فصحون السلطة مثلا خضر منقوشة بلون السلطة ثم يختمون اكلهم
بأكل الفواكه ثم بالشراب المخدر الا أنهم يتعاطون منه القليل ثم بالشاى
والقهوة وهذا الامر مطرد للغنى والفقير كل على حسب حاله ثم ان الانسان كلما
اكل طعاما فى صحنه غيره واخذ صحنا غير مستعمل ليأكل فيه طعاما آخر
ثم انهم احضروا لنا آلات الفراش والعادة عندهم انه لابد أن ينام الانسان
على شئ مرتفع نحو سرير فاحضروا ذلك لنا ومكثنا فى هذا المحل ثمانية عشر
يوما لا نخرج منه ابدا غير أنه متسع جدا وفيه حدائق عظيمة ومحال متسعة
للتماشى فيها والتنزه فى رياضها ومن هذا البيت ركبنا العربات المزينة المجملة
التى تستعمل عندهم اثناء الليل واطراف النهار تقرقع وسرنا بها الى بيت فى المدينة
لكنه فى حواشيها من القصور المصنوعة خارج المدينة بحدائقها وادواتها
فمكثنا منتظرين التوجه الى مدينة باريس ومدة مكثنا فى هذا البيت كنا
نخرج بعض ساعات للتسلى فى البلد وندخل بعض القهاوى والقهاوى عندهم
ليست مجمعا للحرافيش بل هى مجمع لارباب الحشمة اذ هى مزينة بالامور العظيمة
النفيسة التى لا تليق الا بالغنى التام واثمان ما فيها غالية جدا فلا يدخلها الا اهل
الثروة واما الفقراء فانهم يدخلون بعض قهاوى فقيرة او الخمارات والمحاشش
ومع ذلك هذه المحال ايضا مجملة تجملا نسبيا وقد اسلفت أن مدينة سكندرية

تشبه

تشبه فى حالها مرسيليا واذ كرهنا أن الفرق بينهما اتساع السكك والطرق اتساعا مفرطا للمرور بجملة عربات معا فى طريق واحد والآن صارت الاسكندرية بالهمة الخديوية بنحو ذلك ثم ان سائر القاعات او الاروقة او المنادر العظيمة يوضع فى حيطانها الجوانية مرآة عظيمة كبيرة حتى انه ربما كانت سائر جوانب القاعة كلها من زجاج المرآة ليظهر لها رونق عظيم فاول مرة خرجنا الى البلدة مررنا بالدكاكين العظيمة الوضع المزججة بهذه المرآى والمشحونة بالنساء الجميلات وكان هذا الوقت وقت الظهيرة وعادة نساء هذه البلاد كشف الوجه والرأس والنحر وما تحته والقفا وما تحته واليدين الى قرب المنكبين والعادة ايضا أن البيع والشراء بالاصالة للنساء واما الاشغال فهى للرجال فكان لنا بالدكاكين والقهاوى ونحوها فرجة عليها وعلى ما يعمرها وكان اول ما وقع عليه بصرنا من التحف قهوة عظيمة دخلناها فرأيناها عجيبة الشكل والترتيب والقهوجية امرأة جالسة على صفة عظيمة وقدامها دواة وريش وقائمة وفى قاعة بعيدة عن الناس محل لعمل القهوة وبين محل جلوس الناس ومحل القهوة صبيان القهوة ومحل الجلوس للناس مرصوص بالكراسى المكسوة بالمخمرات وبالطاولات المصنوعة من الخشب الكابلى الجيد وكل طاولة مفروشة بحجر من الرخام الاسود او المنقوش وفى هذه القهوة يباع سائر انواع الشراب والفطورات فاذا طلب الانسان شيأ طلبه الصبيان من القهوجية وهى تأمر باحضاره له وتكتبه فى دفترها وتقطع به ورقة صغيرة فيها الثمن وتبعثها مع الصبى للطالب حين يريد الدفع والعادة أن الانسان اذا شرب القهوة احضر له معها السكر ليخلطه فيها او يذيبه ويشربه ففعلنا ذلك كعادتهم وفنجان القهوة عندهم كبير نحو اربعة فناجين من فناجين مصر وبالجملة فهو قدح لا فنجان وبهذه القهوة اوراق الوقائع اليومية لاجل المطالعة فيها وحين دخولى بهذه القهوة ومكثى بها ظننت أنها قصبة عظيمة نافذة لما أن بها كثيرا من الناس فاذا بدا جماعة داخلها او خارجها ظهرت صورهم فى كل جوانب الزجاج وظهر تعددهم مشيا وقعودا وقياما فيظن أن هذه القهوة طريق وما عرفت أنها

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

فهوة مسدودة الابسبب أنى رأيت عدّة صورنا فى المرآة فعرفت أن هذا كله بسبب خاصية الزجاج فعادة المرآة عندنا أن تثنى صورة الانسان كما قال بعضهم فى هذا الشأن

* ابرقع منظر المرآة عنه * مخافة أن تثنيه لعينى *

* اقاسى ما اقاسى وهو فذ * فكيف اذا تجلى فرقدين *

وعادتها عند الافرنج بسبب تعددها على الجدران وعظم صورتها أن تعدد الصورة الواحدة فى سائر الجوانب والاركان ومن كلامى

* يغيب عنى فلا يبقى له اثر * سوى بقلبى ولم يسمع له خبر *

* فحين يلقى على المرآة صورته * يلوح فيها بدوركلها صور *

وقال شيخنا العطار لم ارالطف تخيلا فى هذا المعنى من قول ابن سهل

* القى بمرآة فكرى شمس صورته * فعكسها شب فى احشائى اللهبا *

قال الحريرى فى مليح بيده مرآة

* رأى حسن صورته فى المراه * فاصبح صبا بها مدنفا

* وصير يعقوب اسما له * بشير بأن قد رأى يوسفا

وسيأتى كمال الكلام على ذلك كله فى ذكر مدينة باريس ومدّة اقامتنا فى مرسيليا بعد الكرنتينة شغلناها ايضا بتعلم تقطيع الحروف يعنى تعلم تهجى اللغة الفرنساوية ثم انه يوجد فى مدينة مرسيليا كثير من نصارى مصر والشام الذين خرجوا مع الفرنساوية حين خروجهم من مصر وهم جميعا يلبسون لبس الفرنسيس وندر وجود احد من الاسلام الذين خرجوا مع الفرنسيس فان منهم من مات ومنهم من تنصر والعياذ بالله خصوصا المماليك الجورجية والجركسية والنساء اللواتى اخذهن الفرنسيس صغار السن وقد وجدت امرأة عجوزا باقية على دينها وممن تنصر انسان يقال له عبد العال ويقال انه كان ولاه الفرنسيس بمصر اغاة انكشارية فى ايامهم فلما سافروا تبعهم وبقى على اسلامه نحو خمس عشرة سنة ثم بعد ذلك تنصر والعياذ بالله بسبب الزواج بنصرانية ثم مات بعد قليل ويقال انه سمع منه عند موته يقول

اجرنى

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

اجرنى يارسول الله ولعله ختم له بخير وعاد الى الاسلام فقال بلسان الحال
الحمد لله الحنيفة ملتى * والله ربى وابن امنة نبى * ولقد رأيت له ولدين وبنتا
اتوا فى مصر وهم على دين النصرانية احدهما معلم الآن فى مدرسة ابى زعبل
ومثله ما حكاه لى بعضهم أن سرعسكر المسمى منو المتولى فى مصر بعد قتل
الجنرال كليبر بفتح الكاف وكسر اللام وكسر الباء كان اسلم فى مصر نفاقا
كما هو الظاهر وتسمى عبد الله وتزوج بنت شريف من اشراف رشيد فلما خرج
الفرنسيس من مصر واراد الرجوع اخذها معه فلما وصل رجع الى النصرانية
وابدل العمامة بالبرنيطة ومكث مع زوجته وهى على دينها مدة ايام فلما ولدت
واراد زوجها أن يعمد ولده على عادة النصارى لينصره أبت الزوجة ذلك وقالت
لا انصر ولدى اصلا ولا اعرضه للدين الباطل فقال لها الزوج ان كل الاديان حق
وان ما آلها واحد وهو عمل الطيب فلم ترض بذلك ابدا فقال لها ان القرآن ناطق
بذلك وانت مسلمة فعليك أن تصدقى بكتاب نبيك ثم ارسل باحضار اعلم الافرنج
باللغة العربية البارون دساسى فانه هو الذى يعرف يقرأ القرآن وقال لها سليه
عن ذلك فسألته فاجابها بقوله انه يوجد فى القرآن قوله تعالى ان الذين امنوا
والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فحجها بذلك فأذنت
بمعمودية ولدها ثم بعد ذلك انتهى الامر على ماقيل أنها تنصرت وماتت كافرة

كل دين ان فاتك الاسلام * فمحال لانه اوهام

ومما رأيته من جملة المصريين فى مرسيليا انسان لابس ايضا كالافرنج واسمه
محمد منطلق اللسان فى غير اللغة العربية فلا يعرف من اللسان العربى الا اليسير
فسألته عن بلده ببر مصر فاجاب بأنه من مدينة اسيوط من اشرافها وأن اباه
يسمى السيد عبد الرحيم وهو من اكابر هذه البلدة وامه تسمى مسعودة اوقريبا
من ذلك الاسم وأنه اختطفه الفرنساوية فى حال صغره ويقول انه باق على
اسلامه وانه يعرف من الامور الدينية الله واحد ومحمد رسوله والله كريم ومن
العجائب انى بعد كلامه توسمت فيه الخير وكان على وجهه سمة اشراف اسيوط

حقيقة فان صح كلامه كان من اولاد سيدى حريز ابن سيدى ابى القاسم الطهطاوى واشراف طهطا من اولاد سيدى يحيى ابن القطب الربانى سيدى ابى القاسم وله ولد ثالث يسمى سيدى على البصير ذريته اهل جزيرة شندويل وشهرة سيدى ابى القاسم الطهطاوى لا تخفى على من يعرفه وان لم يذكره سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى الطبقات وكثير من الاشراف بالبلاد العثمانية ينتهى نسبهم الى سيدى حريز المتقدم ومما رأيته فى مرسيليا الملعبة المسماة السبكتاكل وامرها غريب ولا يمكن معرفتها بوصفها بل لا بد من رؤيتها بالعين ولنذكرها فى الكلام على باريس ومكثنا فى هذه البلدة خمسين يوما وتوجهنا الى باريس

(الفصل الثانى فى الخروج من مرسيليا الى دخول باريس وفى المسافة بينهما)

اعلم أن عادة المسافرين من مرسيليا الى باريس بالعربات أن يستأجروا العربة او موضعا فيها فاما أن يأكلوا على كيسهم او يدفعوا قدرا معلوما للعربية والقوت مدة الطريق ثم ان السفر يكون ليلا ونهارا الاوقت الاكل ونحوه وكل البلاد التى فى الطريق فيها مواضع معدة للطعام والشراب مشتملة على سائر انواع المطعومات والمشروبات فى غاية النظافة والظرافة وفيها محال للنوم مفروشة بالفرش العظيم وبالجملة فهى مستكملة الآلات والادوات فلما ركبنا عربات السفر كل جماعة منا فى يوم وسرنا من مرسيليا سيرا سريعا مستمرا على حالة واحدة ولا يتأثر الانسان كسفر البحر بالرياح ونحوها وصلنا مدينة ليون فى ضحوة اليوم الثالث ومدينة ليون على البعد من مرسيليا باثنين وتسعين فرسخا فرنساويا ومن ليون الى مدينة باريس مائة وتسعة عشر فرسخا ومن مرسيليا الى باريس مائتان واحد عشر فرسخا فرنساويا وقد مكثنا فى ليون نحو اثنتى عشرة ساعة للاستراحة ولم ارداخل هذه المدينة الا بالمرور فيها او من شباك البيت الذى كنا فيه

ومن لم يستطع اعلام رضوى * لينزل بعضها نزل السفوحا

ثم سرنا منها الى باريس فدخلناها صبيحة اليوم السابع من خروجنا من مرسيليا وقد مررنا بقرى كثيرة واغلبها مشتمل على البيع والشراء والحفر عظيمة الابنية مزينة بالاشجار وبالجملة فالقرى مسلسلة متصلة ببعضها غالبا خصوصا

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

مع جد السير حتى ان الانسان لا يظن الا أنه فى بلدة واحدة والمسافرون غالبا فى ظل الاشجار المرصوصة بوجه مرتب مطرد فى سائر الطرق وندر تخلفه فى بعض المحال ثم ان الظاهر فى هذه القرى والبلاد الصغيرة ان جمال النساء وصفاء ابدانهن اعظم من ذلك فى مدينة باريس غير ان نساء الارياف اقل تزيينا من نساء باريس كما هو العادة المطردة فى سائر بلاد العمران

(المقالة الثالثة)

الفصل الاول فى تخطيط باريس من جهة وضعها الجغرافى وطبيعة ارضها ومزاج اقليمها وقطرها

اعلم أن هذه المدينة تسمى عند الفرنسيس پارى بالباء الفارسية التى تلفظ بين الفاء والباء ولكن يكتب هذا الاسم باريس ولا ينطق بالسين ابدا فيه كما هو عادة الفرنساوية من أنهم يكتبون بعض الحروف ولا يلفظون بها ابدا خصوصا حرف السين فى آخر بعض الكلمات فانه لا ينطق به ابدا مثلا اتينه بامالة التاء مدينة حكماء اليونان تكتب بالفرنساوية اتينس وتقرأ اتين ثم ان العرب والترك ونحوهم يكتبون باريس او بريس او باريزور بما قالوا فارس واظن أن الاوفق كتابتها بالسين وان اشتهر على السنة غير اهلها قراءتها بالزاى ولعل ذلك انما نشأ عن أن السين فى اللغة الفرنساوية قد تقرأ زايا فى بعض الاحيان ببعض شروط وان كانت مفقودة هنا الا فى حال النسبة فان النسبة الى باريس عند الفرنسيس بارزيانى وهذا بعينه هو السبب لان النسبة ترد الاشياء الى اصولها ولكن هذه القاعدة فى النسبة العربية والنسبة هنا اعجمية وقد مشيت فى بعض اشعارى التى انشدتها فيها على كتابتها بالسين حيث قلت

*لئن طلقت باريسا ثلاثا * فما هذا لغير وصال مصر*
*فكل منهما عندى عروس * ولكن مصر ليست بنت كفر

وقلت

*لقد ذكروا شموس الحسن طرا * وقالوا ان مطلعها بمصر

*ولكن لو راوها وهى تبدو * بباريس لخصوها بذكر*

وسميت بذلك لان طائفة من قدماء الفرنساوية كانت على نهر السين تسمى البار يزيين ومعناها فى اللسان القديم الفرنساوى سكان الاطراف والحواشى وليس هذا الاسم منقولا عن باريس اسم رجل شهير كما قاله بعضهم ثم ان هذه المدينة من احمر مدائن الدنيا ومن اعظم مدائن الافرنج الآن وهى كرسى بلاد الفرنسيس وقاعدة ملك فرانسا وسيأتى تفصيل ذلك فى محله وهى موضوعة فى التاسعة والاربعين درجة وخمسين دقيقة من العرض الشمالى يعنى أنها بعيدة عن خط الاستواء جهة الشمال بهذا القدر واما طولها فانه يختلف فاذا اعتبرنا خط نصف النهار الذى ينسب اليه الفرنساوية اطوال سائر الاماكن وهو خط نصف النهار المرسوم فى رصدهم السلطانى وهو يمر بباريس فهو حينئذ مبدأ الاطوال على حساب الفرنساوية كان طولها صفرا واما اذا حسبنا على خط نصف النهار الذى كان يأخذ بطلميوس الاطوال منه ولا زال الى الآن مبدأ اطوال بعض الامم كاهل الفلمنك وهو خط نصف نهار الجزائر الخالدات ببحر المغرب كانت باريس فى عشرين درجة تقريبا من الطول الشرقى ولنذكر لك هنا كيفية معرفة درجتى الطول والعرض من مكان من الامكنة وثمرة ذلك وان كان يخرجنا عما نحن بصدده فنقول اعلم أن علماء الهيئة قد اوضحوا بالادلة كروية الارض وانها غير صادقة التكوير ثم صنعوا على هيئتها صورة وسموها صورة الارض ولامكان تقسيم الارض وتسهيل معرفتها توهموا فيها دوائر انصاف نهار ودوائر متوازية ومحورا وقطبين ورسموها على صورتها المصطنعة فمحور الكرة الارضية هو الخط الموازى لمحور الفلك وطرفاه هما القطبان ويسمى احدهما القطب الشمالى والآخر القطب الجنوبى ودوائر انصاف النهار هى الدوائر التى تعبر من احد القطبين الى الآخر وعلة تسميتها بذلك انه اذا كانت الشمس فى سمت رأس محل يمر عليه هذا الخط دخل وقت الظهر بذلك المحل ومركز هذه الدوائر هو مركز الارض واما الدوائر المتوازية فهى الدوائر الواقعة اعمدة على دوائر انصاف النهار وهى التى بينها وبين مركزها توازٍ على محور الارض

واعظمها

واعظمها دائرة الاستواء وهى الدائرة العظمى المستوية البعد من القطبين وهى تنصف الكرة نصفين احدهما النصف الشمالى والآخر النصف الجنوبى ثم ان دوائر انصاف النهار والدوائر المتوازية كسائر الدوائر تنقسم الى ثلثمائة وستين درجة وكل درجة تتجزأ الى ستين دقيقة وكل دقيقة الى ستين ثانية وكل ثانية الى ستين ثالثة وهكذا وللافرنج تقسيم آخر جديد وهو أن الدائرة تنقسم الى اربعة ارباع وكل ربع يتجزأ مائة تسمى درجات مائينية وكل درجة مائة دقيقة مائينية وكل دقيقة مائة ثانية كذلك وهكذا وهذا نشأ عن استعمالهم الحساب الاعشارى والحساب المترى والاول اشهر استعمالا وبهذه الدوائر يتحدد الطول والعرض وذلك أن العرض هو بعد دائرة متوازية عن المتوازية العظمى التى هى دائرة الاستواء فان اخذته جهة الشمال كان عرضا شماليا ونهايته تسعون درجة وان كان جهة الجنوب فجنوبى ونهايته كذلك واما الطول فهو بعد خط نصف النهار عن خط نصف نهار آخر مصطلح على انه اولى وهو شرقى وقدره مائة وثمانون درجة وغربى وقدره كذلك وقد وضع اصحاب الجغرافيا فى الاكرة او الخرطات على كل دائرة متوازية ما تبعد به من الدرجات عن دائرة الاستواء كما جعلوا على كل دائرة نصف نهار عدد درج بعدها من دائرة نصف النهار الاولية وقد رسم كما اسلفناه بطليموس الحكيم دائرة نصف النهار الاولية فى الجزائر الخالدات فلما انكشفت بلاد امريكه اختار الافرنج أن يجعل اهل كل قطر من الاقطار خط نصف نهارهم الاولى ببلادهم لينسبوا اليها ماعداها كما صنع الفرنساوية فانهم جعلوا خط نصف نهارهم الاولى فى مدينة باريس وبقيت منهم امم كالفلمنك على اخذ الاطوال من جزيرة الحديد بالجزائر الخالدات وفى الواقع أن الاولى كما هو الظاهر اتخاذ مبدأ اطوال مشترك لجميع الامم ينسب اليه ماعداه ويكون فى قطر لاعمار بعده معلوم او ممتاز بمزية كمكة المشرفة ثم ان كيفية تحديد الطول حينئذ يمكن اخذها بتفاوت الاوقات وذلك انه من المعلوم أن الشمس او الارض كما يقوله الافرنج تقطع حركتها اليومية فى اربع وعشرين ساعة فهى تقطع من الدائرة التى ترسمها فى سيرها خمس عشرة

درجة فى كل ساعة فتقطع درجة كل اربع دقائق يعنى انه اذا دخل وقت الظهر فى القاهرة مثلا فلا يدخل وقته فى المكان الذى يبعد عنها جهة الغرب بخمس عشرة درجة الا بعد ساعة ويدخل بعد ساعتين فيما يبعد عنها ثلاثين درجة وهلم جرا وبعكس ذلك فى المكان الذى يبعد عنها جهة المشرق فانه اذا كان الظهر فى القاهرة يكون قد مضى ساعة بعد الظهر فى المكان الذى يبعد عنها جهة المشرق بخمس عشرة درجة ويكون مضى ساعتان فيما يبعد عنها فى هذه الجهة ثلاثين درجة الى آخره فلنذكر هنا حينئذ متى يكون الظهر فى باريس اذا كان الظهر فى اصول البلاد الغربية منها والشرقية وبذلك يفهم بعدها عن هذه البلاد فيقال اذا كان وقت الظهر فى مصر القاهرة لا يدخل وقته فى باريس الا بعد مضى ساعتين الا اربع دقائق واذا كان الظهر فى اسلامبول كان فى باريس بعد مضى ساعة وست واربعين دقيقة واذا كان فى بغداد كان دخوله فى باريس بعد ساعتين وثمان واربعين دقيقة وفى حلب اذا دخل الظهر لا يدخل فى باريس الا بعد ساعتين وثلث واذا دخل الظهر فى الجزائر لا يدخل فى باريس الا بعد اربع دقائق تقريبا واذا دخل فى تونس فيدخل فى باريس بعد مضى نصف ساعة ودقيقتين ووقت الظهر فى اصفهان يدخل فى باريس بعد مضى ثلاث ساعات واثنتين وعشرين دقيقة واذا كان فى مدينة بكين بكسر الباء والكاف كرسى ملك الصين يكون فى باريس سبع ساعات واحدى واربعين دقيقة وفى مدينة الباب والابواب تكون ساعة وثمانيا واربعين دقيقة وفى مدينة رومة الكبرى نصف ساعة وثمانى دقائق وهذه البلاد على الشرق من مدينة باريس واما البلاد التى على غربيها فاذا كان الظهر فى مدينة مدريد كرسى ملك الاندلس فانه يكون فات وقته فى باريس باربع دقائق واذا كان فى مدينة اشبونة كرسى البرتوغال فانه يكون فات وقته فى باريس بخمس دقائق ونصف واذا دخل وقته فى فيلادلفياء بكسر الفاء وسكون الياء وفتح اللام وكسر الدال المهملة وسكون اللام وكسر الفاء مدينة بامريكة فانه يكون قد مضى بعده فى باريس خمس

ساعات وثلاث عشرة دقيقة واذا كان وقته فى مدينة ريوجانيرو بكسر الراء وضم الياء وكسر النون وسكون الياء كرسى سلطنة ابريزيلة فى امريكة فهو ثلاث ساعات تقريبا واذا كان نصف النهار فى جزيرة كنفو فى امريكة الموسقو يكون نصف الليل فى باريس فانهما متقاطران والمسافة بين باريس واسكندرية سبعمائة وتسعة وستون فرسخا فرنساويا وبينها وبين القاهرة ثمانمائة وتسعة فراسخ وبينها وبين مكة المشرفة سبعمائة واربعون فرسخا وبينها وبين اسلامبول خمسمائة وستون فرسخا وبينها وبين حلب ثمانمائة وستة وستون فرسخا وبينها وبين مراكش سبعمائة وخمسة وعشرون فرسخا وبينها وبين تونس ثلثمائة وسبعون فرسخا وبينها وبين مدينة لوندره كرسى الانكليز مائة فرسخ وبينها وبين مدينة بتربرغ كرسى الموسقو خمسمائة وستة واربعون فرسخا وبينها وبين مدينة موسقو كرسى الموسقوبية القديم ستمائة فرسخ وبينها وبين مدينة رومة كرسى البابا ثلثمائة وخمسة وعشرون فرسخا وبينها وبين مدينة بجه كرسى النمسا ثلثمائة وخمسة وعشرون ايضا وبينها وبين مدينة نابلى ثلثمائة واربعة وثمانون فرسخا وارتفاعها بالنسبة لسطح البحر المحيط ثمان عشرة قامة ومن المعلوم انها من بلاد المنطقة المعتدلة فليست فى غاية الحرارة ولا فى غاية البرودة فان اقصى درجات الحر فيها يكون احدى وثلاثين درجة ونصفا وهذا نادر والحر الاوسط تسع وعشرون درجة وأقصى درجات البرد بها فى الغالب اثنتا عشرة درجة وندر بلوغه ثمانية عشر والبرد الاوسط سبع درجات ومعلوم أن درجة الحر تحسب من شروع المتجمدات فى الذوبان الى حد فوران الماء ودرجات البرد من شروعه فى الجمود والاغلب فيها عدم صحو الزمن وكثرة الغيوم بحيث تمكث الشمس فى الشتاء عدة ايام لا تنكشف ولا يرى جرمها غالبا فكأنها الاماتت وعاش الليل ويحسن هنا قول بعضهم

* قلت والليل مقيم * ودجاه غير سارى *
* اعظم الخالق اجر الـ * ـخلق فى شمس النهار *
* فلقد ماتت كما ما * ت غرامى واصطبارى *

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

وفى ايام الغيوم يصلح لها ما فى ديوان الشهاب الحجازى من قول الشاعر

* تطل الشمس ترمقنا بطرف * خفى مدنف من خلف ستر *
* تحاول فتق غيم وهو يأبى * كعنين يحاول فتق بكر *

وقد فقد بعض الشعراء الورقة المشتملة على البيت الاول وعثر على الورقة المشتملة على البيت الثانى من هذين البيتين فكمله بقوله

* ازال الغيم ضوء الشمس عنا * فما زالت وقد حجبت بستر *
* تحاول فتق غيم وهو يأبى * كعنين يحاول فتق بكر *

وقد ضمن هذا المعنى العلامة الصفتى فى قوله

* وطلعة مصر معشوقى ولكن * اريد وصالها وتريد هجرى *
* احاول من تحجبها اختراقا * كعنين يحاول فتق بكر *

وضمن ذلك ايضا فى عكا فقال

* وعكاء الفريدة فى جمال * لها مهج الفراعن دون مهر *
* وخاطبها سوى من كان فيها * كعنين يحاول فتق بكر

ففض ولى النعم ختامها وزالت بكارتها فكان ما ظن انه عنين بالنسبة اليها هو شديد قوى على فض الختام لجميع مدن الشام وغير الشام وكان جديرا بأن يتمثل بقول الشاعر

* تعشقتها بكرا على تحجبها * تتيه ولا يوما بحالى تعبأ *
* فنازلت ايدى الجهد حتى افتضضتها * وصيرتها ارضا تداس وتوطأ *

وقد ارخ شعراء مصر أخذ مدن الشام والروم وأجادوا * واما المطر فانه لا ينقطع فى هذه المدينة فى سائر فصول السنة واذا نزل فى الغالب نزل بكثرة فلذلك احتاجوا فى دفع ضرره الى جعل اعالى الدور منحدرة لتنزل منها المياه الى اسفل الدور وفى سائر البيوت والطرق مجار وبالوعات فترى وقت المطر سائر طرق باريس محدودة بمجار كالقناة الجارية المياه خصوصا وارض هذه المدينة مبلطة بالحجر فلا تتشرب المياه ابدا بل تسير الى هذه المجارى ومنها الى البالوعات وتغير مزاج الهواء والزمن فى باريس امر عجيب فانه قد يتغير فى اليوم الواحد

اومع

اومع مابعده حال الزمن مثلا يكون فى الصباح صحو عجيب لايظن الانسان تغيره فلا يمضى نصف ساعة الا ويذهب بالكلية ويخلفه المطر الشديد وقد يكون حرّ يوم من الايام اربعا وعشرين درجة ولا يصل اليوم الآتى الى اثنى عشر وهكذا فقل أن يأمن الانسان تغير الوقت بهذه البلاد فمزاجها كمزاج اهلها كما سيأتى ومعلوم انه ينبغى أن يتحفظ الانسان من ضرر هذا التغير وان كان هواء باريس فى الجملة طيبا مناسبا للصحة ومع أن حرّها لايصل الى حرّ القاهرة فى الغالب فهو غير مألوف ابدا ولعل ذلك للانتقال من شدة البرد الى شدة الحرّ واما بردها فانه وان كان فى طاقة الانسان تحمله من غير عظيم تعب فانه لايمكن للناس الشغل الا بالتدفئة بالنار فلذلك كان فى سائر قهاويها وخاناتها ومعاملها وحوانيتها مداخن مبنية فى الاود ليوقد فيها النار وهى مرتبة على وجه بحيث لا ينتشر فى الاودة دخان الحطب فان هذه المداخن نافذة الى الهواء فيجذب الهواء الدخان ويطرده خارج البيت وفى بعض الاود يصنعون نوعا من الفرن له باب من الحديد ويلحقون به قصبة من صفيح وينفذون هذه القصبة فى فرجة تتصل بالهواء فيضعون الخشب فى الفرن ويغلقون باب المحمى فيصعد الدخان جهة القصبة ومنها يصعد الى الخلا فتسخن الفرن وتحمى قصبتها فتسخن الاودة اوالرواق ونحوها وعندهم نوع آخر عجيب يسمى المداخن المسقوبية وعادة المدخنة اوالفرن المسماة عند الفرنساوية بوالا أن ظاهرها مطلىّ طلاء عظيما فى غاية النظافة والمدخنة دائما مرخمة الجوانب ولها عرصة من حديد وهى عند الفرنساوية لحسن صناعتها من زينة المحل فيكتنفونها فى الشتاء ومن اعظم اكرام الضيف عندهم فى الشتاء تقريبه جهة النار ولا عجب فى ذلك نسأل الله انقاذنا من حرّ نار جهنم ولله در القائل

* النار فاكهة الشتاء فمن يرد * اكل الفواكه شاتيا فليصطل *

واحسن من قال

* دخلت يوما على صديق * والبرد يفرى به الفريا *

* فاوقد النار قلت كلا * لانت اولى بها صليا

وبالجملة فالتدفئة فى الشتاء عند الفرنساوية جزء من المؤنة فهذا ما يستعينون به على البرد واما ما يستعينون به على التوقى من ضرر المطر فهو المظلات المسماة فى مصر بالشمسيات يعنى وقايات الشمس وتسمى تلك عند الفرنساوية وقاية المطر وفى الحر تمشى النساء بالشمسيات ولا يمكن للرجال ذلك ابدا وارض هذه المدينة مفلحة دسمة مثمرة فكيف لا وما من بيت من البيوت الوافرة الا وبه بستان عظيم الاشجار والخضراوات وغيرها واغلب النباتات الغريبة يوجد بهذه البلدة فانهم يعتنون بتطبيع النباتات كالحيوانات الغريبة ببلادهم مثلا شجر النخل لا يخرج الا فى الاقاليم الحارة ومع ذلك صنع الفرنساوية كل الحيل حتى زرعوا منه شيأ وان كان لا يثمر الا انه ينفعهم فى الرجوع اليه عند قرآتهم فى علم النباتات وقد اشتهر عندنا أن النخل لا يوجد الا ببلاد الاسلام ويرد عليه انه عند كشف بلاد امريكة وجدوا بها نخلا غير منقول كما هو الظاهر من بلادنا فانظر هذا مع قول الفاضل القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ما نصه * نخل شجرة مباركة عجيبة من عجائبها انها لا تنبت الا فى بلاد الاسلام انتهى ولعل النخل الموجود فى غير بلاد الاسلام نوع مخصوص يصدق عليه اسم النخل عند اهل النباتات والمقصور على بلاد الاسلام نخل التمر لمناسبة مزاج قطرها فتأمل * وبقرب ارض باريس عين ماء معدنى باردة الماء ويشقها نهران احدهما وهو الاعظم والاشهر يقال له نهر السين بفتح السين والآخر نهر غوبلان قال بعض علماء الكيميا من الافرنج ان اقل المياه خليطا بالمواد الخارجية نيل مصر ونهر الكنك ببلاد الهند ونهر السين بباريس ويتفرع على ذلك اعتبار مائها فى فن الطب من الامور المناسبة لصحة الابدان وانه يحسن تطبيب وطبخ الخضروات بها دون غيرها وتحليل الصابون بها للغسل ونحو ذلك وفى نهر السين بداخل باريس ثلاثة جزائر احداها تسمى جزيرة السيتة وكان بها باريس القديمة والسيتة بكسر السين وسكون الياء وفتح الفوقية معناها المدينة فكأنه قيل جزيرة المدينة وشتان بين هذا و بين النيل والروضة والمقياس فان نزهة الانسان فى الروضة والمقياس لا تضاهى لان الخليج

يعبر مصر والسين يعبر باريس الا ان نهر السين بتمامه يشق باريس وتجرى بها السفن العظيمة الوسق وبه الارصفة الجيدة والنظافة على حوافيه ومع ذلك فنزهته غير سارة وشتان ايضا بين ماء النيل والسين من جهة الطعم وغيره فان ماء النيل لو كانت العادة جرت بترويقه قبل استعماله كما هو العادة فى ماء نهر السين لكان من اعظم الادوية واقول ايضا انه فرق بعيد بين طعم ماء نهر السين وماء العيون والقطوع والسواقى ببلاد صعيد مصر وبالجملة والتفصيل ففرق بعيد بين تربة مصر وباريس ومياههما وفواكههما الا فى نحو الخوخ واقليمهما فلولا نجابة اهل باريس وحكمتهم وبراعتهم وحسن تدبيرهم واعتناؤهم بتعهد مصالح بلادهم لكانت مدينتهم كلا شئ فانظر مثلا الى نهر السين فانه وان كان نزهة فى ايام الحر فانه قد يبلغ فى وقت الشتاء ثمانى درجات من الجمود والانعقاد حتى انه يمكن أن يداس عليه بالعربات وانظر الى اشجار هذه المدينة فانها تكون مورقة فى ايام الحر وفى ايام البرد لا تجدها الا قرعة رديئة المنظر كأنها حطب مصلب وهذا فى سائر البلاد الباردة وقال بعضهم فى هذا المعنى

* سألت الغصن لم تعرى شتاء * وتبدو فى الربيع وانت كاسى *

* فقال لى الربيع على قدوم * خلعت على البشير به لباسى *

قال بعضهم فى وصف يوم برد واجاد * فى يوم برد جعله الله منه فى حمى * ومجال حرب كان الظفر فيه لابن ماء السماء * كانما ماجت الارض فرحا لانهلال السحاب وقويت اوتادها اذ صار لها بالسماء من حبال المطر امتد الاسباب * وكأن السماء قد رأت ما بالارض من السرور فبعثت تهنيها بصوت الرباب * فلكم تفتحت اعين النور لعيون الغمام الساجمة * ولكم استمرت به مسرة واستقرت به سائمة * ولكم ضحكت الارض لبكاء السماء بمدامعها * وظهر البشر على وجهها * وانظر الى زمن تلك المدينة فانه دائما معتم فى سائر ايام الشتاء وغالب ايام الحر فاذا تنزه الانسان ساعة تنكد ساعة اخرى وذهب حظه بالرعد والبرق وانهطال المطر والصواعق الا أن الثلوج بها ومجارى البالوعات تنقى من الوحل المضر فليست

كارض جيلان الذى قال فيها الشاعر

* اقمت بارض جيلان زمانا * ولم يك ذاك منى غير جهل *

* فلم احصل على خير متاح * سوى سح الغيوث وخوض وحل *

واهلها لا يبالون بذلك فيقال فى سائر ايامها ما قاله بعضهم فى وصف يوم شديد البرد من أنه يوم يجمد خمره * ويخمد جمره * ويخف فيه الثقيل اذا هجر * ويثقل فيه الخفيف اذا هجم * الا أن الفرنساوية يكثرون من الملاهى فى ليالى الشتاء لانهم يبذلون جهدهم فى التوقى من مضارها نسال الله تعالى الوقاية من برد الزمهرير فلو تعهدت مصر وتوفرت فيها ادوات العمران لكانت سلطان المدن ورئيسة بلاد الدنيا كما هو شائع على لسان الناس من قولهم مصر ام الدنيا وقد مدحتها مدة اقامتى بباريس بقصيدة تتضمن مدح ولى النعمة دام عز دولته امين وها هى هذه القصيدة

* ناح الحمام على غصون البان * فاباح شيمة مغرم ولهان *

* ماخلته مذ صاح الا انه * اضحى فقيد اليفه ومعانى *

* وكأنه يلقى الى اشارة * كيف اصطبارى مذ نأى خلانى *

* مع اننى والله مذ فارقتهم * ماطاب لى عيشى وصفو زمانى *

* لكننى صب اصون تلهفى * حتى كأنى لست باللهفان *

* وبباطن الاحشاء نار لو بدت * بجمراتها ماطاقها الثقلان *

* ابكى دما من مهجتى لفراقهم * واود أن لا تشعر العينان *

* لى مذهب فى عشقهم واريته * ومذاهب العشاق فى اعلان *

* ماذا على اذا كتمت صبابتى * حتى لوان الموت فى الكتمان *

ما احسن القتلى باغصان النقى * ما اطيب الاحزان بالغزلان *

قالوا اتهوى والهوى يكسو الفتى * ابدا ثياب مذلة وهوان *

* فاجبتهم لو صح هذا اننى * اختار ذلى فيه طول زمانى *

* والذل للعشاق غير معرة * بل عين كل معزة للعانى *

* اصبو الى من حاز قد الاهيفا * يزرى ترنحه بغصن البان *

واحن

واحن نحو شقيق تم خده * قد نم فيه شقايق النعمان
ويروقني ابدا نزاهة مقلتي * في حسن طلعة فاتك فتان
امسي واصبح بين شعر حالك * ومنير وجه هكذا الملوان
ولطالما قضيت معه حقبة * ونسيم مصر معطر الاردان
زمن علي به لمصر فديتها * حق وثيق عاطل النكران
لو شاهدت عيناي فائض نيلها * لم توف بعض شفائه احزاني
اولو حكي قلبي بحار علومها * طربا لما اخلو من الخفقان
ولكم بازهرها شموس اشرقت * وانارت الاكوان بالعرفان
فشذا عبير علومهم عم الورى * وسرت مآثرهم لكل مكان
وحوتهمو مصر فصارت روضة * وهمو جناها المبتغي للجاني
قد شبهوها بالعروس وقد بدا * منها العروسي بهجة الاكوان
قالوا انعطر روضها فاجبتهم * عطارها حسن شذاه معاني
حبر له شهدت اكابر عصره * بكمال فضل لاح بالبرهان
لو قلت لم يوجد بمصر نظيره * لاجبت بالتصديق والاذعان
هذا لعمري ان فيها سادة * قد زينوا بالحسن والاحسان
يا ايها الخافي عليك فخارها * فاليك ان الشاهد الحسنان
ولئن حلفت بأن مصر لجنة * وقطوفها للفائزين دواني
والنيل كوثرها الشهي شرابه * لابر كل البر في ايماني
دار يحق لها التفاخر سيما * بعزيزها جدوى بني عثمان
حاز المحامد اذ دعي بمحمد * ورقي العلا فعلا على الاقران
من كان مثل اميرنا فقرينه * اسكندر او كسرى انو شروان
في وجهه النصر المبين على العدا * لاحت بشائره لكل معاني
في كفه سيفان سيف عناية * والشهم ابراهيم سيف ثاني
سل عنه ينبيك الحجاز مشافها * بدمار اهل الزيغ والبهتان
من قبل كانت سبله مذعورة * والآن صارت في كمال امان

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

لاغروان نجد ادامت شكره * فلقد كساها حلة الايمان
وسعت الى زنج طلائع جيشه * فاطاعها العاتى من السودان
وتقاب الاروام عدل شاهد * كم منه قد نالوا شديد طعان
حتى لقد باؤا بوافر خزيهم * وتقاسموا حظا من الخسران
لم تخط قامة رمحه اغراضها * واصابة الاغراض نيل امانى
احيى بدولته علوما قد غدت * لوضوحها تجلى على الاذهان
بطل مكارمه الجليلة قلدت * هام الزمان مكلل التيجان
يهنيك يا مصر لقد حزت البها * بمحمد باشا على الشان
فاحظى بفاخر حكمه وتمتعى * وبذلك افتخرى على البلدان
مدى اكف الشكر وابتهلى بأن * يبقيه مولاه طويل زمان

واما مصر فانها سليمة من مكاره برد باريس كما انها خالية ايضا عن الامور المحتاج اليها فى وقت الحر مثل الاستعانة على تطرية الزمن فان اهل باريس مثلا سهل عندهم رش ميدان متسع من الارض وقت الحر فانهم يصنعون دنا عظيما ذا عجلات ويمشون العجلة بالخيل ولهذا الدن عدة برابيز مصنوعة بالهندسة تدفع الماء بقوة عظيمة وعزم سريع فلا تزال العجلات ماشية والبزابيز مفتوحة حتى ترش قطعة عظيمة فى نحو ربع ساعة لا يمكن رشها بجملة رجال فى ابلغ من ساعة ولهم غير ذلك من الحيل فمصرنا اولى بهذا لغلبة حرها (قد صار الآن جل ذلك بمصر) ثم من غرائب نهر السين انه يوجد فيه مراكب عظيمة فيها اعظم حمامات باريس المشيدة البناء وفى كل حمام منها ابلغ من مائة خلوة وسيأتى ذكرها ومن الامور المستحسنة ايضا أنهم يصنعون مجارى تحت الارض توصل ماء النهر الى حمامات اخرى وسط المدينة اوالى صهاريج بهندسة مكملة فانظر ابن سهولة هذا مع مل صهاريج مصر بحمل الجمال فان ذلك اهون مصرفا وايسر فى كل زمن وشطوط هذا النهر داخل المدينة مرصفة بحيطان عظيمة عالية فوق الماء نحو قامتين يطل المار بجانبها على النهر وهى محكمة البناء وقناطر هذا النهر بباريس ست عشرة قنطرة فمنها قنطرة تسمى قنطرة بستان النباتات ولها اربعمائة

قدم من الطول وعرضها سبعة وثلاثون قدما ولهذه القنطرة خمسة قواصير من
الحديد محكمة ومسندة على حجارة من احجار النحاتة وقد بنيت هذه القنطرة
فى خمس سنوات وصرف فيها ثلاثون مليونا من الفرنكات يعنى ثلاثين الف الف
فرنك وتسمى هذه القنطرة قنطرة استرلتز سميت بذلك باسم محل غلب فيه نابليون
ملك النمسا والموسقو فيقال لهذه الواقعة واقعة استرلتز ويقال لها واقعة
السلاطين الثلاثة ويقال لها واقعة موسم تتويج نابليون * واسترلتز بلدة وقعت
هذه النصرة بقربها وهذه النصرة تستحق عند الفرنساوية الذكر الجميل على ممر
الدهور فلذلك ابدوها ببناء هذه القنطرة فتسميتها بهذا الاسم للتذكار وبقاء
الآثار ونهر السين يشق باريس نحو فرسخين وعرضه فيها مختلف فعند القنطرة
المتقدمة يكون من الطول مائة وستة وستين مترا وقوة سير مياهه المتوسطة
عشرون برمقا فى كل ثانية اوالف ومائتان فى كل دقيقة وسطح ارض باريس
صنفان فالاول جبس والثانى طين ماء نهر السين بعد زيادته وارضها مركبة من
راقات مختلفة * فالراق الاول مزرعة طينية مرملة ذات حصى * الثانى طفل
مختلط بجبس وصدف * الثالث طفل صوانى * الرابع طفل جيرى صدفى
* الخامس حجر الجير المخلوط بصدف * السادس البحر الملح * السابع طين شبيه
بالابليزى * الثامن من طباشير وجير مفحوم طباشيرى ثم ان هذه المدينة مشقوقة
ومحاطة بصفوف اشجار مرصوصة على سمت الخطوط المتوازية لا يخرج بعضها
عن بعض ابدا وعلى منوالها بطريق شبرا وفى ابى زعبل وجهاد اباد وهى مورقة
فى ايام الحر يستظل المار بها من حر الشمس وتسمى البلوار بضم الباء وسكون
اللام فيوجد فى باريس بلوارات خارجة كالسور للمدينة وبلوارات داخل
المدينة ومحيط البلوارات الخارجة ابلغ من خمسة فراسخ ونصف وعدد بلوارات
باريس اثنان وعشرون بلوارا وفى هذه المدينة عدة فسحات عظيمة تسمى
المواضع يعنى الميادين كفسحة الرميلة بالقاهرة فى مجرد الاتساع لا فى الوساخة
وعددها خمسة وسبعون ميدانا ولهذه المدينة ابواب خارجية برانية كباب
النصر بالقاهرة وهى ثمانية وخمسون بابا وبهذه المدينة اربع قنايات من صنف

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

المسماة عيونا وثلاثة دواليب لجرى المياه بالنواعير الا انها عظيمة وستة وثمانون صهريجا وماية واربع عشرة حنفية على الطرق ومما يدل على عمارة هذه المدينة كون اهلها دائما فى الزيادة البينة وارضها فى الاتساع وعماراتها فى التكميل والتحسين وهم ثم جميعا فى توسيع دائرتها بالابنية العظيمة لاعانة ملوكهم على ذلك برفع عوايد البيوت المستحدثة على التنظيم الجديد مدة من الزمن قال الشاعر

هم الملوك اذا ارادوا ذكرها * من بعدهم فبالسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شأنه * اضحى يدل على عظيم الشان

وبذلك تكثر اهلها فان اهلها الآن يعنى اهل الاستيطان بها فوق مليون من الانفس ومحيطها سبعة فراسخ فرنساوية ومطايا هذه المدينة كغيرها من بلاد فرانسا العربات الا انه يكثر فيها ذلك ويتنوع ولا تزال تسمع بها قرقعة العربات ليلا ونهارا بغير انقطاع وسيأتى تفصيل ذلك فى غير هذا المحل

(الفصل الثانى فى الكلام على اهل باريس)

اعلم ان الباريزيين يختصون من بين كثير من النصارى بذكاء العقل ودقة الفهم وغوص ذهنهم فى الغويصات وليسوا مثل النصارى القبطة فى أنهم يميلون بالطبيعة الى الجهل والغفلة وليسوا اسراء التقليد اصلا بل يحبون دائما معرفة اصل الشىء والاستدلال عليه حتى ان عامتهم ايضا يعرفون القراءة والكتابة ويدخلون مع غيرهم فى الامور العميقة كل انسان على قدر حاله فليست العوام بهذه البلاد من قبيل الانعام كعوام اكثر البلاد المتبربرة وسائر العلوم والفنون والصنائع مدونة فى الكتب حتى الصنائع الدنيئة فيحتاج الصنائعى بالضرورة الى معرفة القراءة والكتابة لاتقان صنعته وكل صاحب فن من الفنون يحب أن يبتدع فى فنه شيأ لم يسبق به او يكمل ما ابتدعه غيره ومما يعينهم على ذلك زيادة عن الكسب حب الرياء والسمعة ودوام الذكر فهم يقتدون بقول الشاعر

لعمرى رأيت المرء بعد زواله * حديثا بما قد كان يأتى ويصنع

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

فحيث الفتى لابد يذكر بعده * فذكراه بالحسنى اجل وارفع

وقول ابن دريد

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

وقيل لاسكندر لو استكثرت من النساء كثر ولدك وطاب بهم ذكرك فقال دوام الذكر في حسن السيرة والسنن ولا يحسن لمن غلب الرجال أن تغلبه النساء ومن طباع الفرنساوية التطلع والتولع بسائر الاشياء الجديدة وحب التغيير والتبديل في سائر الامور خصوصا في امر الملبس فانه لا قرار له ابدا عندهم ولم تقف لهم الى الآن عادة في التزيي وليس معنى هذا انهم يغيرون ملبسهم بالكلية بل معناه انهم يتنوعون فيه مثلا لا يغيرون لبس البرنيطة ولا ينتقلون منها الى العمامة وانما هم تارة يلبسون البرنيطة على شكل ثم بعد زمن ينتقلون منه الى شكل آخر سواء في صورتها اولونها وهكذا ومن طباعهم المهارة والخفة فان صاحب المقام قد تجده يجري في السكة كالصغير ومن طباعهم ايضا الطيش والتلون فينتقل الانسان منهم عن الفرح الى الحزن وبالعكس ومن الجد الى الهزل وبالعكس حتى ان الانسان قد يرتكب في يوم واحد جملة امور متضادة وهذا كله في الامور الغير المهمة واما في الامور المهمة فآراؤهم في السياسات لا تتغير كل واحد يدوم على مذهبه ورأيه ويؤيده مدة عمره ومع كثرة ميلهم الى اوطانهم يحبون الاسفار فقد يمكثون السنين العديدة والمدة المديدة طوافين بين المشرق والمغرب حتى انهم قد يلقون انفسهم في المهالك لمصلحة تعود على اوطانهم فكأنهم مصداق قول الحاجري

كل المنازل والبلاد عزيزة * عندي ولا كمواطني وبلادي

وقال آخر

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه ابدا لاول منزل

ومن خصالهم محبة الغرباء والميل الى معاشرتهم خصوصا اذا كان الغريب متجملا بالثياب النفيسة وانما يحملهم على ذلك الرغبة والتشوف الى السؤال

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

عن احوال البلاد وعوايد اهلها ليظفروا بمقصدهم فى الحضر والسفر وقد جرت عادة النفوس الى الطمع من الدنيا بما لا تظفر به كما قال الشاعر

ان النفوس على اختلاف طباعها * طمعت من الدنيا بما لم تظفر

وليس عندهم المواساة الا باقوالهم وافعالهم لا باموالهم الا انهم لا يمنعون عن اصحابهم ما يطلبون استعارته لا هبته الا اذا وثقوا بالمكافأة وهم فى الحقيقة اقرب للبخل من الكرم وقد ذكرنا علة ذلك فى ترجمتنا مختصر السير والعوايد فى ذكر الضيافة وفى الواقع حقيقة السبب فى ذلك هو أن الكرم فى العرب ومن اوصافهم توفيتهم غالبا بالحقوق الواجبة عليهم وعدم اهمالهم اشغالهم ابدا فانهم لا يكلون من الاشغال سواء الغنى والفقير فكأن لسان حالهم يقول ان الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما ومن المركوز فى طبعهم حب الرياء والسمعة لا الكبر والحقد فهم كما يقولون فى مدح انفسهم اخلص قلوبا من الغنم عند ذبحها وان كانوا عند الغضب اشد افتراسا من النمور فان الانسان منهم اذا غضب قد يؤثر الموت على الحياة فقل أن يفوت زمن يسير من غير أن يقتل انسان نفسه خصوصا من داء الفقر او العشق ومن طباعهم الغالبة وفاء الوعد وعدم الغدر وقلة الخيانة ومن كلام بعض الحكماء المواعيد شباك الكرام يصطادون بها محامد الاحرار وقال آخر كفر النعمة من لؤم الطبيعة ورداءة الديانة وقال آخر الشكر وكاء النعمة والوفاء به صلاح العقبى وقيل وعد الكريم الزم من دين الغريم وقال بعضهم الخيانات تؤذى الامانات ومن طباعهم الغالبة الصدق ويعتنون كثيرا بالمروءة الانسانية قال بعضهم فى مدحها المروءة اسم جامع للمحاسن كلها ومن الصفات التى يقبح وصف الانسان بها عندهم كفر النعم مثل غيرهم فيرون أن شكر المنعم واجب واظن أن جميع الامم ترى ذلك وان كانت قد تفقد هذه الصفة عند افراد فهو خروج عن الطبع فهى كشفقة الوالد وبر الولد فانهما قد يتخلفان فى بعض الافراد مع أنهما صفتان جبليتان عند سائر الامم والملل ومما قيل فى ذلك وهو احسن ما قيل مع ما فيه من الاستطراد

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

هب البعث لم يأتنا نذره * وأن لظى النار لم تضرم

اليس بكاف لذى فكرة * حياء المسيء من المنعم

ويقال ان ابا بكر الخوارزمى الشاعر المشهور قصد الصاحب ابن عباد فاحسن نزله واكرمه واقام فى نعمته مدة ثم حين ارتحاله كتب بيتين وجعلهما فى مكان حيث يجلس الصاحب وهما

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت * كفاه بالجود حتى اخجل الديما

فانها خطرات من وساوسه * يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

فلما وقف عليهما الصاحب قال وقد بلغه موت الخوارزمى

اقول لركب من خراسان اقبلوا * امات خوارزميكم قيل لى نعم

فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * الا لعن الرحمن من يكفر النعم

وهذا بخلاف ابى طالب عبد السلام ابن الحسين المأمونى من اولاد المأمون وهو شاعر محسن اقبل على الصاحب ابن عباد فرماه ندماء الصاحب فسقطت منزلته عنده فقال قصيدة طلب فيها من الصاحب الاذن بالرحيل ومن وداعها قوله

اسير عنك ولى فى كل جارحة * فم بشكرك يحوى منطقا أربا

انى لاهوى مقامى فى ذرا الكما * تهوى يمينك فى العافين أن تهبا

لكن لسانى يهوى السير عنك لأن * يطبق الارض مدحا فيك منتخبا

اظننى فت اهلى والانام همو * اذا ترحلت عن مغناك مغتربا

ومن خصالهم ايضا صرف الاموال فى حظوظ النفس والشهوات الشيطانية واللهو واللعب فانهم مسرفون غاية السرف ثم ان الرجال عندهم عبيد النساء وتحت امرهن سواء كن جالات ام لا قال بعضهم ان النساء عند الهمل معدات للذبح وعند بلاد الشرق كأمتعة البيوت وعند الافرنج كالصغار المدلعين قال الشاعر

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنه * فلن يسود فتى يعطى النسا رسنه

يعقنه عن كثير من فضائله * ولو سعى طالبا للعلم الف سنه

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

ولا يظن الافرنج بنسائهم ظنا سيئا اصلا مع أن هفواتهن كثيرة معهم فان الانسان ولو من اعيانهم قد يثبت له فجور زوجته فيهجرها بالكلية و ينفصل عنها مدة العمر والتفريق بينهما بهذه المثابة يكون عقب اقامة دعوى شرعية ومرافعة يثبت فيها الزوج دعواه بحجج قوية على رؤس الاشهاد تتلوث فيها الذرية بالفضيحة وان كانت بدون لعان ولا تعرض للاولاد وهذا يقع كثيرا فى العائلات الكبيرة والصغيرة و يشهد مجالس المرافعة الخاص والعام فلا يعتبر الآخرون بذلك مع انه ينبغى الاحتراس منهن كما قال الشاعر

لا يكن ظنك الا سيئا * بالنسا ان كنت من اهل الفطن
ما رمى الانسان فى مهلكة * قط الا ظنه الظن الحسن

ومن كلام بعض العرب العرباء خطابا لزوجته

ان امرء غره منكن واحدة * بعدى و بعدك فى الدنيا لمغرور

ومن الامور المستحسنة فى طباعهم الشبيهة حقيقة بطباع العرب عدم ميلهم الى الاحداث والتشبب فيهم اصلا فهذا امر منسى الذكر عندهم تأباه طبيعتهم واخلاقهم فمن محاسن لسانهم واشعارهم انها تأبى تغزل الجنس فى جنسه فلا يحسن فى اللغة الفرنساوية قول الرجل عشقت غلاما فان هذا يكون من الكلام المنبوذ المشكل فلذلك اذا ترجم احدهم كتابا من كتبنا يقلب الكلام الى وجه آخر فيقول فى ترجمة تلك الجملة عشقت غلامة او ذاتا ليتخلص من ذلك فانهم يرون هذا من فساد الاخلاق والحق معهم وذلك ان احد الجنسين له فى غير جنسه خاصة من الخواص يميل بها اليه كخاصة المغناطيس فى جذب الحديد مثلا وكخاصة الكهربا فى جذب الاشياء ونحو ذلك فاذا اتحد الجنس انعدمت الخاصة وخرج عن الحالة الطبيعية وهذا الامر عندهم من اشد الفواحش حتى انه قلما ذكروه صريحا فى كتبهم بل يكنون عنه بما امكن ولا يسمع التحدث به اصلا و يعجبنى قول الشيخ عباس اليمنى

كلفت بسعدى والرباب وزينب * ولم اعتبر اس العذار و لامه

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

ولا اخترت تشبيبا بأمرد مذهبا * وان ذم طبعى من يراه ولامه
وماحسنه عندى سوى فى عجاجة * وحمل فتاة كالشهاب ولامه
ويغشى سعير الحرب ليس يصده * حنانيك عن ضرب الرقاب ولامه

ومن خصالهم الرديئة قلة عفاف كثير من نسائهم كما تقدم وعدم غيرة رجالهم فيما يكون عند الاسلام من الغيرة بمثل المصاحبة والملاعبة والمسايرة ومما قاله بعض اهل المجون الفرنساوية لا تغتر بابآء امرأة اذا سألتها قضاء الوطر ولا تستدل بذلك على عفافها ولكن على كثرة تجربتها انتهى كيف والزنا عندهم من العيوب والرذائل لا من الذنوب الاوائل خصوصا فى حق غير المتزوج فكأن نساءهن مصداق قول بعض الحكماء لا تغتر بامرأة ولا تثق بمال وان كثر * وقال آخر النساء حبائل الشيطان * وقال الشاعر

تمتع بها ماساعفتك ولاتكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
فان هى اعطتك الليان فانها * لآخر من طلابها ستلين
وان حلفت لا ينقض النأى عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

وبالجملة فهذه المدينة كباقى مدن فرانسا وبلاد الافرنج العظيمة مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والاختلالات وان كانت مدينة باريس من احكم سائر بلاد الدنيا وديار العلوم البرانية واثينة الفرنساوية وقد قابلتها فيما تقدم نوع مقابلة باثينة اى مدينة حكماء اليونان ثم رأيت بعض اهل الادب من الفرنساوية قال مامعناه ان الباريزيين اشبه الناس بأهل أثينة اوهم اثينيو هذا الزمان فان عقولهم رومانية وطباعهم يونانية انتهى وقد اسلفنا أن الفرنساوية من الفرق التى تعتبر التحسين والتقبيح العقليين واقول هنا انهم ينكرون خوارق العادات ويعتقدون انه لا يمكن تخلف الامور الطبيعية اصلا وأن الاديان انما جاءت لتدل الانسان على فعل الخير واجتناب ضده وأن عمارة البلاد وتطرق الناس وتقدمهم فى الآداب والظرافة تسد مسد الاديان وأن الممالك العامرة تصنع فيها الامور السياسية كالامور الشرعية ومن عقائدهم القبيحة قولهم ان عقول حكمائهم وطبائعييهم اعظم من عقول

الانبياء واذكى منها ولهم كثير من العقائد الشنيعة كانكار بعضهم القضاء والقدر مع أن من الحكم العاقل من يصدق بالقضاء ويأخذ بالحزم فى سائر الاشياء وان كان لا ينبغى للانسان أن يحيل الاشياء على المقادير او يحتج بها قبل الوقوع فان من الامثال التى سارت بها الركبان * من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير ومن كلام بعضهم اذا وقعت المجادلة فالسكوت افضل من الكلام واذا وقعت المحاربة فالتدبير افضل من التقدير ومنهم جماعة يعتقدون أن الله تعالى خلق الخلق ونظمهم نظاما عجيبا فرغ منه ثم لا يزال يلاحظهم بصفة له تعالى تسمى صفة العناية والحفظ تتعلق بالممكنات اجمالا بمعنى انها تمنعها عن خلل انتظام الملك وسنذكر بعض عقائدهم فى غير هذا المحل * ثم ان لون اهل باريس البياض المشرب بالحمرة وقل وجود السمرة فى اهلها المتاصلين بها وانما ندر ذلك لانهم لا يزوجون عادة الزنجية للابيض او بالعكس محافظة على عدم الاختلاط فى اللون حتى لا يكون عندهم ابن امة قال الشاعر

فى الهند طير ناطق * سبحان مولى النسمه
يقول فى تغريده * ابن الامه ما النسمه

بل لا يعدون انه قد يكون للزنج جمال اصلا بل لون السواد عندهم من صفات القبح فليس لهم فى المحبة مذهبان ولا يحسن عندهم قول الشاعر فى غلام اسود

لك وجه كأن بنانى خططته * بلفظ تمله آمالى
فيه معنى من البدور ولكن * نفضت صبغها عليه الليالى
لم يشنك السواد بل زدت حسنا * انما يلبس السواد الموالى

بل لسان حالهم دائما ينشد قول الآخر

الا ان عندى عاشق السمر غالط * وان الملاح البيض ابهى وابهج
وانى لاهوى كل بيضاء غادة * يضيء لها وجه وثغر مفلج
وحسبى انى اتبع الحق فى الهوى * ولا شك أن الحق ابيض ابلج

على انه لا يحسن عند الفرنساوية استخدام جارية سوداء فى الطبخ ونحوه لما ركز

فى

فى اذهانهم أن السودان عارون عن النظافة اللازمة ونساء الفرنساوية بارعات الجمال واللطافة حسان المسايرة والملاطفة يتبرجن دائما بالزينة ويختلطن مع الرجال فى المتنزهات وربما حدث التعارف بينهن وبين بعض الرجال فى تلك المحال سواء الاحرار وغيرهن خصوصا يوم الاحد الذى هو عيد النصارى ويوم بطالتهم وليلة الاثنين فى البالات والمراقص الآتى ذكرها ويحسن قول بعضهم شعر

والراقصات وقد مالت ذوائبها * على خصور كاوساط الزنابير
يخفى الرداسقمها عنا فيفضحها * عقد البنود وشدات الزنانير

ومما قيل ان باريس جنة النساء واعراف الرجال وجحيم الخيل وذلك أن النساء بها منعمات سواء بمالهن او بجمالهن واما الرجال فانهم بين هؤلاء وهؤلاء عبيد النساء فان الانسان يحرم نفسه وينزه عشيقته واما الخيل فانها تجر العربات ليلا ونهارا على احجار ارض باريس خصوصا اذا كانت المستأجرة للعربة امرأة جميلة فان العربجى يجهد خيله ليوصلها الى مقصدها عاجلا فالخيل دائما معذبة بهذه المدينة * وحيث ان باريس من بلاد الفرنسيس فمعلوم أن لسان اهلها هو اللسان الفرنساوى ولنذكر هنا نبذة من ذلك فنقول اعلم ان اللسان الفرنساوى من الافرنجية المستحدثة وهو لسان الغلوية يعنى قدماء الفرنسيس ثم كمل من اللغة اللاطينية واضيف اليه شئ من اللغة اليونانية النمساوية ويسير من لغة الصقالبة وغيرها ثم حين برع الفرنساوية فى العلوم نقلوا كلمات العلوم من لغات اهلها واكثر الكلمات الاصطلاحية يونانية حتى كان لسانهم من اشبع الالسن واوسعها بالنسبة لكثرة الكلمات غير المترادفة لا بتلاعب العبارات والتصرف فيها ولا بالمحسنات البديعية اللفظية فانه خال عنها وكذا غالب المحسنات البديعية المعنوية وربما عد مايكون من المحسنات فى العربية ركاكة عند الفرنسيس مثلا لا تكون التورية من المحسنات الجيدة الاستعمال الا نادرا فان كانت فهى من هزليات ادبائهم وكذلك مثل الجناس التام والناقص فانه لا معنى له عندهم وتذهب ظرافة

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

مايترجم لهم من العربية ممايكون مزينا بذلك مثل قول صاحب البديعية

من العقيق ومن تذكار ذى سلم * براعة العين فى استهلالها بدم
ومن اهيل النقى تم النقى وبدا * تناقص الجسم من ضر ومن ضرم

ولا يمكن أن ينقل الى لغاتهم ماقلته فى نظم مصطلح الحديث

صحيح جسمى من فرط الجوى عضلا * ومرسل الدمع من عينى قد اتصلا
تواترت قصتى فى الناس قاطبة * حتى لضعفى رثى لى كل من عذلا
تعنعن السحب عن عينى روايتها * كما يسلسل عنها القطر اذ هملا
رفعت امرى الى قاضى الهوى فأبى * وقال مالى على هذا المليح ولا
ياقلب صبرا على مافيك من علل * ولا تشذ وتجزع واترك المللا
ودع بقية ما ابقاه من رمق * لديه لا تعتبر تعنيف من عدلا
فذا الملاح وبالتدليس مشتهر * وقوله منكر زور وماقبلا

الى آخر قولى فيها * وقفت حبى عليه لا يجاوزه * وهكذا شأن صب فى الهوى كملا * وسيأتى تتميم الكلام على ذلك وبالجملة فلكل لسان اصطلاح واصطلاح اللغة الفرنساوية تقليل التصريف ما امكن وتصريف الفعل مع فعل آخر مثلا اذا اراد الانسان أن يخبر بانه اكل فانه يقول املك مأكولا يعنى فلا يمكن تصريف اكل فى بعض احواله الامع فعل الملك او التلبس فكأنه يقول تلبست بالاكل واذا اراد أن يقول خرجت يقول انا اكون مخرجا يعنى خرجت وهكذا ويسمى فعل الملك وفعل الكينونة فعلين مساعدين يعنى انهما يعينان على تصريف الافعال ويتجردان عن معناهما الاصلى واذا ارادوا تعدية الفعل قالوا فعلت له الاكل يعنى جعلته يأكل او اكلته وفعلت له الخروج يعنى اخرجته وهكذا فلا يمكنهم تصريف الافعال كما يمكن فى اللغة العربية فلذلك كانت لغتهم ضيقة من هذه الحيثية ثم ان قواعد اللسان الفرنساوى وفن تركيب كلماته وكتابتها وقراءتها يسمى غرماتيق واغرمير بتشديد الميم عند الفرنسيس ومعناه فن تركيب الكلام من لغة من اللغات فكأنه يقول

فن

فن النحو فيدخل فيه سائر ما يتعلق باللغة كما نقول نحن علوم العربية ونريد بها الاثنى عشر علما المجموعة فى قول شيخنا العطار

نحو وصرف عروض بعده لغة * ثم اشتقاق قريض الشعر انشاء

كذا المعانى بيان الخط قافية * تاريخ هذا لعلم العرب احصاء

وبعضهم زاد البديع وآخر استحسن زيادة التجويد وبالجملة فباب الزيادة والنقص فيها مفتوح اذ حصرها وتقسيمها فى ذلك جعلى لا حصرى والظاهر أن هذه العلوم جديرة بأن تسمى مباحث علم العربية فقط فكيف يكون كل من الشعر والقريض والقافية علما مستقلا برأسه وكل من النحو والصرف والاشتقاق علما برأسه وانظر ما المراد بالتاريخ وبكونه من العلوم العربية مع أن اول من ألف فيه علماء اليونان واول ما ظهر فى هذا الفن كتب اوميروس فى واقعة ترواده ولم تؤلف فيه العرب الا فى الازمنة الاخيرة اللهم الا أن يكون المراد بالتاريخ طريقة انشاء تواريخ الحوادث السنوية على اسلوب حساب الجمل فيكون ايضا تسميته علما من قبيل التوسع فى تعريف العلم * وعلم الخط قديم ايضا فالافرنج يدخلون هذه المباحث فى علم تركيب الكلام بل ويعدون منه المنطق والوضع والمناظرة * ثم ان اللغة الفرنساوية كغيرها من اللغات الافرنجية لها اصطلاح خاص بها وعليه ينبنى نحوها وصرفها وعروضها وقوافيها وبيانها وخطها وانشاؤها ومعانيها وهذا ما يسمى اغرماتيق فحينئذ سائر اللغات ذات القواعد لها فن يجمع قواعدها سواء كانت لدفع الخطاء فى القراءة او الكتابة فيها اولتحسينها فحينئذ ليست اللغة العربية هى المقصورة على ذلك بل كل لغة من اللغات يوجد فيها ذلك نعم اللغة العربية افصح اللغات واعظمها واوسعها واحلاها على السمع فحينئذ العالم باللغة اللاطينية يعرف سائر ما يتعلق بها فله ادراك فى النحو فى حد ذاته وفى غيره كالصرف فمن الجهل أن يقال انه لا يعرف شيأ بدليل جهله باللغة العربية واذا تبحر الانسان فى لغة من اللغات كان عالما باللغة الاخرى بالقوة يعنى أنه لو ترجم له ما فى اللغة الاخرى وعبرله عنه كان قابلا لتلقيه ومقابلته بلغته بل ربما كان يعرفه من قبل ويعرف زيادة عليه ويبحث فيه

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

ويبطل منه مالا يقبله العقل كيف والعلم هو الملكة وحينئذ فقد لا يعرف الانسان المطولات باللغة العربية ويعرف ذلك باللغة الفرنساوية لو ترجم له على أن كل لغة مخدومة فلها مطولها واطولها وسعدها نعم ليس كل مائع ماء ولا كل سقف سماء ولا كل بيت بيت الله ولا كل محمد رسول الله وكما قال الشاعر

وهيهات ما كل النسيم حجازيا * ولا كل نور يبهج الشرق والغربا

وقال آخر

وما كل مخضوب البنان بثينة * ولا كل مسلوب الفؤاد جميل

فلا شك أن لسان العرب هو اعظم اللغات وابهج * وهل ذهب صرف يحاكيه بهرج * ولله در من قال

يليق الخطاب اليعربي باهله * فيهدى الوفا للنقص والحسن للقبح

ومن شرف الاعراب أن محمدا * اتى عربى الاصل من عرب فصح

وأن المثانى انزلت بلسانه * بما خصصته فى الخطاب من المدح

ومع ما يتراءى أن الاعجام لا تفهم لغة العرب اذا لم تحسن التكلم بها كالعرب فهذا الاصل له ومما يدلك على ذلك أنى اجتمعت فى باريس بفاضل من فضلاء الفرنساوية شهير فى بلاد الافرنج بمعرفة اللغات المشرقية خصوصا اللغة العربية والفارسية يسمى البارون سلوسترى دساسى وهو من اكابر باريس واحد اعضاء جملة جمعيات من علماء فرانسا وغيرها وقد انتشرت تراجمه فى باريس وشاع فضله فى اللغة العربية حتى انه لخص شرحا للمقامات الحريرية وسماه مختار الشروح وقد تعلم اللغة العربية على ماقيل بقوة فهمه وذكاء عقله وغزارة علمه لا بواسطة معلم الا فى مبدء امره ولم يحضر مثل الشيخ خالد فضلا عن حضور المغنى مع انه يمكنه قراءة المغنى كيف وقد درس البيضاوى عدة مرات غير أنه حين يقرأ ينطق كالعجم ولا يمكنه ان يتكلم بالعربية الا اذا كان بيده الكتاب فاذا اراد شرح عبارة اغرب فى الالفاظ التى يتعذر عليه تصحيح نطقها ولنذكر لك خطبته فى شرحه لمقامات الحريرى لتعرف نفسه فى التأليف وقلم عبارته فانه بليغ وان كان به يسير من الركاكة وسبب ذلك انه تمكن

من

من قواعد الالسن الافرنجية فلذلك مالت اليها عبارته فى العربية قال فى طالعة شرحه التى حاول فيها الجرى على نهج دينه ودين الاسلام من غير أن يغبن احدهما

بسم الله المبدئ المعيد * الحمد لله العالى المتعالى * الذى له الاسماء الحسنى * ولا يخالط صفاته عزوجل من صفات المخلوق شئ اقصى ولا ادنى * العليم الذى ليس لعلمه نهايه * والحكم الحكيم الذى حكمه وحكمته وراء كل حد وغايه * لا يحصر لاهوت وجوده زمان ومكان * ولا يشوب صفاء جبروته شائبة زيادة ولا نقصان * مسبب الاسباب الذى لا يتحرك فى اطراف الارض والسماء متحرك الا بقدرته وارادته * ولا يتكلم فى اكناف الآفاق متكلم الا بالهامه وافادته * احمده حمد من اعترف بتقصير فهمه وضعف عقله فهداه برحمته وتوفيقه الى تحصيل بعض العلوم والفنون * واشكر له شكر من كان يخبط فى ظلام الجهل فاخرجه برأفته وتأييده الى فضاء الرشد ونور التميز حتى عرف الحق اليقين من اباطيل الظنون * ثم اتوسل اليه سبحانه وتعالى بأنبيائه المرسلين * واوليائه المقربين * الذين كل واحد منهم كالغرة على جبهة الدهر * وكالتاج على مفرق العصر * واسأله عزوجل أن يجعلنى من عباده المهتدين * الذين انعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * انه على كل شئ قدير * وبأجابة هذا الدعاء جدير * اما بعد لما فضل الله جنس الناس على سائر المبتدعات بفوائد الافهام * واختص بنى آدم من بين اصناف الحيوانات بكرامة الكلام * بعث فى كل امة من الامم من يكون فى تمهيد قواعد البلاغة واستنباط احكام شريعتها معروفا مشهورا * و بصيرا سالك طريقة الفصاحة اماما ودستورا * فمن اشتهر بذلك بين الانام * وصار المشار اليه فى هذا الباب عند اهل الاسلام * مؤلف المقامات المشهور بالحريرى وهو الشيخ الامام ابو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان البصرى الذى ازدرى من كان قبله من الادباء والفصحاء * واجهد من جاء بعده من الظرفاء والبلغاء * فانى لما رأيت أن كتابه المذكور * لم يزل منذ ألفه الى يومنا هذا لعلم الادب كالعلم المشهور * يحسبه الخاصة والعامة

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

واسطة عقده * وخلاصة نقده * ويعتقدونه نور مصباحه * وضياء صباحه *
بل لا يشك احد منهم انه ازهار بستانه * واثمار جنانه * وزلال مائه * ونسيم
هوائه * احببت أن اشرحه شرحا متوسطا بين الايجاز والتطويل * اكشف
الغطاء عن مشكلاته ومجملاته بالتفسير والتفصيل * وقد شرح المقامات الحريرية
من علماء المشرق والمغرب كثير وذكرهم الحاج خليفة فى كتابه المسمى كشف
الظنون * عن اسامى الكتب والفنون * وما وصل يدى اليه من مؤلفاتهم
شروح اربعة منها غريب الايضاح فى غريب المقامات الحريرية للامام برهان
الدين ابى الفتح ناصر ابن عبد السيد المطرزى الخوارزمى المتوفى سنة عشر
وستمائة وهذا الشرح مع وجازته كتاب مفيد محصل للمقصود * والمطرزى
كانت له معرفة تامة بالنحو واللغة والشعر وانواع الادب وهو صاحب كتاب
المغرب تكلم فيه على الالفاظ التى يستعملها الفقهاء من الغريب ومنها كتاب
شرح ما غمض من الالفاظ اللغوية من المقامات الحريرية تأليف الشيخ
محب الدين عبد الله بن الحسين العكبرى البغدادى المتوفى سنة عشرة
وستمائة قال انى رأيت المقامات الحريرية مشحونة بالالفاظ اللغوية وهى احد
الكتب التى عنى بها علماء العربية ودعانى ذلك الى تفسير ما غمض من الفاظها
على الايجاز وقد كنت عثرت لبعض الناس على شئ من ذلك الا انه اسهب
بما لا يحتاج اليه وربما فسر اللفظة بغير ما قصد منشيها ومنها شرح المقامات
للاستاذ اللغوى النحوى ابى العباس احمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسى
الشريشى المتوفى سنة تسعة عشر وستمائة وهو شرح طويل ذكر الشريشى انه لم
يترك فى كتاب من شروح المقامات فائدة الا استخرجها * ولا عائدة الا استدرجها
ولا نكتة الا علقها * ولا غريبة الا استلحقها * حتى صار شرحه تاليفا فى المقامات
يغنى عن كل شرح تقدم فيها * ولا يحوج الى سواه فى لفظة من الفاظها
ولا معنى من معانيها * وقد اخذ شيأ كثيرا من شرح ابن ظفر الصقلى صاحب
كتاب سلوان المطاع فى عدوان الاتباع المتوفى بمدينة حماه سنة خمس وستين
وخمسمائة ومن شرح الفندهجى وهو الشيخ الامام تاج الدين ابو سعيد محمد

ابن

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

ابن سعادات عبد الرحمن بن محمد الخراسانى المروزى الفندهجى وقيل البندهجى الصوفى المتوفى بمدينة دمشق سنة اربعة وثمانين وخمسمائة ومنها شرح آخر تأليف الشيخ شمس الدين ابى بكر محمد بن ابى بكر الرازى صاحب اسئلة القرآن ومختار الصحاح المتوفى بعد سنة ستين وستمائة وهذا الشرح لم يذكره الحاج خليفة فى كتابه المذكور وهو شرح لطيف يشهد لصاحبه بكمال الادب الأ أن النسخة التى هى فى ملكى نسخة ناقصة سقط منها نحو نصف الكتاب حتى لم يبق الا شرح الخطبة ثم شرح المقامة الخامسة والعشرين اخذا من قول الحريرى وانى والله طالما تلقيت الشتاء بكافاته الى آخرها وشرح ما يتلوها من المقامات الا قوله فى المقامة الخمسين

(ولم تزل معتكفا * على القبيح الشنع)

هذا ما كان لى من شروح المقامات وقد اجتمع عندى ايضا نسخ ست من كتاب المقامات بلا شرح غير أن اكثرها يوجد به من التعليقات والحواشى ما ينتفع به القارى وقد اخترت من تلك الشروح والحواشى كل ما يحتاج اليه طالب العلم فى تحصيل المقصود ويستعين به الراغب فى الادب على ادراك المطلوب ثم اضفت الى ذلك شيأ كثيرا نقلته من كتب أئمة النحو واللغة ومن مجمع الامثال للعلامة الميدانى وكتاب وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لابن خلكان ثم من ديوان البحترى ومن ديوان المتنبى وشرح المعلقات للزوزنى وغير هذا من كتب الادب كل ذلك ليتيسر على من اعجبه الغوص فى بحار اللغات العربية أن يظفر من دررها بكل يتيمة عقيلة * وليسهل على المولع بغرائب العلوم الادبية المشرقية أن يصل من جواهر معادنها الى كل فلذة ثمينة جزيلة * وانما المرجو ممن نظر فى هذا الشرح المختار أن لا يؤاخذنى على ما ظهر عليه من العثرات * بل أن يستر بذيل كرمه ما استبان له من العورات * والله اسأله أن يجعل هذا الكتاب لمن تصفحه من اهل الشرق والغرب نافعا مفيدا * ولجميع من اسرع الى مورده من ابناء جنسنا ومن غير جنسنا هنيئا مريئا حميدا * انتهى كلامه وقال فى المقدمة الفرنساوية لهذا الكتاب ان المقامات البديعية تفضل المقامات

الحريرية وقد ترجم الى الفرنساوية عدة مقامات من الاثنين فى مجموعه كتاب الانيس المفيد * للطالب المستفيد * وجامع الشذور * من منظوم ومنثور * وبالجملة فمعرفته خصوصا فى اللغة العربية مشهورة مع انه لا يمكنه أن يتكلم بالعربى الابغاية الصعوبة وقد رأيت له فى بعض كتب توقفات عظيمة وايرادات جليلة ومناقضات قوية وله اطلاع عظيم على الكتب العلمية المؤلفة فى سائر اللغات وسبب ذلك كله تمكنه من لغته بالكلية ثم تفرغه بعد ذلك لمعرفة اللغات

شعر

العلم لا يدرك بالتمنى * عليك بالتكرار والتأنى

كم اعجمى ألكن اخن * ادرك بالتكرار كل فن

ومن جملة مؤلفاته الدالة على فضله كتاب فى النحو سماه التحفة السنية فى علم العربية فانه ذكر فيه علم النحو على ترتيب عجيب لم يسبق به ابدا وله مجموع سماه المختار من كتب أئمة التفسير والعربية فى كشف الغطاء عن غوامض الاصطلاحات النحوية واللغوية فقد جمعه وترجمه من العربية الى الفرنساوية وله غير ذلك من المؤلفات والتراجم خصوصا فى اللغة الفارسية فانه بارع فيها غاية البراعة وشهرته بالفضل فى بلاد الافرنج لا تنكر حتى انه قد اتحف بعلامات الشرف من كبار ملوكهم واتساع دائرة هذا الحبر فى معرفة لغات اهل المشرق والمغرب القديمة والحديثة بها يسهل تصديق ما قيل فى حق الفارابى فيلسوف الاسلام من أنه كان يحسن سبعين لسانا ولنذكر ترجمته هنا مراعاة للنظير فنقول هو ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ التركى الفارابى الحكيم الفيلسوف فيلسوف الاسلام الماهر الباهر قدم على سيف الدولة بن حمدان وكان مجلسه مجمع الفضلاء فى جميع العلوم فادخل عليه وهو بزى الاتراك وكان ذلك عادته فوقف بين يديه فقال له سيف الدولة اجلس فقال حيث انت او حيث انا فقال حيث انت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مجلس سيف الدولة وزاحمه فى مسنده حتى اخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان يسارهم به قل أن يعرفه احد فقال لهم بذلك اللسان ان هذا الشيخ

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

قد اساء الادب وانى مسائله عن اشياء ان لم يعرف بها فأخرجوه فقال له ابو نصر بذلك اللسان ايها الامير اصبر فان الامور بعواقبها فتعجب سيف الدولة منه وقال له اتحسن هذا اللسان فقال نعم احسن اكثر من سبعين لسانا فعظم عنده ثم اخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين فى المجلس فى كل فن ولم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل و بقى يتكلم وحده ثم اخذوا يكتبون مايقول فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له هل لك فى أن تأكل قال لا قال فهل تشرب قال لا قال فهل تسمع قال نعم فأمر سيف الدولة باحضار القيان فحضر كل ماهر فى هذه الصناعة بانواع الملاهى فلم يحرك احد منهم آلته الا عابه ابو نصر وقال له اخطأت فقال له سيف الدولة فهل تحسن فى هذه الصنعة شيأ قال نعم ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها واخرج منها عيدانا فركبها ثم لعب بها فضحك كل من فى المجلس ثم فكها وركبها ولعب بها فبكى كل من فى المجلس ثم فكها وركبها ولعب بها فنام كل من فى المجلس حتى البواب فتركهم نياما وخرج * وكان منفردا بنفسه لايجالس الناس وكان مدة مقامه بدمشق لايكون غالبا الاعند مجمع ماء او مشتبك اشجار ورياض يؤلف هناك كتبه و ينتابه المشتغلون عليه وكان يلازم غياض السفرجل وربما صنف هناك وقد ينام فتحمل الريح تلك الاوراق وتنقلها من مكان الى مكان قيل وهو السبب فى نقص بعض مصنفاته فانه كان يصنف فى الرقاع دون الكراريس * وكان ازهد الناس فى الدنيا متقللا منها اجرى عليه سيف الدولة فى كل يوم اربعة دراهم ومن شعره

لما رأيت الزمان نكسا * وليس فى الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال * وكل رأس به صداع
لزمت بيتى وصنت عرضا * به من العزة اقتناع
اشرب مما اقتنيت راحا * لها على راحتى شعاع
لى من قواريرها ندامى * ومن قراقيرها سماع
وأجتنى من علوم قوم * قد اقفرت منهم البقاع

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

ومنه

اخى خل حيز ذى باطل * وكن بالحقائق فى حيز
فما الدار دار مقام لنا * ولا المرء فى الارض بالمعجز
يناقس هذا لهذا على * اقل من الكلم الموجز
وهل نحن الا خطوط وقعـ * ـن على نقطة وقع مستوفز
محيط العوالم اولى بنا * فماذا التزاحم فى المركز

توفى ابو نصر الفارابى سنة ٣٣٩ من الهجرة

ثم ان الفنون باللغة الفرنساوية قد بلغت درجة اوجها حتى ان كل علم فيه قاموس مرتب على حروف المعجم فى ألفاظ العلم الاصطلاحية حتى علوم السوقة فانها الهامدارس كمدرسة الطباخة يعنى مجلس علماء الطباخة وشعرائها وان كان هذا من انواع الهوس غيرانه يدل على اعتناء هذه البلاد بتحقيق سائر الاشياء ولو الدنيئة وسواء فى ذلك الذكور والاناث فان للنساء تآليف عظيمة ومنهن مترجمات للكتب من لغة الى اخرى مع حسن العبارات وسبكها وجودتها ومنهن من يتمثل بانشائها ومراسلاتها المستغربة ومن هنا يظهر لك أن قول بعض ارباب الامثال جمال المرء عقله وجمال المراة لسانها لا يليق بتلك البلاد فانه يسأل فيها عن عقل المرأة وقريحتها وفهمها وعن معرفتها * ثم العلوم الادبية الفرنساوية لا بأس بها ولكن لغتها واشعارها مبنية على عادة جاهلية اليونان وتأليههم ما يستحسنونه فيقولون مثلا اله الجمال واله العشق واله كذا فألفاظهم فى بعض الاحيان كفرية صريحة وان كانوا لا يعتقدون ما يقولون وانما هذا من باب التمثيل ونحوه وبالجملة فكثير من الاشعار الفرنساوية لا بأس به ولنذكر لك شيأ من بعض اشعارهم مترجمة من كلام بعضهم للعبد الفقير

واذا القلوب تعلقت * رآت الجميع جميلا
كسفينة تسعى الى * شعب يكون مهولا
لهفى على زمن الهنا * ان صح كان بخيلا

وقوله

وقوله مترجما لى

ودع القلب فيك يا قاتلى * يا خيال المسعد الزائر
ان روحى بالجراح اصطلت * وعلى البرء لست بالقادر
وسرورى فى الهوى لمحة * مثل زهر الورق الزاهر

ومن القصيدة المسماة نظم العقود فى كسر العود للخواجة يعقوب المصرى منشأ الفرنساوى استيطانا وقد اعتنيت بترجمتها سنة ألف ومائتين واثنتين واربعين واخرجتها من ظلمات الكفر الى نور الاسلام قول صاحبها ونظمه للعبد الفقير

زادبى الحال اذ صفالى حانى * وغناءى بالعود والالحان
باسم ربى والسادة الاعيان * وترنمت شجوة بالحسان
وبسعدى ذات الجبين المفدى

فصغى سمعها الى انشادى * ورمى النار لحظها فى فؤادى
فلهذا شعرى غدا فى اتقاد * وبدا من حماسه فى انفراد
لذوى الفهم والمعارف يهدى

احرق العشق قلبها كاحتراقى * فاتت تطفىء اللظى بالعناق
فتضاممنا ضمة المشتاق * وتلاثمنا عادة العشاق
فتثنت لتخجل الغصن قدا

شنف السمع من رقيق التغانى * واستمع يا اخى صوت المثانى
يا خليلى بالله هلا ترانى * اننى قد احييت شعر ابن هانى
بعد أن كان قد توسد لحدا

وبعد هذا بعدة ابيات تخلص الشاعر الى ذم العشق وتوابعه فقال

واحيائى واخجلتى صار فنى * أننى فى هوى الملاح اغنى
برخيم الغنا كظبى اغن * وباوتارى ابتدى وائنى
ما ارى هذا للفضائل اجدى

افايامى كلها لى عقيمه * اومالى عواقب مستقيمه

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

بل على طاعة الهوى مستديمه * انما هذه مراق ذميمه
اقتفى هزلها وارفض جدا

اعلى احتساء كاس نصيب * خامل غير كافل لاريب
مع انى والله غير مريب * همتى همة الذكى النجيب
تقنص المجد والسوا تتعدى

وقال يذم نفسه و يوبخها على العزم على فراق محبوبته لاسيما وهى تتأذى من فراقه

ويح عزو سود دنشتريه * بنواح الملاح اذ نشتهيه
يافؤادى سل عند اى فقيه * يغفر الذنب من قتال بتيه
لنوال الفخار عالك تهدى

يافؤادى قد استملتك الامورا * واباحتك متجر الن يبورا
اقتضى على الظبا أن تجورا * لست الفيك آسفا مقهورا
حيث قد يت قلبها الآن قدا

ومن جملة قوله فى مدح افندينا حفظه الله مخاطبا لمصر فى هذه القصيدة

بسياسات فيك اضحى كفيلا * بيد دانت من مضى التقبيلا
جددت فى جبينك الاكليلا * نضرت غصنا فيك حاز ذبولا
واعادت فيه الشبيبة ودا

وقال فيها مخاطبا لولى النعمة حفظه الله تعالى مشيرا الى واقعة المماليك

فعلك الخير بعده حسن ذكر * مستمر على مدى كل دهر
فاغتنم حفظ مشتهى نيل مصر * فلقد شابه دماسيف نصر
وغدا فى حمالك يتفق رفدا

وهذه القصيدة كغيرها من الاشعار المترجمة من اللغة الفرنساوية عالية النفس فى اصلها ولكن فى الترجمة تذهب بلاغتها فلا تظهر علو نفس صاحبها ومثل ذلك لطائف القصائد العربية فانه لا يمكن ترجمتها الى غالب اللغات الافرنجية من غير أن يذهب حسنها بل ربما صارت باردة وسيأتى تتميم الكلام على غالب

(الفصل الثالث فى تدبير الدولة الفرنساوية)

ولنكشف الغطاء عن تدبير الفرنساوية ونستوفى غالب احكامهم ليكون تدبيرهم العجيب عبرة لمن اعتبر فنقول قد سلف لنا أن باريس هى كرسى بلاد الفرنسيس وهى محل اقامة ملك فرانسا واقاربه وعائلته المسماة البربون بضم الباء الموحدة وسكون الراء وضم الباء الثانية فلا يكون ملك فرانسا الامن هذه العائلة ومملكة الفرنساوية متوارثة ومسكن ملك فرانسا سراية تسمى التورى بضم التاء وكسر الواو وكسر الراء والغالب أن الفرنساوية يعبرون عن ديوان فرانسا بقولهم كابينة التورى يعنى ديوان هذه السراية اى ديوان الملك ثم ان اصل القوة فى تدبير المملكة لملك فرانسا ثم للجماعة اهل شمبردو بير بفتح الشين وسكون الميم يعنى ديوان البير بفتح الموحدة اى اهل المشورة الاولى ثم لديوان رسل العمالات ثم ان الديوان الاول يعنى ديوان البير هو فى قصر بباريس يسمى قصر لقسمبورغ والديوان الثانى فى قصر بوربون ثم يلى ديوان رسل العمالات ديوان الوزراء والوكلاء ثم ديوان يسمى الديوان الخصوصى وبعد ذلك يوجد ديوان يسمى ديوان سر الملك وديوان يسمى ديوان الدولة للمشورة فحينئذ ملك فرانسا صاحب قوة تامة فى مملكته بشرط رضاء تلك الدواوين المذكورة وله خصوصيات أخر سيأتى ذكرها فى السياسة الفرنساوية ووظيفة اهل ديوان البير تجديد قانون مفقود اوابقاء قانون موجود على حاله ويسمى القانون عند الفرنساوية شريعة فلذلك يقولون شريعة الملك الفلانى ومن وظيفة ديوان البير أن يعضد حقوق تاج المملكة ويحامى عنه ويمانع سائر من يتعرض لها وانعقاد هذا الديوان يكون مدة معلومة من السنة فى زمن اجتماع ديوان رسل العمالات باذن ملك الفرنسيس وعدد اهل ذلك الديوان غير منحصر فى عدة مخصوصة ولا يقبل دخول الانسان فيه الا وهو ابن خمس وعشرين سنة ولا يشرك فى الشورى الا وهو ابن ثلاثين سنة مالم يكن من بيت المملكة والا فبمجرد ولادته يحسب من اهل هذا

Digitized by Google		Original from UNIVERSITY OF IOWA

الديوان ويشرك فى المشورة حين يبلغ عمره خمسا وعشرين سنة وكانت وظيفة البيرية متوارثة للذكور فيقدم اكبر الاولاد ثم بعد موته يقدم من يليه وهكذا ووظيفة ديوان رسل العمالات غير متوارثة ووظيفتهم امتحان القوانين والسياسات والاوامر والتدبير والبحث عن ايراد الدولة ومدخولها ومصرفها والمنازعة فى ذلك والممانعة عن الرعية فى المكوس والفرد وغيرها ابعاد الظلم والجور وهذا الديوان مؤلف من عدة رجال ينصبهم اهالى العمالات وعددهم اربعمائة وثمانية وعشرون رسولا ولا يقبل الامن يكون سنه اربعين سنة ولابد أن يكون لكل واحد منهم عقارات تبلغ فردتها الف فرنك كل سنة * واما الوزراء فانهم متعددون فمنهم وزير الامور الداخلية ثم وزير الحرب ثم وزير الامور الخارجية ثم وزير البحر والخارجين من بلاد الفرنسيس النازلين ببلاد يعمرونها فى غير بلاد الفرنسيس ثم وزير الخزينة ثم وزير الامور الدينية ثم وزير تعليم الفنون والصنائع ثم وزير التجارات ووزير الامور الداخلية نظير الكتخدا بيه بمصر ووزير الخزينة نظير الخازندار ووزير التجارات نظير ناظر التجارات ووزير الامور الخارجية نظير رئيس افندى بالدولة العثمانية ووزير الحرب نظير ناظر عموم الجهادية وهكذا غير أنه عندنا ليس وزيرا وعندهم يعدونه من الوزراء * واما الديوان الخصوصى فانه تخصيص الملك لجماعة بمشورته اياهم على مادة مخصوصة والغالب على اهل هذا الديوان كونهم من اقاربه ووزرائه * واما ديوان سر الملك فانه يتألف من وزراء السر ومن اربعة وزراء أخراهم وزارة مطلقة ثم جماعة من ارباب المشورة فى الدولة * واما ديوان الدولة فانه يتألف ممن يعينه الملك من اقاربه من الوزراء التسعة الكاتمين سر الدولة ثم من وزراء الدولة المطلقين ومن ارباب المشورة ومن جماعة وكلاء على التقارير ومن جماعة يستمعون المشورة ليتعلموا تدبير الدول ومن ذلك يتضح لك أن ملك فرانسا ليس مطلق التصرف وأن السياسة الفرنساوية هى قانون مقيد بحيث ان الحاكم هو الملك بشرط أن يعمل بما هو مذكور فى القوانين التى يرضى بها اهل الدواوين

وان

وأن ديوان البير مانع عن الملك وديوان رسل العمالات يحامى عن الرعية والقانون الذى يمشى عليه الفرنساوية الآن ويتخذونه اساسا لسياستهم هو القانون الذى الفه لهم ملكهم المسمى لويز الثامن عشر بضم اللام وكسر الواو ولازال متبعا عندهم ومرضيا لهم وفيه امور لا ينكر ذوو العقول انها من باب العدل * والكتاب المذكور الذى فيه هذا القانون يسمى الشرطة ومعناها فى اللغة اللاطينية ورقة ثم تسومح فيها فاطلقت على السجل المكتوب فيه الاحكام المقيدة فلنذكره لك وان كان غالب ما فيه ليس فى كتاب الله تعالى ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بأن العدل والانصاف من اسباب تعمير الممالك وراحة العباد وكيف انقادت الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم وكثرت معارفهم وتراكم غناهم وارتاحت قلوبهم فلا تسمع فيهم من يشكو ظلما ابدا والعدل اساس العمران ولنذكر هنا نبذة مما قاله فيه العلماء والحكماء او فى ضده من كلام بعضهم ظلم اليتامى والايامى مفتاح الفقر * والحلم حجاب الآفات * وقلوب الرعية خزائن ملكها فما اودعه اياها وجده فيها * وقال آخر لاسلطان الا برجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل * وقيل فيما يقرب من هذا المعنى سلطان الملوك على اجسام الرعايا لا على قلوبهم * وقال بعضهم * ابلغ الاشياء فى تدبير المملكة تسديدها بالعدل وحفظها من الخلل * وقيل اذا اردت أن تطاع فاطلب ما يستطاع ان المولى اذا كلف عبده ما لا يطيقه فقد اقام عذره فى مخالفته * وقال بعضهم شعرا يفيد أن النصر يتوقف على العدل

تروم ولاة الجور نصرا على العدا * وهيهات يلقى النصر غير مصيب
وكيف يروم النصر من كان خلفه * سهام دعاء من قسى قلوب

(وقال آخر)

لا يفلح المغتال والظلوم * والبغى مرعى نبته وخيم
فمضجع الظالم بئس المضجع * ومصرع الباغى فبئس المصرع
ان القصاص واقع بالمثل * والدهر يجزى بيسير الفعل

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

وفى هذا القانون عدة مقاصد المقصد الاول الحق العام للفرنساوية * الثانى كيفية تدبير المملكة * الثالث فى منصب ديوان البير * الرابع فى منصب ديوان رسل العمالات الذين هم امناء الرعايا ونوابهم * الخامس فى منصب الوزراء * السادس فى طبقات القضاة وحكمهم * السابع فى حقوق الرعية قال صاحب الشرطة المذكورة

الكلام على حق الفرنساوية المنصوب لهم

المادة الاولى سائر الفرنساوية مستوون قدام الشريعة * المادة الثانية يعطون من اموالهم بغير امتياز شيأ معينا لبيت المال كل انسان على حسب ثروته * المادة الثالثة كل واحد منهم متأهل لاخذ اى منصب كان واى رتبة كانت * المادة الرابعة ذات كل واحد منهم يستقل بها ويضمن له حريتها فلا يتعرض له انسان الا ببعض حقوق مذكورة فى الشريعة وبالصورة المعينة التى يطلبه بها الحاكم * المادة الخامسة كل انسان موجود فى بلاد الفرنسيس يتبع دينه كما يحب لا يشاركه احد فى ذلك بل يعان على ذلك ويمنع من يتعرض له فى عبادته * المادة السادسة يشترط أن تكون الدولة على الملة القاثوليقية الحوارية الرومانية * المادة السابعة تعمير كنائس القاثوليقية وغيرهم من النصرانية يدفع له شئ من بيت مال النصرانية ولا يخرج منه شئ لتعمير معابد غير هذا الدين * المادة الثامنة لا يمنع انسان فى فرانسا أن يظهر رأيه وأن يكتبه ويطبعه بشرط أن لا يضر ما فى القانون فاذا ضر ازيل * المادة التاسعة سائر الاملاك والاراضى حرم فلا يتعدى احد على ملك آخر * المادة العاشرة للدولة دون غيرها أن تكره انسانا على شراء عقاره لسبب عام النفع بشرط أن تدفع ثمن المثل قبل الاستيلاء * المادة الحادية عشر جميع ما مضى قبل هذا القانون من الآراء والفتن يجب نسيانه وكذلك ما وقع من المحكمة واهل البلد * المادة الثانية عشر اخذ العساكر يرتب وينقص عما كان عليه وقد يعين بقانون معلوم وضع عساكر فى البر والبحر

كيفية تدبير المملكة الفرنساوية

المادة

المادة الثالثة عشر ذات الملك محترمة ووزراءه هم الكفلاء فى كل مايقع يعنى هم الذين يطالبون ويحكم عليهم ولا يمكن أن يمضى حكم الا اذا انفذه امر الملك * المادة الرابعة عشر الملك هو اعظم اهل الدولة فهو الذى يأمر وينهى فى عساكر البر والبحر وهو الذى يعقد الحرب والصلح والمعاهدة والتجارة بين ملته وغيرها وهو الذى يولى المناصب الاصلية ويجدد بعض قوانين وسياسات ويأمر بما يلزم ويمضيه اذا كان فيه منفعة للدولة * المادة الخامسة عشر تد بير امور المعاملات بفعل الملك وديوان البير وديوان رسل العمالات * المادة السادسة عشر يقرر الملك وحده جزاء القوانين ويأمر باعلانها واظهارها المادة السابعة عشر يبعث القانون بأمر الملك الى ديوان البير اولا ثم الى ديوان رسل العمالات الا قانون الجبايات والفردة فانه يبعث اولا الى ديوان رسل العمالات * المادة الثامنة عشر تنفيذ الدولة القانون اذا رضى به جمهور كل من الديوانين * المادة التاسعة عشر لاحد الديوانين أن يلتمس من الملك اظهار قانون فى امر كذا وأن يبين له فائدة وضع ذلك القانون * المادة العشرون يصنع هذا القانون بأحد الديوانين فى مجلس سرى وماصنعه احد الديوانين واستقر رأيه عليه يبعثه للديوان الآخر بعد التفكر عشرة ايام * المادة الحادية والعشرون اذا رضى الديوان الآخر بالقانون فانه يسوغ عرضه على الملك فاذا طرحه الديوان الآخر لا يمكن عرضه له اى لذلك الديوان مدة اجتماعه فى هذه السنة * الثانية والعشرون الملك وحده هو الذى يأذن بالقانون ويظهره للرعية * الثالثة والعشرون ماهية الملك محدودة له مدة توليته على كيفية واحدة لا تزيد ولا تنقص عن القدر المعين له عند توليه من مجلس ديوان البير يعنى ديوان المشورة الاولى * الرابعة والعشرون ديوان البير هو جزء ذاتى لتشريع القوانين التدبيرية * الخامسة والعشرون يجتمع هذا الديوان ويفتح مدة اشهر بأمر الملك فى زمن واحد مع انفتاح ديوان رسل العمالات فيفتحان معا فى يوم واحد ويغلقان كذلك * السادسة والعشرون لو اجتمع ديوان البير قبل انفتاح ديوان رسل العمالات اوقبل اذن ملك فرانسا كان سائر

الترتيب الصادر من هذا المجلس مدة الاجتماع ممنوع الامضاء وملغيا * السابعة والعشرون تسمية الشخص بيرفرانسا هو حق الملك وعدد اهل ديوان البير غير محدود وللملك أن يلقب البير بأى لقب كان وله أن يجعل ذلك اللقب له مدة حياته وأن يجعله متوارثا لذريته * الثامنة والعشرون يمكن أن يدخل البير فى الديوان وهو ابن خمس وعشرين سنة ولا يبدى رأيه فى المشورة الا بعد بلوغه فى السن ثلاثين سنة * التاسعة والعشرون رئيس ديوان البير هو قاضى قضاة فرانسا مهردار ملكها اى وزير خاتم ملكها فان اعتذر خلفه من اهل الديوان من يعينه الملك لذلك * الثلاثون اقارب الملك وذراريه يكون لهم الدخول فى مرتبة البيرية بمجرد ولادتهم ويجلس كل منهم بعد رئيس ذلك الديوان ولا يكون لهم كلمة ورأى فى المجلس الا بعد بلوغهم فى السن خمسا وعشرين سنة * الحادية والثلاثون لا يمكن لاحد من اهل مجلس البير أن يدخل فى ذلك الديوان عند انفتاحه الا بأذن من الملك بأن يبعث رسولا فان فعلوا ذلك كان ما فعل بحضرتهم لاغيا * الثانية والثلاثون كل آراء ديوان البير يجب كتمها عن غيرهم * الثالثة والثلاثون ديوان الملك هو الذى يستقل بالقضاء على الخيانة فى الدولة ونحوها من كل ما يضر الدولة مما هو مقرر فى القوانين * الرابعة والثلاثون لا يمكن أن يقبض احد على واحد من اهل ديوان البير الا بأمر ذلك الديوان ولا يمكن ان يحكم عليه غيرهم فى مواد الجنايات

ديوان رسل العمالات الذين هم وكلاء الرعية

الخامسة والثلاثون ديوان رسل العمالات مؤلف من جملة رسل ينتخبهم المنتخبون بكسر الخاء الذين يقال لهم اللكتور بكسر اللام المشددة وسكون الكاف وترتيبها مصنوع بقوانين مخصوصة * السادسة والثلاثون كل العمالات تبقى على ماهى عليه قبل هذه الشرطة من عدد مالها من الرسل * السابعة والثلاثون من الآن فصاعدا تختار الرسل لتمكث سبع سنوات لا خمسة كما كانت * الثامنة والثلاثون لا يصلح الانسان للدخول فى ديوان الرسل الا اذا بلغ اربعين سنة وكان له املاك يدفع عليها ألف فرنك فردة * التاسعة والثلاثون

لابدأن يجمع فى كل عمالة خمسون ألف نفس موجود فيهم شرطا السن والملك المذكوران ليختار الرسل منها فان لم يكمل ممن يدفعون ألف فرنك خمسون وجب تكميلها مما لهم املاك يدفعون عليها دون ألف فرنك ثم اختيار الرسل من جملة الخمسين * الاربعون شرط اللكتوراى المنتخب للرسل أن يكون له ملك يدفع فردته ثلثمائة فرنك وأن يكون قد بلغ من العمر ثلاثين سنة * الحادية والاربعون رؤساء مجلس المنتخبين ينصبهم الملك فيذ خلون فى اهل هذا المجلس * الثانية والاربعون يجب أن يكون نصف رسل العمالات فصاعدا مستوطنا عادة فى تلك العمالة * الثالثة والاربعون رئيس ديوان رسل العمالات ينصبه الملك ويختاره من خمسة رسل يعرضهم ذلك الديوان * الرابعة والاربعون مجالس هذا الديوان تكون جهرية الا اذا اراد خمسة من رسل العمالات كتم شئ فانه يجوز اخراج الناس الاجانب من الديوان * الخامسة والاربعون الديوان ينقسم الى دواوين صغيرة تسمى البورو يعنى مكاتب فاهل هذه البورو تمتحن الاشياء التى يستحسنها الملك ويبعثها لها * السادسة والاربعون لايقع تصليح شئ فى آداب سياسات فرانسا ولا يمضى الا اذا رضى به الملك وبحث فيه فى تلك الدواوين الصغيرة * السابعة والاربعون ديوان رسل العمالات يتلقى تقارير طلب الفرد والمكوس ولا تصل الى ديوان البير الا اذا رضى بها ذلك الديوان * الثامنة والاربعون لايمكن أن ينفذ امر الملك فى الفرد الا اذا رضى به الديوانان واقره الملك * التاسعة والاربعون فردة العقار لا تقطع الا سنة فسنة ويمكن قطع غيرها الاجل معلوم * الخمسون على الملك أن يأمر بفتح الديوانين كل سنة ولكن متى اراد وله أن يبطل ديوان رسل العمالات بشرط أن يصنع ديوان رسل جديدا وأن لا يزيد فى تجديد الآخر عن ثلاثة اشهر * الحادية والخمسون لايمكن أن يقبض احد على انسان من اهل مجلس رسل العمالات مدة فتح الديوان وشهرا ونصفا قبل فتحه وشهرا ونصفا بعده * الثانية والخمسون لايمكن أن يقبض على احد من اعضاء الديوان بسبب مادة من مواد العقوبات مادام الديوان مفتوحا ومادام اجتماع الديوان الا اذا

بغت وهو متلبس بالخطيئة اواذن الديوان باخذه * الثالثة والخمسون عرض الحال الذى يعرض على احد الديوانين لا يقبل الا اذا كان مكتوبا وآداب السياسة الفرنساوية لا تجوز ان يقدم الانسان تقريرا بنفسه فى المجلس

(الوزرآء)

المادة الرابعة والخمسون * يجوز أن يكون الوزير من اهل كل من الديوانين وله زيادة على ذلك حق الحضور فى احدهما ومتى طلب آن يتكلم فى الديوان وجب أن يصغى الى كلامه * الخامسة والخمسون يسوغ لديوان رسل العمالات أن يتهم الوزرآء فتسمع دعواه فى ديوان البير ليحكم بينهم ذلك الديوان فيفصل خصومتهم * السادسة والخمسون لا يتهم الوزير الا بخيانة فى التدبير بالرشوة اوباختلاس الاموال فيحكم عليه على حسب ماهو مسطر فى القوانين المخصوصة

(طائفة القضاة)

المادة السابعة والخمسون * الحكم حق الملك يعتبر كأنه صادر منه فيحكم القضاة المنصوبون من الملك الذين لهم ماهية من بيت المال ويتون الحكم باسم الملك * الثامنة والخمسون اذا ولى الملك قاضيا وجب ابقاؤه ولا يجوز عزله * التاسعة والخمسون القضاة المنصوبون وقت هذه الشرطة لا يمكن عزلهم ولو تجدد قانون آخر * الستون اقامة قضاة المعاملات لا يمكن ابطالها ابدا * الحادية والستون اقامة قضاة المصالحة تبقى ايضا ولكن قاضى المصالحة يجوز عزله وان كان منصبه يأتى له من الملك * الثانية والستون لا شئ يخرج عن حكم هؤلاء القضاة * الثالثة والستون لا يسوغ بسبب ما تقدم تجديد محاكم او مجالس زائدة الا بجمع قضاة النقباء الذين يقال لهم بريوتال اذا احتاج الامر الى ذلك * الرابعة والستون اقامة الدعوى والتشاجر بين الخصوم قدام الحاكم الشرعى تكون على رؤس الاشهاد فى مواد العقوبات الا اذا كان الذنب مضرا اشهاره بين العامة او مخلا بالحياء فان اهل المحكمة يخبرون الناس بأن هذا الامر يقع سرا * الخامسة والستون اقامة

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

الجماعة المحكمين المسماة جورية الجنايات لا تبطل ابدا واذا لزم تغيير بعض شئ
فى مواد القضاة لا يمكن الا اذا كان بقانون من الديوانين * السادسة والستون
قانون معاقبة الانسان بالاستيلاء على ما تملكه يده قد ابطل بالكلية ولا يمكن
تجديده ابدا * السابعة والستون للملك أن يعفو عن الانسان وأن يخفف
مواد العقوبات * الثامنة والستون كتب قوانين السياسات التى عليها
العمل الغير المناقضة لما فى هذه الشرطة لا ينسخ حكم ما فيها الا اذا تغير
بقانون آخر

(حقوق الناس التى يضمنها الديوان)

المادة التاسعة والستون كل اهل العسكرية سوى اصحاب خدمة دائمة
او متروكين لوقت الحاجة وكل النساء المتوفى عنهن ازواجهن وهم
فى العسكرية يبقى لهم مدة حياتهم وظيفتهم ودرجتهم وخرجهم * السبعون
ديون الرعية التى فى ذمة الديوان هى مضمونة على حسب اصطلاح الدولة
مع ارباب الديون * المادة الحادية والسبعون لم يفضل لاهل الشرف
القديم من درجات الشرف الا الاسم فقط وكذلك لارباب الشرف الجديد
ثم لملك فرانسا ان يعطى درجة الشرف الفرنساوى لاى انسان شاء ولكن
ليس له أن يخص من يعطيه ذلك برفع الفرد ونحوها عنه فليس للشرف مزية
غير التسمية * الثانية والسبعون من له علامة التميز المسماة درجة الشوالية
يعنى الفارس فى فنه فان له أن يحفظها على الصورة التى يعينها ملك فرانسا
لهذه الدرجة * الثالثة والسبعون القبائل والنزلات الخارجة من فرانسا
لتعمير بلاد اخرى وللاستيطان بها تكون مدبرة بقوانين وسياسات اخرى *
الرابعة والسبعون * على كل ملك من ملوك فرانسا أن يحلف عند تولية المملكة
الفرنساوية أن لا يحيد عن هذه الشرطة * ثم ان هذه الشرطة قد حصل فيها
تغيير وتبديل من منذ الفتنة الاخيرة الحاصلة فى سنة احدى وثلاثين
وثمانمائة وألف بتاريخ الميلاد فراجعها فى باب قيامة الفرنساوية وطلبهم
للحرية والمساواة انتهى فاذا تأملت رأيت اغلب ما فى هذه الشرطة نفيسا

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

وعلى كل حال فامره نافذ عند الفرنساوية ولنذكر هنا بعض ملاحظات فنقول * قوله فى المادة الاولى سائر الفرنسيس مستوون قدام الشريعة معناه سائر من يوجد فى بلاد فرانسا من رفيع ووضيع لا يختلفون فى اجراء الاحكام المذكورة فى القانون حتى ان الدعوى الشرعية تقام على الملك و ينفذ عليه الحكم كغيره فانظر الى هذه المادة الاولى فانها لها تسلط عظيم على اقامة العدل واسعاف المظلوم وارضاء خاطر الفقير بانه كالعظيم نظرا الى اجراء الاحكام ولقد كادت هذه القضية أن تكون من جوامع الكلم عند الفرنساوية وهى من الادلة الواضحة على وصول العدل عندهم الى درجة عالية وتقدمهم فى الآداب الحضرية * ومايسمونه الحرية ويرغبون فيه هو عين مايطلق عليه عندنا العدل والانصاف وذلك لان معنى الحكم بالحرية هو اقامة التساوى فى الاحكام والقوانين بحيث لا يجور الحاكم على انسان بل القوانين هى المحكمة والمعتبرة فهذه البلاد حرية بقول الشاعر

وقد ملأ العدل اقطارها * وفيها توالى الصفا والوفا

وبالجملة اذا وجد العدل فى قطر من الاقطار فهو نسبى اضافى لا عدل كلى حقيقى فانه لا وجود له الآن فى بلدة من البلدان فهو كالايمان الكامل والحلال الصرف وامثال ذلك ونظائره فلا معنى لحصر المستحيل فى الغول والعنقاء والخل الوفى كما هو مذكور فى قوله

لما رأيت بنى الزمان ومابهم * خل وفى للشدائد أصطفى
ايقنت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

مع أن ذلك ممنوع فى العنقاء فانها نوع من الطيور موجود الافراد يذكر عند ارباب علم الحشائش وذكر الثعلبى فى قصص الانبياء قضية العنقاء مع سيدنا سليمان فى تكذيبها بالقدر نعم لا وجود للعنقاء بالمعنى المشهور عند العامة من العرب والافرنج من انها من اعلاها عقاب ومن اسفلها اسد وعلى كل حال فلها فى الجملة وجود * واما المادة الثانية فانها محض سياسة ويمكن أن يقال ان الفردو ونحوها لو كانت مرتبة فى بلاد الاسلام كما هى فى تلك

البلاد

البلاد لطابت النفس خصوصا اذا كانت الزكوات والفىء والغنيمة لاتفى بحاجة بيت المال او كانت ممنوعة بالكلية وربما كان لها اصل فى الشريعة على بعض اقوال مذهب الامام الاعظم * ومن الحكم المقررة عند قدماء الحكماء الخراج عمود الملك * ومدة اقامتى بباريس لم اسمع احدا يشكو من المكوس والفرد والجبايات ابدا ولا يتأثرون بحيث انها تؤخذ بكيفية لاتضر المعطى وتنفع بيت مالهم خصوصا واصحاب الاموال فى امان من الظلم والرشوة * واما المادة الثالثة فلاضرر فيها ابدا بل من مزاياها انها تحمل كل انسان على تعهد تعلمه حتى يقرب من منصب اعلى من منصبه وبهذا كثرت معارفهم ولم يقف تمدنهم على حالة واحدة مثل اهل الصين والهند ممن يعتبر توارث الصنائع والحرف ويبقى للشخص دائما حرفة ابيه وقد ذكر بعض المؤرخين أن مصر فى سالف الزمان كانت على هذا المنوال فان شريعة قدماء القبطة كانت تعين لكل انسان صنعته ثم يجعلونها متوارثة عنه لاولاده قيل سبب ذلك أن جميع الصنائع والحرف كانت عندهم شريفة فكانت هذه العادة من مقتضيات الاحوال لانها تعين كثيرا على بلوغ درجة الكمال فى الصنائع لان الابن يحسن عادة ما رأى اباه يفعله عدة مرات بحضرته ولا يكون له طمع فى غيره فهذه العادة كانت تقطع عرق الطمع وتجعل كل انسان راضيا صنعته لا يتمنى اعلى منها بل لايبحث الاعن اختراع امور جديدة نافعة لحرفته توصل الى كمالها انتهى ويرد عليه انه ليس فى كل انسان قابلية لتعلم صنعة ابيه فقصره عليها ربما جعل الصغير خائبا فى هذه الصنعة والحال أنه لو اشتغل بغيرها لصلح حاله وبلغ آماله * واما المادة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فانها نافعة لاهل البلاد والغرباء فلذلك كثر اهل هذه البلاد وعمرت بكثير من الغرباء * واما المادة الثامنة فانها تقوى كل انسان على أن يظهر رأيه وعلمه وسائر ما يخطر بباله مما لايضر غيره فيعلم الانسان سائر ما فى نفس صاحبه خصوصا الورقات اليومية المسماة بالجرنالات والكازيطات الاولى جمع جرنال والثانية جمع كازيطة فان الانسان

يعرف منها سائر الاخبار المتجددة سوآء كانت داخلية اوخارجية اى داخل المملكة اوخارجها وان كان قد يوجد فيها من الكذب مالايحصى الا انها قد تتضمن اخبارا تتشوف نفس الانسان الى العلم بها على انها ربما تضمنت مسائل علمية جديدة التحقيق اوتنبيهات مفيدة اونصائح نافعة سوآء كانت صادرة من الجليل اوالحقير لانه قد يخطر ببال الحقير مالايخطر ببال العظيم كما قال بعضهم لاتحتقر الرأى الجليل يأتيك به الرجل الحقير فان الدرة لاتستهان لهوان غوّاصها

وقال الشاعر

لما سمعت به سمعت بواحد * ورأيته فاذا هو الثقلان
فوجدت كل الصيد فى جوف الفرا * ولقيت كل الناس فى انسان

ومن فوآئدها أن الانسان اذا فعل فعلا عظيما اورديئا وكان من الامور المهمة كتبه اهل الجرنال ليكون معلوما للخاص والعام لترغيب صاحب العمل الطيب وردع صاحب الفعلة الخبيثة وكذلك اذا كان الانسان مظلوما من انسان كتب مظلمته فى هذه الورقات فيطلع عليها الخاص والعام فيعرف قصة المظلوم والظالم من غير عدول عما وقع فيها ولا تبديل وتصل الى محل الحكم ويحكم فيها بحسب القوانين المقررة فيكون مثل هذا الامر عبرة لمن يعتبر واما المادّة التاسعة فانها عين العدل والانصاف وهى واجبة لضبط جور الاقوياء على الضعاف وتعقيبها بما فى العاشرة من باب اللياقة الظاهرة * وفى المادّة الخامسة عشر نكتة لطيفة وهى أن تدبيرامر المعاملات لثلاثة مراتب المرتبة الاولى الملك مع وزرآئه والثانية مرتبة البيرية المحامية للملك والثالثة مرتبة رسل العمالات الذين هم وكلاء الرعية والمحامون عنهم حتى لاتظلم من احد وحيثما كانت رسل العمالات قائمة مقام الرعية ومتكلمة على لسانها كانت الرعية كأنها حاكمة نفسها وعلى كل حال فهى مانعة للظلم عن نفسها بنفسها وهى آمنة منه بالكلية ولا يخفى عليك حكمة باقى المواد

(خلاصة حقوق الفرنساوية الآن بعد سنة ١٨٣١ من الميلاد وتصليح الشرطة)

حقوق

(حقوق الفرنساوية الواجبة لهم والواجبة عليهم)

(مضمون الشرطة بعد التغيير)

الفرنساوية مستوون فى الاحكام على اختلافهم فى العظم والمنصب والشرف والغنى فان هذه مزايا لا تنفع لها الا فى الاجتماع الانسانى والتحضر فقط لا فى الشريعة فلذلك كان جميعهم يقبل فى المناصب العسكرية والبلدية كما انه يعين الدولة من ماله على قدر حاله وقد ضمنت الشريعة لكل انسان التمتع بحريته الشخصية حتى لا يمكن القبض على انسان الا فى الصور المذكورة فى كتب الاحكام ومن قبض على انسان فى صورة غير منصوصة فى الاحكام يعاقب عقوبة شديدة ومن الاشياء التى ترتبت على الحرية عند الفرنساوية أن كل انسان يتبع دينه الذى يختاره يكون تحت حماية الدولة ويعاقب من تعرض لعابد فى عبادته ولا يجوز وقف شئ على الكنائس او اهداء شئ لها الا باذن صريح من الدولة وكل فرنساوى له أن يبدى رأيه فى مادّة السياسات او فى مادّة الاديان بشرط أن لا يخل بالانتظام المذكور فى كتب الاحكام * كل الاملاك على الاطلاق حرم لا تهتك فلا يكره انسان ابدا على اعطاء ملكه الا لمصلحة عامة بشرط اخذه قبل التخلية قيمته والمحكمة هى التى تحكم بذلك * كل انسان عليه أن يعين فى حفظ المملكة العسكرية بشخصه بمعنى انه كل سنة يجمع اولادا احدى وعشرين سنة لتضرب القرعة لاخذ العساكر السنوية منهم ومدّة خدمة العسكرية ثمانى سنوات وكل فرنساوى عمره ثمانى عشرة سنة وله حقوقه البلدية يمكنه أن يتطوع ويدخل العسكرية * ويعافى من العسكرية عدّة اناس * الاول من طوله دون متر وخمسة وسبعين سنتمترا يعنى اربعة اقدام وعشرة برامق * الثانى اصحاب العلل * الثالث الابن اكبر الاخوة الايتام من ابيهم وامهم * الرابع الابن البكرى او المنفرد او ابن الابن الاكبر او المنفرد عند فقده اذا كانت الام او الجدّة لا زوج لها او كان ابوه اعمى او سنه سبعين سنة * الخامس البكرى احد الاخوين اللذين وقعا فى قرعة لمة واحدة * السادس الاخ الذى اخوه باق تحت البيرق او مات فى الخدمة او جرح فى الحرب

ولواراد انسان أن ينوب عنه غيره فان المنوب عنه يضمن النائب سنة من خوف الهرب الا اذا كان الهارب قبض عليه فى السنة اومات تحت بيرق الفرنساوية وفى احد وعشرين فى شهر دقمبر من كل سنة كل العساكر التى تمت خدمتهم يؤذن لهم بالعود الى محالهم ولما كان لا يمكن لكل انسان أن يدخل بنفسه فى عمل الدولة وكات الرعية بتمامها عنها فى ذلك اربعمائة وثلاثين وكيلا تبعثها الى باريس فى المشورة وهؤلاء الوكلاء تختارهم الرعية وتوكلهم بأن يمانعوا عن حقها ويصنعوا ما فيه مصلحة لها وذلك أن كل فرنساوى مستكمل للشروط التى منها أن يكون عمره خمسا وعشرين سنة له أن يكون ممن له مدخل فى انتخاب رسل عمالاته * وكل فرنساوى له أن يكون رسولا اذا كان عمره ثلاثين سنة وكان موصوفا بالشروط المذكورة فى كتاب الاحكام * وفى كل مأمورية مجمع اختبار وانتخاب ومجامع انتخاب للاقاليم الصغيرة * ومجامع المأموريات الكبيرة مؤلفة من المنتخبين الكبار وتعين ١٧٢ رسولا ومجامع انتخاب الاقاليم الصغيرة تعين ٢٥٨ رسولا ودفاتر ارباب الانتخاب تطبع وتكتب فى الطرق شهرا قبل فتح مجامع الانتخاب حتى انه يمكن لكل انسان أن يكتب اعلاما به وكل منتخب بكسر الخاء يكتب رأيه سرا فى ورقة ويعطيها للرئيس مطوية والرئيس يضعها فى اناء القرعة وديوان رسل العمالات يتجدد اهله بالكلية كل خمس سنوات ولا يمكن اخذ الفرد الا بخلاصة من مشورة الديوانين مقررة من طرف الملك ويمكن لاهل البلدان أن يراسلوا اهل الديوانين بطرق العرضحال ليشتكوا من شئ او يعرضوا شيأ نافعا * القضاة لا ينعزلون فلا يحكم على انسان الا بقضاة محل استيطانه * والدعاوى تقام جهرا وذنوب الجنايات لا يحكم فيها الا بحضرة جماعة يسمون الجوريين والعقوبة بالقبض على الاموال بطلت * للملك أن يعفو عن المعاقب وأن يخفف العقاب الشديد * على الملك وورثته أن يحلفوا عند ارتقاء الكرسى بأن يعملوا بما فى كتاب قوانين المملكة * ثم انه يطول علينا ذكر الاحكام الشرعية او القانونية المنصوبة عند الفرنساوية فلنقل ان احكامهم القانونية ليست مستنبطة من الكتب

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

السماوية وانما هي مأخوذة من قوانين أخر غالبها سياستي وهي مخالفة بالكلية للشرائع وليست قارة الفروع ويقال لها الحقوق الفرنساوية اي حقوق الفرنساوية بعضهم على بعض وذلك لان الحقوق عند الافرنج مختلفة ثم أن باريس عدة محاكم وفي كل محكمة قاض كبير كأنه قاضي القضاة وحوله رؤساء وارباب مشورة ووكلاء الخصوم ومحامون للخصوم ونواب عن المحامين وموقع الوقائع

(شعر)

من ادعى أن له حاجة * تخرجه عن منهج الشرع
فلا تكونن له صاحبا * فانه ضرّ بلا نفع

(الفصل الرابع في عادة سكنى اهل باريس وما يتبع ذلك)

من المعلوم أن البلدة او المدينة تبلغ من الحضارة على قدر معرفتها وبعدها عن حالة الخشونة والتوحش والبلاد الافرنجية مشحونة بانواع المعارف والآداب التي لا ينكر انسان انها تجلب الانس وتزين العمران وقد تقرّر أن الملة الفرنساوية ممتازة بين الامم الافرنجية بكثرة تعلقها بالفنون والمعارف فهي اعظم ادبا وعمرانا والبنادر اولى في العمارات عادة من القرى و الضياع * والمدن العظمى اولى من سائر البنادر وتخت المملكة اولى من سائر ماعداها من مدن تلك المملكة فحينئذ لا عجب أن قيل ان باريس التي هي قاعدة ملك الفرنسيس من اعظم بلاد الافرنج بناء وعمارة وان كانت عماراتها غير جيدة المادّة فهي جيدة الهندسة والصناعة على انه ربما يقال ايضا ان مادّتها جيدة الا انها ناقصة لعدم كثرة حجر الرخام فيها وخلوّها عن بعض اشياء أخر كيف لا واساس حيطانها من احجار النحاتة وكذلك الحيطان الخارجية واما الداخلية فانها تتخذ من الخشب الجيد في الغالب واما عواميدها فهي غالبا من النحاس فقل أن كانت من الرخام كما أن تبليط الارض يتخذ من حجر البلاط وقد يكون من الرخام الاسود مع البلاط وذلك أن الطرق دائما مبلطة بحجر البلاط المربع والحيشان مبلطة بالبلاط المذكور والقيعان بالآجر او بالخشب او بالمرمر الاسود مع البلاط المشغول وجودة الحجر او الخشب تختلف باختلاف يسار

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

الانسان ثم ان حيطان الغرفات والارض من خشب كما تقدم وهم يطلونه بالطلاء ثم يسترون الحيطان بورق منقوش نقشا نظيفا فهو احسن من عادة تبييض الحيطان بالجير فان الورق لا يعود منه شئ على من مس الجدار بخلاف الجير بل وهو اهون مصرفا واعظم منظرا واسهل فعلا خصوصا فى اوضاتهم المزينة بانواع من الامتعة التى لا يمكن الافصاح عنها غاية ما يقال أن الفرنساوية يحاولون اضعاف نور الاوض بوضع الستائر الملونة خصوصا الخضراء وارض اوضهم مبلطة بخشب او بنوع من القرميد الاحمر ويحكون ارض الاوضة كل يوم بالشمع الاصفر المسمى عندهم شمع الحك وعندهم حكاكون بالاجرة معدون لذلك بالخصوص وتحت اسرتهم المكسوة بالخيشات وبالمشجرات وغيرها سجادات عظيمة يطؤنها بالنعال وفى كل اوضة مدخنة للنار وهى على شكل صفة القلل مرخمة بجيد الرخام وفوقها ساعة بشخخنة وحول الساعة من الجهتين آنية من تقليد الرخام الابيض اومن البلور فيها ازهار او تقليد ازهار وحول هذا من الجهتين القناديل الافرنجية الدولابية التى لا يدرك صورتها حقيقة الا من رآها موقودة وفى غالب اوضهم آلة الموسيقى المسماة البيانو بكسر الباء وضم النون فاذا كانت الاوضة اوضة شغل وقرآءة ففيها طاولة مشتملة على آلات الكتابة وغيرها مثل سكاكين قطع الورق المصنوعة من العاج او البقس او غيرهما واغلب الاوض مشحون بالصور خصوصا صور الاقارب وفى اوضة الشغل ايضا قد توجد صور عجيبة واشياء من غرآئب ما كان عند القدماء على اختلافهم وربما رأيت على طاولة الشغل اوراق الوقائع على اختلاف اجناسها وربما رأيت كذلك فى اوض الاكابر النجفات العظيمة التى توقد بشموع العسل وربما رأيت ايضا فى اوضهم فى يوم تلقى الناس طاولة وعليها جميع الكتب المستجدة والوقائع وغيرهما لتسلية من اراد من الضيوف أن يسرح ناظره وينزه خاطره فى قرآءة هذه الاشياء وهذا يدل على كثرة اهتمام الفرنساوية بقرآءة الكتب فهى انسهم ومن التوقيعات اللطيفة الكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشى ظرفا ومن لك بروضة

تقلب فی حجرو بستان یحمل فی کم وما احسن قول بعضهم شعرا

دفتری مؤنسی وفکری سمیری * ویدی خادمی وحلی ضجیعی
ولسانی سیفی وبطشی قریضی * ودواتی عیشی ودرجی ربیعی

وقال آخر

لنا جلساء ما يمل حديثهم * الباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيد وننا من علمهم علم ما مضى * وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا
فان قلت اموات فما انت كاذب * وأن قلت احياء فلست مفندا

ومن کلام بعضهم * نعم المحدث الدفتر * ومن کلام بعض الظرفاء * ما رأيت باكيا احسن تبسما من القلم * ثم ان جميع هذه التحف يكمل الانس بها بحضور سيدة البيت اى زوجة صاحبه التى تحيى الضيوف اصالة وزوجها يحييهم بالتبعية فاين هذه الاوض بما احتوت عليه من اللطائف من اوضنا التى يحيى فيها الانسان باعطاء شبق الدخان من يد خادم فى الغالب اسود اللون واما السقوف فانها من الخشب النفيس ثم ان البيت فى العادة مصنوع من اربع طبقات بعضها فوق بعض ماعدا البناء الارضى فلا يحسب دورا وقد يصل الى سبعة ادوار وغيرها تحت الارض من المخادع التى تستعمل ايضا لربط الخيل او المطبخ وذخائر البيت وخصوصا النبيذ والخشب للوقود ثم أن البيت عندهم كما فى بيوت القاهرة مشتمل على عدة مساكن مستقلة ففى كل دور من ادوار البيت جملة مساكن وكل مسكن متنافذ الاوضات وقد جرت عادتهم بتقسيم البيوت الى ثلاث مراتب * المرتبة الاولى بيت عادى * والثانية بيت لاحد من الكبار * والثالثة بيوت الملك واقاربه ودواوين المشورة ونحوها فالاول يسمى بيتا والثانى يسمى دارا والثالث يسمى قصرا او سراية ويمكن ايضا تقسيم البيوت من حيثية اخرى الى ثلاث مراتب ايضا المرتبة الاولى البيوت التى لها حاجب ولها باب كبير يسع دخول العربة منه والثانية البيوت التى داخلها دهاليز ولها بوّاب ولا يمكن أن تدخل العربة من بابها والثالثة البيوت التى لا بوّاب لها اى لا مكان للبوّاب فيها يسكن فيه ووظيفة البوّاب

فی باریس أن ینتظر الساکن الی نصف اللیل فاذا اراد الساکن ان یسهر فی المدینة زیادة عن نصف اللیل فعلیه أن ینبه البواب لینتظره ولکن لابد أن یعطیه بعض شیٔ ولیس علی الحارات بواب اصلا ولیس لها ابواب کما فی مصر ثم ان العقارات بباریس غالیة الثمن والکرآء حتی ان الدار العظیمة قد یبلغ ثمنها ملیون فرنك یعنی نحو ثلاثة ملایین قروشا مصریة ثم ان کرآء المساکن فی باریس قد یکون لمجرد المسکن وقد یستأجرها الانسان بفراشها العظیم وجمیع اثاثها وآلاتها * وآلات البیت عند الفرنسیس هی آلات الطباخة والمأکل بأجمعها بطقمها المشتمل علی الفضیات ونحوها وآلة الفراش للنوم وهو فی الغالب عدة طراحات احداها من الریش وملایة فرشه تتغیر کل شهر وحرامات الغطاء ثم الات التجمل وتلقی الزوار وهی الکراسی المکسوة بالحریر المشغول ونحوه والسدلات المکسوة کذلك والکراسی العادیة والآلات العظیمة المنظر کالساعات الکبیرة المسماة عندهم بندول وکأوانی الازهار العظیمة وغیرها من اوانی القهوة المموهة بالذهب وکالتحفة المعلقة التی تتقد بالشموع المکررة وکخزانة الکتب التی لها باب من القزاز یظهر منه ما فیها من الکتب جیدة التجلید وکل انسان له خزنة کتب سوآء الغنی والفقیر حیث ان سائر العامة یکتبون ویقرؤن * والغالب أن الرجل ینام فی اوضة غیر التی تنام فیها زوجته اذا تقادم الزواج ومن العوآید التی لا بأس بها أن قصر ملك فرانسا وقصور اقاربه تنفتح حین خروج السلطان واقاربه کل سنة الی الاقامة فی الخلاء مدة اشهر فیدخل سائر الناس للفرجة علی بیت الملك واقاربه فیرون اثاث البیت وسائر الاشیاء الغریبة ولکن لا یدخل احد الا بورقة مطبوعة مکتوب فیها الاذن بدخول شخص اوشخصین او اکثر وهذه الورقة توجد عند کثیر من الناس فاذا طلبها الانسان ممن یعرفه اعطاها له فتری فی البیت ازدحاما عظیما للفرجة علی جمیع ما فی حریم الملك واقاربه وقد دخلت ذلك عدة مرات فرأیته من الامور العجیبة التی ینبغی التفرج علیها وفیه کثیر من الصور التی لا تمتاز عن الناس الا بعدم النطق وفیه مصور کثیر من ملوك فرانسا وغیرهم

وکل

وكل اقارب السلطنة وكل الاشياء الغريبة واغلب الاشياء الموجودة
فى حريم السلطنة مستحسنة من جملة جودة صناعتها لا نفاستها بالمادة * مثلا
سائر الفراش كالكراسى والاسرة حتى كراسى المملكة مشغولة شغلا عظيما
بالقصب المخيش ومطلية بالذهب الا انه لا يوجد بها كثير من الاحجار الكريمة
كما يوجد ببلادنا ببيوت الامراء الكبار بكثرة فمبنى امور الفرنساوية فى جميع
امورهم على التجمل لا على الزينة واظهار الغنى والتفاخر ثم سائر الاغنياء
بباريس يسكنون فى الشتاء فى نفس المدينة وقد اسلفنا فى ذكر طبيعة اقليم باريس
أن كل بيت به مداخن تتقد فيها النيران فى القيعان والاود واما فى مدة الحر
فمن له يسار سكن فى الخلاء لان القصور بالخلاء اسلم هواء من داخل
المدينة ومن الناس من يسافر فى بعض بلاد فرانسا او ما جاورها من البلاد
ليستنشق رائحة البلاد الغريبة ويطلع على البلاد ويعرف عوايد اهلها
خصوصا فى مدة من السنة تسمى عندهم مدة التعطيل او مدة الفراغ يعنى
البطالة حتى النساء فانهن يسافرن وحدهن او مع رجل يتفق معهن على السفر
وينفقن عليه مدة سفره معهن لان النساء ايضا متولعات بحب المعارف
والوقوف على اسرار الكائنات والبحث عنها اوليس انه قد يأتى منهن من بلاد
الافرنج الى مصر ليرى غرائبها من الاهرام والبرابى وغيرها فهن كالرجال
فى جميع الامور نعم قد يوجد منهن بعض نساء غنيات مستورات الحال
يمكن من انفسهن الاجنبى وهن غير متزوجات فيشعرن بالحمل ويخشين
الفضيحة بين الناس فيظهرن السفر لمجرد السياحة او لمقصد آخر ليلدن
ويضعن المولود عند مرضع باجرة خاصة ليتربى فى البلاد الغريبة ومع هذا الامر
فليس بشائع وبالجملة ما كل بارقة تجود بمائها ففى نساء الفرنساوية ذوات
العرض ومنهن من هى بضد ذلك وهو الاغلب لاستيلاء فن العشق فى فرانسا
على قلوب غالب الناس ذكورا واناثا وعشقهم معلل لانهم لا يصدقون
بأنه يكون لغير ذلك الا انه قد يقع بين الشاب والشابة فيعقبه الزواج * ومما يمدح
به الفرنساوية نظافة بيوتهن من سائر الاوساخ وان كانت بالنسبة لبيوت اهل

الفلمنك كلا شئ فان اهل الفلمنك اشد جميع الامم نظافة ظاهرية كما أن اهل
مصر فى قديم الزمان كانوا ايضا اعظم اهل الدنيا نظافة ولم يقلدهم ذراريهم
وهم القبطة فى ذلك وكما أن باريس نظيفة فهى خلية ايضا من السميات بل ومن
الحشرات فلا يسمع بأن انسانا فيها الدغته عقرب ابدا وتعهد الفرنساوية تنظيف
بيوتهم وملابسهم امر عجيب وبيوتهم دائما مفرحة بسبب كثرة شبابيكها
الموضوعة بالهندسة وضعا عظيما يجلب النور والهوآء داخل البيوت
وخارجها وظرفات الشبابيك دائما من القزاز حتى اذا اغلقت فان النور
لا يحجب اصلا وفوقها دائما الستائر للغنى والفقير كما أن ستائر الفرش التى هى
نوع من الناموسية غالبة لسائر اهل باريس

* (الفصل الخامس فى اغذية اهل باريس وفى عاداتهم فى المآكل والمشارب) *

اعلم أن قوت اهل المدينة هو الحنطة وهى فى الغالب صغيرة الحبوب
الا اذا كانت منقولة من البلاد الغربية فيطحنونها فى طواحين الهوآء والماء
ويخبزونها عند الفران فيباع الخبز فى دكانه وسائر الناس لها مرتب يومى تشتريه
من الخباز وعلة ذلك توفير الزمان والاقتصاد فيه لان سائر الناس مشغولون
فى اشغال خاصة فصناعة العيش فى البيوت تشغلهم * ثم ان المحتسب يأمر
الخبازين أن يكون عندهم كل يوم من العيش ما يكفى المدينة وفى الحقيقة
لا يمكن فقد العيش ابدا بمدينة باريس بل ولا فقد غيره من امور الاغذية * وادم
اهل هذه المدينة اللحوم والبقول والخضراوات والالبان والبيض وغيرها
والغالب تعدد الاطعمة ولو عند الفقرآء * ثم ان المذابح عندهم تكون
باطراف المدينة لا داخلها وحكمة ذلك امر ان دفع الوخم ودفع اضرار البهائم اذا
انفلتت * وكيفية الذبح تختلف عندهم * فاما ذبح الضأن فانه اهون من ذبح
غيره فانهم ينفذون السكين ورآء زوره يعنى بين زوره ورقبته ثم يقطعونه بعكس
ما نفعل * واما ذبح العجول فانه مثله * واما الثيران فيضربونها بمقامع من حديد
فى وسط رأسها فيدوخ من عظم الخبط ثم يكررون ذلك عدة مرات فيقطع الثور
النفس مع بقاء الحركة ثم يذبحونه كما تقدم من ذبح الضأن ولقد بعثت خادما لى

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

مصر يا الى المذبح ليذبح ما اشترى منه كما هو عادتى فلما رآى معاملة الثيران بمثل ذلك الامر البشع جاء يستجير و يحمد الله تعالى حيث لم يجعله ثورا فى بلاد الافرنج والاذاق العذاب كالثيران التى رآها والعجول والثيران تكون من البقر اذلا وجود للجواميس بهذه البلاد الالفرجة * واما ذبح الطيور فانه على انواع مختلفة فنهم من يصنع فيها كالغنم ومنهم من يقطع لسان الطائر ومنهم من يخنقه بفتلة خيط ومنهم من يذبحه من قفاه الى غير ذلك * واما الارانب فانها لا تذبح ابدا بل تخنق ليحقن فيها دمها * واما ذبح الخنازير فلم اره لان له مذبحا مخصوصا والظاهر انهم يصنعون بها كالعجول ثم من الامور التى بها راحة للناس بمدينة باريس محال الاكل المسماة الرسطراطور اى اللوكنجة فانها مستوفية لما يجده الانسان فى بيته بل اعظم وقد يجد الانسان ما يطلبه حاضرا وفى هذه الرسطراطور غرف لطيفة متعددة مستوفية لآلات البيوت وربما يوجد فيها محال للنوم مفروشة باعظم الفراش وكما يوجد فى الرسطراطور انواع المآكل والمشارب يوجد فيها انواع الفواكه والنقل وعادة الفرنساوية الاكل فى طباق كالطباق العجمية او الصينية لا فى آنية النحاس ابدا ويضعون على السفرة دائما قدام كل انسان شوكة وسكينا وملعقة والشوكة والملعقة من الفضة ويرون أن من النظافة او السلبنة أن لا يمس الانسان الشئ بيده وكل انسان له طبق قدامه بل وكل طعام له طبق وقدام الانسان قدح فيصب فيه ما يشرب به من قزازة عظيمة موضوعة على السفرة ثم يشرب فلا يتعدى احد على قدح الآخر * وأوانى الشرب دائما من البلور والزجاج وعلى السفرة عدة اوان صغيرة من الزجاج احدها فيه ملح والآخر فيه فلفل وفى الثالث خردل الى آخره * وبالجملة فآداب سفرتهم وترتيباتها عظيمة جدا وابتداء المائدة عندهم الشوربة واختتامها الحلويات والفواكه والغالب فى الشراب عندهم النبيذ على الاكل بدل الماء وفى الغالب خصوصا لاكابر الناس أن يشرب من النبيذ قدرا لا يحصل به سكر اصلا فان السكر عندهم من العيوب والرذائل وبعد تمام الطعام ربما شربوا شيأ يسيرا من العرقى ثم انهم مع شربهم

من هذه الخمور لا يتغزلون بها كثيرا فى اشعارهم وليس لهم اسماء كثيرة تدل على الخمرة كما عند العرب اصلا فهم يتلذذون بالذات والصفات ولا يتخيلون فى ذلك معانى ولا تشبيهات ولا مبالغات نعم عندهم كتب مخصوصة متعلقة بالسكارى وهى هزليات فى مدح الخمرة لا تدخل فى الادبيات الصحيحة فى شئ اصلا ويكثر فى باريس شرب الشاى عقب الطعام لانهم يقولون انه هاضم للطعام ومنهم من يشرب القهوة مع السكر وفى عوايد اغلب الناس أن يفتتوا الخبز فى القهوة المخلوطة باللبن ويتعاطوها فى الصباح واذا اردت بعض شئ يتعلق بالمأكل والمشرب فراجع فصل المآكل والمشارب فى ترجمتنا كتاب قلائد المفاخر * ثم ان الغالب أن ما يقطعه اهل هذه المدينة من المآكل والمشارب كل سنة يكون هذا تقريبه فمن الخبز ما تزيد قيمته على خمسة وثلاثين مليونا من الفرنكات وتأكل من اللحوم نحو واحد وثمانين ألف ثور واربعمائة وثلاثين ثورا ومن البقر نحو ثلاثة عشر ألف بقرة ومن الضأن اربعمائة وسبعين ألف كبش ومن الخنازير الوحشية والاهلية نحو مائة ألف خنزير ومن السمن بنحو عشرة ملايين من الفرنكات ومن البيض بنحو خمسة آلاف فرنك * ومن غرائب الاشياء أن فيها التحيل على عدم عفونة الاشياء التى من شأنها العفونة فمن ذلك ادخار اللبن بكيفية خاصة خمس سنين من غير تغير وادخار اللحم طريا عشر سنوات وادخار الفواكه لوجودها فى غير اوانها ومع كثرة تفننهم فى الاطعمة والفطورات ونحوها فطعامهم على الاطلاق عديم اللذة ولا حلاوة صادقة فى فواكه هذه المدينة الا فى الخوخ واما خماراتها فانها لا تحصى فما من حارة الا وهى مشحونة بهذه الخمارات ولا يجتمع فيها الا اراذل الناس وحرافيشهم مع نسائهم ويكثرون الصياح وهم خارجون منها بقولهم ما معناه الشراب الشراب ومع ذلك فلا يقع منهم فى سكرهم اضرار اصلا وقد اتفق لى ذات يوم وانا مار فى طريق فى باريس أن سكران صاح قائلا يا تركى يا تركى وقبض بثيابى وكنت قريبا من دكان يباع فيه السكر ونحوه فدخلت معه واجلسته على كرسى وقلت لرب الحانوت على سبيل

المزح

المزح هل تريد أن تعطيني بثمن هذا الرجل سكرا اوتقلا فقال صاحب الحانوت ليس هنا مثل بلادكم يجوز التصرف في النوع الانساني فما كان جوابي له الا انني قلت ان هذا الشخص السكران ليس في هذا الحال من قبيل الادميين وهذا كله والرجل جالس على الكرسي ولا يشعر بشيء ثم تركته بهذا المحل وذهبت

(الفصل السادس في ملابس الفرنسيس)

من المعروف عندنا أن غطاء رأس الافرنج البرنيطة وأن نعالهم في الاكثر الصرم السوداء والتاسومات وأن لباسهم في الغالب هو الجوخ الاسود واما الفرنساوية فانهم في الغالب ايضا على هذا الملبس الا انهم لا يلزمون ملبسا خاصا بل كل انسان يلبس باختياره ما تأذن له العادة بلبسه والغالب أن لبسهم ليس له زينة وانما هو في غاية النظافة ومن العوايد العظيمة انتشار لبس القمصان والالبسة والصديريات تحت ملابسهم فان الموسر يغير في الاسبوع عدة مرات وبهذا يستعينون على قطع عرق الواغش فلذلك كان لا اثر للقمل ونحوه الا عند من اشتد به الفقر وملابس النساء ببلاد الفرنسيس لطيفة بها نوع من الخلاعة خصوصا اذا تزين بأغلى ما عليهن ولكن ليس لهن كثير من الحلي فان حليهن هو الحلق المذهب في آذانهن ونوع من الاساور الذهب يلبسنه في ايديهن خارج الاكمام وعقد خفيف في اجيادهن واما الخلاخل فلا يعرفنها ابدا ولبسهن في العادة الاقمشة الرقيقة من الحرير او الشيت او البفت الخفيف ولهن في البرد شريط فروة فيضعنه على رقابهن ويرخين طرفيه كالمآزر حتى يصل بطرفيه الى قرب القدمين ومن عوايدهن أن يحتزمن بحزام رفيع فوق أثوابهن حتى يظهر الخصر نحيفا ويبرز الردف كثيفا ومما انشده الحاجري في ديوانه وان كان فيه خروج

قوله

ومزنر ياليتني استاذه * كيما افوز بضمة من خصره
القس يسقيه شبيهة خده * والمسلمون بأسرهم في أسره
فوحقه لولا رشاقة قده * مارق اسلامي لشدة كفره

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

ومن العجائب انه يمكن الانسان أن يضع فى الخصر وقت الحزام فترى يديه لدقته
ومن خصال النساء أن يشبكن بالحزام قضيبا من صفيح من البطن الى آخر الصدر
حتى يكون قوامهن دائما معتدلا لا اعوجاج به ولهن كثير من الحيل
ومن خصالهن التى لا يمكن للانسان أن لا يستحسنها منهن عدم ارخائهن الشعور
كعادة نساء العرب فان الفرنسيس يجمعن الشعور فى وسط رؤسهن ويضعن
فيه دائما مشطا ونحوه ومن عوايدهن فى ايام الحر كشف الاشياء الظاهرية
من البدن فيكشفن من الرأس الى ما فوق الثدى حتى انه يمكن أن يظهر
ظهرهن وفى ليالى الرقص يخلعن عن اذرعتهن وبالجملة فلا يعد ذلك من الامور
المخلة عند اهل هذه البلاد ولكن لا يمكن لهن ابدا كشف شئ من الرجلين بل هن
دائما لابسات للشرابات الساترة للساقين خصوصا فى الخروج الى الطرق
وفى الحقيقة سيقانهن غير عظيمة اصلا فلا يصلح لهن قول الشاعر

لم انسه اذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

وملابس الحزن عند الفرنسيس هى علامة حزن تلبس مدة معلومة ولها محل
معلوم فالرجل يضع علامة الحزن فى برنيطته مدة معلومة والمرأة فى ثيابها والولد
على فقد ابيه او امه يلبس علامة الحزن ستة اشهر وعلى فقد الجدة اربعة اشهر
ونصفا والزوجة على فقد الزوج سنة وستة اسابيع وعلى فقد الزوجة ستة اشهر
وعلى فقد الاخ او الاخت شهرين وعلى فقد الخال والخالة والعم والعمة ثلاثة
اسابيع وعلى فقد اولاد الاعمام والعمات والاخوال والخالات اسبوعين ثم ان
ما يباع فى باريس من الجوخ كل سنة بنحو مليون من الفرنكات تقريبا ومن
الحرير بثلاثة ملايين من الفرنكات ومن الفراوى بمليون من الفرنكات ولعل
السبب فى ذلك هو أن الفراوى تشترى من خصوص باريس لاهل باريس ومن
المتداول عند الفرنساوية استعمال الشعور العارية لنحو الاقرع ورديء الشعر
بل قد يستعملونها فى اللحى والشارب للتقليد وقد شاعت عندهم تلك العادة
من زمن لويز الرابع عشر ملك فرانسا حيث ان هذا الملك كان يلبسها

ولا يخلعها

ولا يخلعها من رأسه اصلا الا عند النوم ولا زالت الى الآن مستعملة لكن للاقرع اوردىء الشعر ومن الغريب انها تستعمل الآن فى مصر بين نساء القاهرة

(الفصل السابع فى منتزهات مدينة باريس)

اعلم ان هؤلاء الخلق حيث انهم بعد اشغالهم المعتادة المعاشية لاشغل لهم بأمور الطاعات فانهم يقضون حياتهم فى الامور الدنيوية واللهو واللعب ويتفننون فى ذلك تفننا عجيبا فمن مجالس الملاهى عندهم محال تسمى التياتر بكسر التاء المشددة وسكون التاء الثانية والسبكتاكل وهى يلعب فيها تقليد سائر ماوقع وفى الحقيقة أن هذه الالعاب هى جدّ فى صورة هزل فان الانسان يأخذ منها عبرا عجيبة وذلك لانه يرى فيها سائر الاعمال الصالحة والسيئة ومدح الاولى وذم الثانية حتى ان الفرنساوية يقولون انها تؤدب اخلاق الانسان وتهذبها فهى وان كانت مشتملة على المضحكات فكم فيها من المبكيات ومن المكتوب على الستارة التى ترخى بعد فراغ اللعب باللغة اللاطينية مامعناه باللغة العربية قد تصلح العوايد باللعب وصورة هذه التياترات انها بيوت عظيمة لهاقبة عظيمة وفيها عدة ادوار كل دورله اود موضوعة حول القبة من داخله وفى جانب من البيت مقعد متسع يطل عليه من سائر هذه الاود بحيث ان سائر مايقع فيه يراه من هو فى داخل البيت وهو منور بالنجفات العظيمة وتحت ذلك المقعد محل للآلاتية وذلك المقعد يتصل بأروقة فيها سائر آلات اللعب وسائر مايصنع من الاشياء التى تظهر وسائر النساء والرجال المعدة للعب ثم انهم يصنعون ذلك المقعد كما تقتضيه اللعبة فاذا ارادوا تقليد سلطان مثلا فى سائر ماوقع منه وضعوا ذلك المقعد على شكل سراية وصوروا ذاته وانشدوا اشعاره وهلم جرا ومدة تجهيز المقعد يرخون الستارة لتمنع الحاضرين من النظر ثم يرفعونها ويبتدؤن باللعب ثم ان النساء اللاعبات والرجال يشبهون العوالم فى مصر واللاعبون واللاعبات بمدينة باريس ارباب فضل عظيم وفصاحة وربما كان لهؤلاء الناس كثير من التآليف الادبية والاشعار ولو سمعت مايحفظه اللاعب من الاشعار

وما يبديه من التوريات فى اللعب وما يجاوب به من التنكيت والتبكيت لتعجبت غاية العجب * ومن العجائب انهم فى اللعب يقولون مسائل من العلوم الغريبة والمسائل المشكلة ويتعمقون فى ذلك وقت اللعب حتى يظنّ انهم من العلماء بل الاولاد الصغار التى تلعب تذكر شواهد عظيمة من علم الطبيعيات ونحوها ثم انهم يبتدؤن اللعب بآلات الموسيقى ثم يلعبون ما يريدون لعبه واللعبة التى تظهر تكتب فى ورقة وتلصق فى حيطان المدينة وتكتب فى التذاكر اليومية ليعرفها الخاص والعام وفى الليلة يلعبون لعبات وبعد فراغ كل لعبة ترخى الستارة فاذا ارادوا مثلا لعب شاه العجم ألبسوا لاعبا لبس ملك العجم واحضروه واجلسوه على كرسى وهكذا وهذه السبكتاكلات يصوّرون فيها سائر ما يوجد حتى انهم قد يصوّرون فرق البحر لموسى عليه السلام فيصوّرون البحر ويجعلونه يتماوج حتى يشبه البحر شبها كليا وقد رأيت مرّة فى الليل انهم ختموا التياتر بتصوير شمس وتسييرها وتنوير التياتر بها حتى غلب نور هذه الشمس على نور النجف حتى كأن الناس فى الصباح ولهم اشياء اغرب من هذا وبالجملة فالتياتر عندهم كالمدرسة العامة يتعلم فيها العالم والجاهل واعظم السبكتاكلات فى مدينة باريس المسماة الاوبره بضم الهمزة وتشديد الباء المكسورة وفتح الرآء وفيها اعظم الآلاتية واهل الرقص وفيها الغناء على الآلات والرقص بأشارات كأشارات الاخرس تدل على امور عجيبة ومنها تياتر تسمى اوبره كوميك فيغنى فيها الاشعار المفرحة وبها تياتر تسمى التياتر الطليانية وبها اعظم الآلاتية وفيها تنشد الاشعار المنظومة باللغة الطليانية وهذه كلها من السبكتاكلات الكبيرة وفى باريس سبكتاكلات اخرى وهى مثل تلك الا انها صغيرة وهنالك ايضا سبكتاكلات يلعبون فيها الخيل والفيلة ونحوها ومنها التياتر المسماة تياتر فرنكونى بكسر الفاء وفتح الرآء وسكون النون وضم الكاف وكسر النون الثانية وفيها فيل مشهور بالالعاب الغريبة معلم تعليما عجيبا وكما أن اكبر التياترات الاوبرة فاصغرها تياتر تسمى تياتر الكمبت وهى معدّة لنزاهة الصغار كالحاوى فى مصر والكمت اسم معلم هذه السبكتاكل وكل اللاعبين

واللاعبات صغار السن وهذه التياتر يوجد بها كثير من الشعبنيات والسيم ونحوها ولو لم تشتمل التياتر فى فرانسا على كثير من النزغات الشيطانية لكانت تعد من الفضائل العظيمة الفائدة فانظر الى اللاعبين بها فانهم يحترزون ما امكن عن الامور التى يفتتن بها المخلة بالحياء ففرق بعيد بينهم وبين عوالم مصر واهل السماع ونحوهم ولا اعرف اسما عربيا يليق بمعنى السبكتاكل او التياتر غير أن لفظ سبكتاكل معناه منظر اومنتزه اونحو ذلك ولفظ تياتر معناه الاصلى كذلك ثم سمى بها اللعب ومحله ويقرب أن يكون نظيرها اهل اللعب المسمى خيالبابل الخيالى نوع منها وتشتهر عند الترك باسم كمدية وهذا الاسم قاصر الا أن يتوسع فيه ولا مانع أن تترجم لفظة تياتر اوسبكتاكل بلفظ خيالى ويتوسع فى معنى هذه الكلمة ويقرب من تصوير السبكتاكل اوهو منها مواضع يصور فيها للانسان منظر بلد اواراض اونحو ذلك فمن ذلك بانورمه وهو محل تنظر فيه فترى المدينة التى تريد تصويرها ففى صورة مصر ترى كأنك على منارة السلطان حسن مثلا والرميلة تحتك وباقى المدينة ومنها كسمورمه وفيه صورة بلدة ثم اخرى وهكذا ومنه ديورمه وفيه صورة دار ومنها اورانورمه وفيه صورة الفلك الاعظم وسائر ما يحتوى عليه مصورا على مذهب الافرنج فالمتفرج فيه يمكنه أن يطالع علم الفلك ومنها اوروبرمه وفيه صورة بلاد الافرنج * ومن المنتزهات محال الرقص المسماة البال وفيه الغناء والرقص وقل ان دخلت ليلا فى بيت من بيوت الاكابر الا وسمعت به الموسيقى والمغنى ولقد مكثنا مدة لا نفهم لغنائهم معنى اصلا لعدم معرفتنا بلسانهم ولله در من قال فى مثل هذا الامر

ولم افهم معانيها ولكن * شجت كبدى فلم اجهل شجاها
فكنت كأننى اعمى معنى * يحب الغانيات ولا يراها

والبال قسمان بال عام ويدخله سائر الناس كالبال فى القهاوى والبساتين وبال خاص وهو أن يدعو الانسان جماعة للرقص والغناء والنزهة ونحو ذلك كالفرح فى مصر والبال دائما مشتمل على الرجال والنساء وفيه وقدات عظيمة

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

وكراسى للجلوس والغالب أن الجلوس للنساء ولا يجلس احد من الرجال الا اذا اكتفت النساء واذا دخلت امرأة على اهل المجلس ولم يكن ثم كرسى خال قام لها رجل واجلسها ولا تقوم لها امرأة لتجلسها فالانثى دائما فى المجالس معظمة اكثر من الرجل ثم ان الانسان اذا دخل بيت صاحبه فانه يجب عليه أن يحيى صاحبة البيت قبل صاحبه ولو كبر مقامه ما امكن فدرجته بعد زوجته اونساء البيت * ومن المنتزهات جمعية الناس كضمة مصر الآن فيها دائما آلات الموسيقى والغناء والرقص وبين كل نوبة من الموسيقى والغناء يقسم على الحاضرين بعض مطعومات ومشروبات خفيفة وبالجملة فالموسيقى بالاصالة والشراب الخفيف بالتبعية هما حظ هذه المجالس كما قال الشاعر

هل العيش الا ماء كرم مصفق * ترقرقه فى الكاس ماء غمام

وعود بنان حين ساعد شدوه * على نغم الاوتار ناى زنام

وقد قلنا ان الرقص عندهم فن من الفنون وقد اشار اليه المسعودى فى تاريخه المسمى مروج الذهب فهو نظير المصارعة فى موازنة الاعضاء ودفع قوى بعضها الى بعض فليس كل قوى يعرف المصارعة بل قد يغلبه ضعيف البنية بواسطة الحيل المقررة عندهم وما كل راقص يقدر على دقائق حركات الاعضاء وظهر أن الرقص والمصارعة مرجعهما شئ واحد يعرف بالتأمل ويتعلق بالرقص فى فرانسا كل الناس وكأنه نوع من العياقة والشلبنة لا من الفسق فلذلك كان دائما غير خارج عن قوانين الحياء بخلاف الرقص فى ارض مصر فانه من خصوصيات النساء لانه لتهييج الشهوات واما فى باريس فانه نط مخصوص لا يشم منه رائحة العهر ابدا وكل انسان يعزم امرأة يرقص معها فاذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية وهكذا وسواء كان يعرفها اولا وتفرح النساء بكثرة الراغبين فى الرقص معهن ولا يكفيهن واحد ولا اثنان بل يحببن رؤية كثير من الناس يرقص معهن لسآمة انفسهن من التعلق بشئ واحد كما قال الشاعر

أيا من ليس يرضيها خليل * ولا الفا خليل كل عام

اراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وقد يقع فى الرقص رقصة مخصوصة بأن يرقص الانسان ويده فى خاصرة من ترقص معه واغلب الاوقات يمسكها بيده وبالجملة فمس المرأة ايا ما كانت فى الجهة العليا من البدن غير عيب عند هؤلاء النصارى وكلما حسن خطاب الرجل مع النساء ومدحهن عد هذا من الادب وصاحبة البيت تحيي اهل المجلس ومن النزه المواسم العامة التى تصنع فى الصيف ومبناها على الرقص والآلات وتسييب البارود ونحو ذلك ومن المواسم العامة عندهم ايام تسمى ايام الكرنوال وتسمى عند قبطة مصر ايام الرفاع وهى عدة ايام يرخص لسائر الناس فيها سائر التقليدات والتشكلات فيتشكل الرجل بشكل امرأة والمرأة فى صورة رجل ويتراآى الخواجة فى صورة راع ونحو ذلك وبالجملة فيباح سائر ما لا يضر براحة المملكة وانتظامها ويقول الفرنساوية ان هذه الايام أيام جنون ويدور بهذه البلدة فحل اسمن فحول فرانسا فى موكب عظيم مدة ايام الزفر الثلاثة ثم يذبحونه ويعطون لصاحبه بخشيشا فى نظير تسمينه له حتى يسمن سائر الناس بلحومهم * ومن منتزهات باريس الحدائق العظيمة العامة ففى باريس نحو اربعة بساتين كبرى يتماشى فيها العام والخاص فمنها حديقة التولرى التى بها قصر الملك وهى من اعظم المنتزهات يدخلها المتجملون من الناس ويحجز الاسافل من دخولها فكأنها مصداق قول بعض الظرفاء

لو كنت املك للرياض صيانة * يوما لما وصل اللئام ترابها

ومنها حديقة تسمى الشمزليزه ومعناه بالعربية رياض الجنة وهى من ارق المنتزهات وانضرها وهى بستان عظيم يبلغ اربعين اربانا والاربان هو قياس يقرب من الفدان ومع أن طول طريقها نحو الف قامة فانها موضوعة بحيث انك اذا مددت نظرك رأيت طرفها الثانى قدام عينيك وفى هذه الروضة العظيمة دائما شئ من الملاهى لا يمكن حصره وسائر اشجار هذا البستان متصافة متوازية بعضها مع بعض رتبت بحيث انه يوجد مدخل من كل الجهات فهو على سمت الخطوط المستقيمة من سائر الجهات وفى وسط كل جملة من الاشجار يوجد محل مربع وهذه الحديقة يتصل احد جوانبها بنهر السين وبينها وبينه

رصيف وبجانبها الآخر بيوت باطراف الخلاء وفيها كثير من القهاوى والرسطراطورات يعنى بيوت الاكل وفيها سائر انواع الطعام والشراب وهى مجمع الاحباب والاكابر وبها كثير من المراح للخيل ويدخل فيها الاكابر بالعربات المزينة وفيها عدة آلاف من الكراسى بالاجرة يجلس عليها فى زمن الربيع نهارا وفى زمن الصيف ليلا واعظم اجتماع الناس فيها يوم الاحد فانه يوم البطالة عند الفرنساوية وبالجملة فهذه الحديقة محل المواسم والافراح العامة والزينات وبها تتماشى سائر النساء الجمالات * ومن المنتزهات المحال المسماة البلوار وهى الاشجار المتصافة المتوازية وقد اسلفنا بيانها وهى محل تماشى فيه سائر الناس فى سائر الايام وفيه اعظم قهاوى باريس وتدور فيه الآلاتية المتنقلون بآلاتهم وفيه كثير من محال التياترات وبه ايضا تدور النساء اللواتى يتعرفن بالرجال سيما بالليل فهو فى جميع الليالى وفى ليلة الاثنين يحوى كثيرا من الناس فترى فيه كل عاشق مع معشوقته ذراعه فى ذراعها الى نصف الليل ويصلح هنا قول الشاعر

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد
كم عاشق وظلام الليل يستره * لاقى الاحبة والواشون رقاد

وقال آخر

ايها الليل طر بغير جناح * ليس للعين راحة فى الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عنى الوالوجوه الملاح

ولا يمدح الليل الا من ترقب فيه وصال محبوبه * وتفقد فيه نيل مطلوبه * بخلاف من كثر فيه حرقه * وزاد ارقه * وطال سهاده * وطار رقاده * فانه يهوى الصباح * ليذهب همه ويرتاح

قال الشاعر

الا ايها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل
فيالك من ليل كأن نجومه * على صفحات الجو شدت بيذبل

وقال آخر

ليلى

ليلى وليلى نفى نومى اختلافهما * بالطول والطول ياطوبى لو اعتدلا
يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

وقال من يشكو من الليل

ياليل طل اولا تطل * لابد لى أن اسهرك
لوكان عندى قمرى * مابت ارعى قمرك

وقال آخر مثله

ياليل طل ياشوق دم * انى على الحالين صابر
لى فيك اجر مجاهد * ان صح أن الليل كافر

وهذا ايضا من باب الشكوى ومن المنتزهات ايضا سوق تباع فيه الازهار وفى هذا السوق تجد سائر الاشجار والنباتات والازهار الغريبة النادرة ولو فى غيراوانها حتى ان الانسان يمكنه أن يجدد بستانا فى يوم واحد بأن يشترى سائر مايحتاجه ثم يزرعه فى يوم وبالجملة فلا يمكن أن الانسان يتمتع بهذه المنتزهات الا بصحة البدن

* (الفصل الثامن فى سياسة صحة الابدان بمدينة باريس) *

لما كان من ضروريات الحكمة الاعتناء بحفظ صحة الابدان وكان الافرنج احكم الامم كثر اعتناؤهم بهذا الفن وبتكميل آلاته ووسايطه وكانوا اشد الناس مسارعة لما فيه نفع للبدن كالحمامات والحمام الباردة المياه وترييض الجسم وتعويده على الامور الشاقة كالعوم وركوب الخيل والالعاب التى يخف بها البدن * والحمامات فى باريس متنوعة وفى الحقيقة هى انظف من حمامات مصر غيرأن حمامات مصر انفع منها واتقن واحسن فى الجملة وذلك أن الحمام فى مدينة باريس عدة خلوات فى كل خلوة مغطس من نحاس يسع الانسان فقط وفى بعض الخلوات مغطسان وليس عندهم مغطس عام كما فى مصر ولكن هذه العادة اسلم بالنسبة للعورة فانه لاطريقة أن يطلع انسان على عورة آخر حتى ان الخلوة التى فيها مغطسان بين كل مغطس ستارة تمنع أن ينظر الانسان صاحبه وليس فى دخول الانسان هذه المغاطس الصغيرة لذة كالدخول فى الحمامات

ولا يعرق الانسان بها ابدا اذا لحرارة لا توجد الا فى المغطس لا فى الخلوة ابدا وان كان يمكن أن يوصى الانسان على حمام بالبخار فانهم يصنعون له ذلك ولكن بثمن آخر غير الثمن المعتاد وفى الحمام صفان من الخلاوى صف للرجال وصف للنساء وكما أنه يوجد حمامات مستقرة يوجد حمامات منقولة فاذا طلب الانسان حماما فى بيته اوكان مريضا اونحو ذلك فانهم يحملون اليه فى عربة كالبرميل الماء البارد فى شقة والساخن فى اخرى ومعها مجم فيوضع المجم فى بيت الانسان ويملأ من الماء المسخن فيغتسل الانسان منه ثم بعد فراغه يحملونه الى بيت الحمام ومن الحمامات حمام يضع فيه الانسان بعض بدنه لبعض الامراض فيسمى نصف حمام والحمامات بباريس كثيرة واشهرها ثلاثون حماما تقريبا * ومن امور الرياضات النافعة لصحة البدن مدارس يتعلم فيها علم السباحة وهى ثلاثة مكاتب على نهر السين ومنها مدارس لتخفيف البدن وجعله قابلا للاشياء العجيبة كالبهلوانية والمصارعة ونحو ذلك

(الفصل التاسع فى الكلام على اعتناء باريس بالعلوم الطبية)

اعلم أن مدينة باريس هى اعظم مدن الافرنج التى يرحل اليها الغرباء لتعلم العلوم خصوصا العلوم الطبية وقد ينتقل اليها المرضى من بلاد بعيدة للبحث عن تداويهم فيها والعلوم الطبية التى تسمى ايضا علم الحكمة هى علم الطب والجراحة والتشريح وفن الفيسيولوجيا ومعرفة داء الانسان من حاله وسياسة الصحة لحفظها وتطبيب الحيوانات وغير ذلك والحكماء فى باريس كثيرون جدا حتى يوجد فى كل خط عدة حكماء بل الطرق مملوءة من الحكماء حتى ان الانسان اذا اصيب فى الطريق بداء فانه لابد أن يجد الحكيم حالا لكثرة الحكماء بهذه البلدة ووضع المرضى بالنسبة للاطباء مختلف فمن المرضى من يطلب الطبيب ليزوره عنده وللحكيم قدر معلوم على كل مرة يأتيها اليه ومن المرضى من يذهب الى الطبيب فى بيته وللطبيب ساعات معينة يمكث فيها قصدا فى بيته لتلقى الناس ومن المرضى من ينتقل مدة معينة فى بيت يسمى بيت الصحة معد لمن يدفع قدرا معينا فى نظير اكله وشربه وسكناه وتطبيب بدنه وخدمته ونحو ذلك وفى باريس بيوت حكماء

معدة

معدة لمن ابتلى بخلل شئ من عظام البدن كالاحديداب فانه يدخل بيتا من هذه البيوت للتطبيب فيقومون بدنه بشئ من علم الحيل كما اذا كان انسان مقطوع احد الاطراف فانهم يجبرون ذلك بأن يضعوا له من المعدن او الخشب شيأ فى محله وفى هذه المدينة ايضا بيوت يدخل فيها النساء الحوامل المشرفات على الولادة لتلدن فيها وتقضين فيها مدة النفاس وفى هذه البيوت توجد القوابل وسائر ما يحتاج اليه فى الولادة ومن المواضع المعدة للمرضى والتى يوجد فيها الاطباء المارستانات العامة فتدخلها المرضى للعلاج ولاقامة مدة المرض بلا عوض * ثم ان الاطباء فى باريس فرقتان احداهما اطباء عامة لمطلق الامراض على تنوعها والاخرى لداآت خاصة وذلك أن علم الطب متسع جدا فقل أن يشتغل انسان بسائر فروعه ويحققها فاحتاج اطباء الفرنساوية الى أن الطبيب بعد أن يقرأ فروع العلوم الطبية ينبغى له أن يختار منها فنا ليصرف فيه همته ويتقوى فيه ويتبحر حتى يشتهر ويمتاز عن غيره من الاطباء بتحقيق ذلك الفن حتى يجلب اليه من به داء يدخله شئ من ذلك الفن فلذلك يوجد فى باريس اطباء مثلا لخصوص مرض الرئة واطباء لمرض العين تسمى المكحلاتية واطباء لامراض الاذنين واطباء لداء الانف وتجبيره حتى ان من اطباء الانف من يمكنه بالحيلة أن يرجع الانف المجدوع صحيحا وفى باريس اطباء تستعمل جاذبية المغناطيس الانسانية للاستعانة على مداواة الانسان وتفصيل ذلك أن فى باريس جماعة من الطبايعية تزعم انه ثبت عندهم أن بدن الانسان يشتمل على مادة سيالية يعنى جاذبية المغناطيس الانسانية يعنى أن هذه المادة لها خاصية المغناطيس وتحصل هذه بتقريب اليد عدة مرات كالمسح فينعس الانسان او تغيب حواسه حتى لا يحس بشئ فاذا غاب وكان مريضا بمرض شديد عالجه الحكماء بقطع شئ او بفتح شئ من بدنه من غير أن يشعر بشئ ابدا وقد جرب ذلك فى قطع ثدى امرأة بعد مغناطيسيتها فمكثت عدة ايام ثم ماتت فقال علماء المغناطيسية انها ماتت بسبب آخر لا بألم القطع فانها عاشت بعده فالمغناطيسية نافعة لمعالجة الامراض العصبية وفى باريس ايضا حكماء

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

لخصوص مداواة خلل العقل اوالالم اعضاء التناسل اوالحصوة ولخصوص
الامراض الجلدية المنفرة وغيرها كالجذام والجرب وفى باريس ايضا حكماء
لتوليد النساء فان العادة ايضا فى باريس أن المرأة يولدها رجل حكيم عارف
بامور الولادة وبها حكماء لمعالجة البياضة التى تنزل بالعين والماء الذى يعميها
وبها حكماء لاوجاع الصدر وداء الفالج الذى هو شلل بعض الاعضاء فيداوونه
بعلاج يسمى الاكمبكتور بكسر الهمزة والكاف وسكون الميم وضم الباء
وسكون الكاف وضم التاء يعنى شكات دبابيس كثيرة دقيقة فيخرجون بذلك
شيأ من الدم ينفع لتخفيف ضرر هذا الداء وبها حكماء لعلاج اختلال خلقة
الانسان وهذا العلاج يسمى الارتوبيدى بضم الهمزة وسكون الراء وضم
التاء وكسر الباء وسكون الياء وفتح الدال يعنى فن اصلاح خلل اعضاء
الاطفال فمن الحكماء من يصلح خلل الفم اوالوجه ومنهم من يشتغل بتدبير
الاعضاء الناقصة لسد خللها باعضاء اخرى مدبرة * ثم ان فروع العلوم الطبية
كثيرة فالمشهور منها فن التشريح وفن تمييز امراض الانسان من حال
طبيعته وفن الكيميا العقاقيرية وفن اسباب الامراض الباطنية الطبية وعلم
الجراحة الطبية ووضع العصابة على الجراح والتضميد بالمراهم وفن تطبيب
ملازم الفراش المبتلى بامراض ظاهرية وفن تطبيب ملازم الفراش المبتلى
بامراض باطنية وفن معالجة النفساء وتوليد الحامل وعلم الطبيعة التى تدخل
الطب وعلم العقاقير والادوية المفردة اوالمركبة وصناعة المعالجة ومباشرة
المريض * ومدارس الحكمة بمدينة باريس منافعها شهيرة فمنها مدرسة كبيرة
تسمى اكدمة الحكمة السلطانية وهى ديوان الحكماء السلطانية وهى مجعولة
لحاجة المملكة الفرنسيسية ومباشرة الامراض العامة الضرر كالامراض
الوبائية والامراض التى يعتقد الفرنساوية انها معدية وكمرض فصل البهائم ومن
وظيفة علماء اكدمة الحكمة معالجة سائر الناس بما تجعله المملكة موقوفا
على النفع العام كاشهار تلقيح البقرى لاخراج الجدرى وامتحان الادوية
الجديدة والادوية المكتومة وامتحان الادوية المعدنية الاصلية اوالمصطنعة

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

لادخالها فى الادوية وبالجملة فأهل هذه الجمعية السلطانية اعظم الحكماء الفرنساوية ولنذكرهنا بعض مايتعلق بمارستان باريس فى فصل فعل الخير وقد اسلفنا بعض شئ من ذلك فى الفصل السابق

ولنذكر لك نبذة من فن قانون الصحة وتدبير البدن حتى تتم فائدة هذه الرحلة وهذه النبذة ترجمتها فى باريز لقصد استعمال جميع الناس بمصرلها لصغر حجمها فهى وان كانت تخرجنا عما نحن بصدده الأن منفعتها عظيمة وثمرتها جسيمة

نصيحة الطبيب

المادة الاولى فى وصية صحاح البدن

لاشك أن الاطباء معتبرون بين الناس لشدة نفعهم عندهم ومع ذلك فالاولى الاستغناء عنهم لانهم رفقاء المرضى فلنحرص على حفظ انفسنا من اسباب المرض ومن الاحتياج الى الطبية * والدواء المجرب لمنع الاحتياج اليه هو اعتياد الكد والقناعة ولنذكر لك بعض امور اخر الاول لاتسكن دارا مماسة لمزرعة مرتفعة اودارا غائرة فى الارض يسيرا فان كلا هذين الوضعين يجعل الدار رطبة ومضرة للصحة فالعافية ولو كانت قوية تذهب فيهما على تداول الايام * ارفع ارض بيتك بعض قراريط برمل اوحصى اوطوب مسحوق اوما اشبه ذلك وتجنب البناء فى ارض مماسة لارض اعلى منها * اجعل منافس الهواء الى الجنوب الشرقى اى اجعله بين الشرق والجنوب فان ذلك للصحة اسلم من جميع الاوضاع * الثانى الهواء المخزون يجلب الحمى المحرقة فوسع طاقاتك ليسهل فيها دخول الهواء والنور وافتحها فى غالب الاحيان لان البرد للصحة اوفق من الحر فاهل الجانب الشمالى حياتهم وصحتهم ابرك من اهل الجنوب والمريض يشفى فى غرفة مفتوحة لسائر الرياح وربما هلك لو كان بجانب الحرارة * الثالث بركة الماء الراكد اذا اشتد قربها من البيوت فانه يتصاعد منها ابخرة لاتناسب الصحة بل تؤذيها اوربما قتلت وبسبب ذلك ترى بعض البلدان منتنا بالاوباء فاجتنب هذه الاشياء الجالبة للامراض والاوجاع * الرابع السكر

يرعى البدن ويحرقه ويسرع بالمشيب فنصيب من يتهمك على شرب الخمور وغيرها من المسكرات أن يصاب بداء الذبول وبقصر الاجل * الخامس من اسباب الامراض اختلاف الزمن كتعاقب الحر والبرد ونزول المطر السريع اونزوله باردا فى وسط الايام الحارة فاولى مايطرد هذه الامراض أن تلبس ازيد مما يقتضيه الفصل فالبس اثواب الشتاء قبل فراغ الخريف ولاتعجل خلعها عند دخول الربيع واذا ابتل بدنك كله بماء بارد فاغتسل بالماء الفاتر فان لم يبتل الا العضو فقط فاغسله وحده * السادس احذر اذا اشتد حرك أن تمكث فى موضع بارد اوتشرب ماء شديد البرودة والا فالعرق ينحبس حالا ويتداخل فى الباطن ويتسبب عن ذلك داء الخناق وورم الصدر والقولنج المحرق وغير ذلك فاذا نفذ القضاء وابتلى باحدها فالواجب تداركه لعله يخف فاول ماتحس بمبادى العلامات فضع القدمين فى ماء هين الحرارة وطر بالماء الفاتر ظاهر المتألم من الحلق اوالصدر اوالبطن واحتقن بالماء الفاتر المخلوط بيسير اللبن وتعاط الشوربة التى صورتها أن تأخذ قبضة من زهر الخبان وتضعها فى اناء خزف مع اوقية ونصف من جيد الخل ورش على الجميع قدح ماء مغلى وغط الاناء ودعها تبرد فتى بردت هذه الشوربة فصفها بخرقة وذوب فيها اوقيتين من العسل فاذا فعلت ذلك فقد غنمت ماحرمت منه الطبيب من الدراهم فان ماتعطيه له منها ذاهب عن يدك وربما كان ذلك الطبيب لايفيدك فى هذا الداء شيأ

(المادة الثانية فى الدلالة على مايصنع حين اخذ

(المرض فى الظهور)

اعلم أن كثيرا من الناس باعتناء فاسد يريد أن يداوى المرضى فيهلكهم فاول مايبدو قليل من الحمى اوالقىء فلا يجد احسن من تعريق المريض فيضغطه تحت اغطية ثقيلة ويحجب عنه الهواء ويسقيه شوربة الخضراوات الحارة وربما سقاه خمرا حارا اوحلوا فهل من الاصحاء من يستطيع حمل ذلك اوليس أن هذا يمرض من ليس بمريض نعم قد يكون العرق به الشفاء لكن حين

تكون

تكون الامراض قد صدرت عند انحباسه او بعد تقليل هذه اوازالتها بكثرة تعاطى الشوربات وعلى كل حال فلا بدّ من ادخال الهواء اللين فى موضع المريض لما أن حاجة الانسان الى الهواء كحاجة السمك الى الماء والشوربات الحادة تزيد الحرارة التى تهلك المريض وتحرقه وتيبسه والخمر هو سم حقيقى فى الحمى فعليك بخلاف ذلك من الشوربات الرطبة الباردة فانها تذيب الاخلاط المنفسدة وتسهل خروجها وتجفف الحرارة وتنظف المعدة وبعض الناس يريد أن يردّ العافية لذى الحمى فيعطيه المرق فيضاعف المه مع أن من الحقيقة المقررة عند اكابر الاطباء أن المريض الذى به خميرة المعدة كلما اعطوه من الاغذية زاد ضعفه وهذه الاغذية اذا انفسدت بالاخلاط المعفونة التى تختلط معها فى الجوف تنقلب مرضا جديدا فما يتعين فى شفاء المريض هو ما يضعف المرض ففى كل عشرين مريضا يموتون فى الارياف فاكثر من الثلثين يمكن انه كان يشفى بلا شئ لو كان فى موضع مستور من مضار الرياح وكان لا يشرب الا ماء مبردا ولكن لا مفرّ من القدر واغلب الامراض الحادة والحميات يتقدمها ايام تشويش كيسير الخدر وقلة النشاط وعدم شهية الاكل ويسير ثقل المعدة والتعب وثقل الرأس والنعاس الثقيل عديم الراحة غير المصلح القوى بل وثقل الصدر والميل الى البرودة وتيسر العرق غير المعتاد وانقطاع العرق المعتاد وعند ذلك يتيسر تدارك او تخفيف هذه الامراض المضرة باربعة * الاول ترك سائر الاشغال الشاقة والمداومة على الاشغال الهينة * الثانى تقليل اكل المغذيات او اجتنابها لاسيما ترك اللحم والمرق والبيض والنبيذ * الثالث اكثار الشرب يعنى أن يشرب كل يوم قزازة فاكثر فى كل نصف ساعة طاسة من الشربة المذكورة فى المادة السابقة اومن الماء الفاتر المخلوط فى كل قزازة اما بخمسة عشر او بعشرين حبة من الملح المعتاد او بفنجان خل او بملاعق من العسل * الرابع الاحتقان بماء فاتر او بهذا الدواء وهو أن تأخذ قبضتين من الحشائش اومن زهر الخبازى وتغمرهما وترش عليهما نصف قزازة ماء مغلى وتصفيها بخرقة وتضيف عليهما

اوقية عسل

(المادة الثالثة فى الدلالة على ما يصنع حين ظهور المرض)

اعلم انه ينبغى للمريض اذا تلبس بالبرودة او الحمى او الالم أن يلزم الفراش والجلوس وأن يتغطى زيادة عن عادته وأن يشرب فى كل ربع ساعة فنجانا من مسخن الشوربة السابقة فلا بأس بتغطية المرضى حال بردهم ولكن لابد من تخفيف الغطاء كلما خفت البرودة حتى يكون بمجرد انقطاعها ليس عليهم الا الغطاء المعتاد ثم ان بعض اهالى القرى يعتادون النوم على طراحة مكبوسة ريشا ويتغطون بغطاء ثقيل من الزغب والحر الصادر عن الريش هو خطر على المحمومين لكن لما اعتيد على ذلك يمكن اغتفار هذه العادة فى بعض الاحيان الا فى مدة الحر او اشتداد الحمى فليتخذ للنوم طراحات مكبوسة بالقش وللغطاء ملاحف او اكسية اقل خطرا من الريش فهذا هو ما يريح المريض وينبغى الحذر من تسخين هواء محل المريض ومن كثرة الناس واللغط ومن الكلام معه الا على قدر الحاجة وينبغى فتح طيقانه واقله ربع ساعة فى النهار وربع ساعة بالليل وينبغى مع فتح الطيقان فتح باب الغرفة ليتجدد الهواء ولكن لابعاد المريض عن جريان الاهوية فلتسحب عليه ستائر فراشه او ليحجب عن الهواء بكيفية اخرى وفى زمن الحر ينبغى ابقاء طاقة من الطيقان مفتوحة ويحسن ايضا تبخير غرفته بخل مطفى فوق نحو مجرفة حديد محماة وينبغى فى الهجير والمريض متعب بالهواء الحار أن يرش بلاط غرفته وأن يوضع فيها فروع غليظة من شجر الصفصاف ونحوه تغمس فى اناء فيه ماء لتكون مسقية وليجتنب المريض تناول الاطعمة المغذية ولا يأكل الا يسيرا من خفيف الثريد المنضج او الارز المطبوخ بالماء مع يسير من الملح ولا بأس فى الصيف بالاثمار المستوية وفى الشتاء بالتفاح المنضج او البرقوق والاجاص بعد تيبيسهما وطبخهما فهذه الاثمار اذا اكلت بلا اكثار منها تروى وتبرد وتصلح الصفراء المنفسدة الحارة فهى الاغذية اللائقة بالمحموم واستعمل الشراب الرطب والمبرد الذى ذكرناه سابقا ولا باس ايضا أن تضع فى نحو قزازة الماء طاسة من عصير الفواكه

التى

Digitized by Google

Original from UNIVERSITY OF IOWA

التى ذكرناها قريبا او ينبغى للمريض أن يشرب كل يوم قزلتين من ماء فاكثر وأن يتناول فى المرة يسيرا ففى كل ربع ساعة يشرب فنجانا مالم ينم واللائق أن يكون الشراب غير شديد البرودة ففى اعتدال الزمن يكون فى مزاج طراوة نسيم الغرفة ولو امتنع المريض من حاجة الانسان جملة ايام اولم يبل بكثرة اوخرج بوله احمر اوخلط فى كلامه اوكانت حمته قوية اوكان وجع رأسه اوكليته شديدا اوكانت بطنه متألمة اوكان محتاجا كثيرا الى النوم فليحتقن كل يوم مرة بالحقنة المركبة مما سبق ذكره فى المادة الثانية فالاحتقان شفاء المحموم الا اذا حدث للمريض العرق النافع فلا يحتقن واذا خف المرض فينبغى الخروج من الفراش فى اليوم ساعة فاكثر كما يمكنه ولكنه لا اقل من نصف ساعة ولا ينبغى ترك فراشه وهو متلبس بالعرق ومن المستحسن تصليح فراشه كل يوم وتغيير ما على بدنه كل يومين اذا تيسر ذلك ومن الضرر البين الحكم بخلاف ذلك واعتقاد أنه يخشى على المريض من خروجه من فراشه فيتركه فى ثيابه المتسخة وهذه الثياب لا تقتصر فى اضرارها على ابقاء اصل المرض فقط بل تقويه * قيل ان المريض تعبان جدا وهذه حجة عاطلة ولو سلم أن استعمال ذلك يتعبه درجة فانه يزيد ما بقى من قوته ويسرع تخفيف المه

المادة الرابعة فى معالجة الناقه

اعلم انه مادام بالانسان قليل من الحمى فلا يتناول الا الاغذية الخفيفة التى بيناها فاذا انقطع عرق الحمى فلا بأس أن يتناول غيرها كقليل من اللحم الطرى او السمك او المرقة او البيض هين النضج فهذه الاغذية تصلح القوى بشرط عدم الاكثار فيما يتناول منها والا فتبطئ الصحة لان المعدة الضعيفة من المرض ليست متأهلة الا ليسير الهضم فلو اعطيتها فوق ما فى قوتها لم تهضم سائر ما يدخل فيها بل يتفسد وقوام البدن انما هو بما تهضمه المعدة لا بما يصل اليها فقط فينبغى للناقه أن يكون كالمريض فى تناوله قليلا فى كل مرة ولكن فى غالب الاوقات وأن لا يتعاطى فى المرة الا جنسا واحدا من الاطعمة وأن لا يكثر من تغيير الاطعمة وأن لا يستعجل فى مضغ ما يتناوله من الجوامد وأن لا يكثر من الشرب

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

وخير الشراب هو الماء المخلوط بشئ من الانبذة وليسر على قدر مايستطيع ماشيا اوراكبا عربة اوفرسا ومن العبث ترك ركوب الخيل فى هذه الحالة لمن يملك الخيل كاغلب اهل الارياف واذا كان السير بعد تناول الطعام كان مقويا للمادة الهضم بخلاف فعله قبل فهو ربما يضر الهضم وليتناول من قام من المرض يسيرا من الطعام فى المساء لان النوم اريح واصلح له من الاكل ولا يضره عدم قضاء الحاجة كل يوم نعم اذا جاوز يومين من غير خروج شئ فليحتقن ثالث يوم اوقبله ان علم أن قبض بطنه تتولد عنه الحرارة اوالانتفاخ اوضيق الصدر او وجع الرأس وينبغى لمن قام من مرضه جديدا أن لا يسرع فى العود الى شغله فان لم يصبر الى تمام عافيته طال ضعفه فالاستعجال على الشغل قبل اوانه يعقبه من الخسارة زيادة على مايؤمل كسبه فان لم يتحفظ على نفسه والا اصابه مرض الذبول فينبغى حين ارادة الاخذ للمبادى مراقبة العواقب

المادة الخامسة فى وصايا عامة على الصحة

اتخذ القناعة فى الاكل فمن لم يقنع لا يشبع بل يهلك نفسه * قيل من ارخى على الطعام طويل عنانه * حفر مقبرته بحدة اسنانه * لا تأكل دون مرتين فى اليوم بل لا بأس بثلاثة والصغار لهم أن يأكلوا اربع مرات بل خمسة * لا تنم عقب الاكل ومدة النوم للسليم ست ساعات اوسبعة وللضعيف والصغير اطول من ذلك * تضمحل القوة والعقل ويذهب كل منهما باعتياد تطويل النوم * النظافة نصف الصحة فلتكن فى البدن والثوب والمسكن والغذاء والمتاع * لا تمضغ الدخان ولا تتنشق به فكثرة اللعاب الذى يكسبه للطبيعة مضعفة على طول الزمن وبه يضيع الريق اللازم فى الهضم وينتن النفس وتسود الاسنان وتنفسد وقد شوهد أن كثيرا من الناس اعترته الحماقة بالاكثار من شرب الدخان اوشم النشوق * اياك والانهماك على تعاطى الخمور والمسكرات سيما ايام الصوم وقد توهم انها تشد القوى مع أن القوة المستفادة من تعاطيها تمر فى ادنى زمن ويعقبها وهن وذلك كما أن النار تذكو اذا اكثرت من نفخها وترى الوقود سريعا ولا تعطى الحرارة الا درجة واما الفلاحون الذين يشتغلون فى وقت

الصيف

الصيف فعليهم تغطية رؤسهم وأن يتداركوا اشغالهم

المادة السادسة فى معالجات لجملة علل وامراض

الاول الزكام والنزلة يقال هذا ليس بشئ ان هو الا زكام اونزلة نعم نسلم أن الانسان لايموت بذلك لكن يتسبب عن ذلك حرارة الصدر المهلكة له ومن كلام بعض الحكماء الاقدمين يهلك بالنزلة والزكام ابلغ مما يهلك بالوباء وعلاج ذلك استعمال الشربة المذكورة فى المادة الاولى اوتعاطى سلاقة الخبازى التى ربعها اوثلثها لبن وينبغى قبيل النوم وضع الرجلين فى الماء الفاتر ولو انحبست البطن تعين الاحتقان وينبغى الاقتصار على تناول الاطعمة الخفيفة وتعاطى اليسير فى المأكل ولا بأس بتعاطى بعض طاسات من خفيف مرقة الخشخاش الاحمر وقد توهم بعضهم أن هذا الدآء يذهب بالعرقى المحروق اوالخمر المعطر اوالحلوم أن هذا كالقاء الحطب فى النار اذ هذه الاشربة اقرب فى تثقيل هذا الدآء من ازالته اوليس أن هذا الدآء حرارة وهى تزداد بهذه الاشربة * الثانى وجع الاسنان اذا كان الوجع ناشئا عن فساد السن فخير علاجه كما قيل الكلبتان فاللائق قلعه والادام الوجع وفسد غيره من الاسنان وربما جر ذلك الى فساد الحنك ولكن لو اختير بقاء السن خوفا من قلعه فلا بأس أن تختبر بأن تلطخ على موضع الفساد قطنة مبلولة فى قطرات من عصير القرنفل فان ذلك يصلحها زمنا طويلا وربما كانت نهايته تفتتها وسقوطها ويمكن ايضا اصلاحها بأن تلطخ على ذلك الموضع قطعة صغيرة من عرق عاقرقرحا وتتمضمض بسليق النبات المسمى حشيشة الفضة واما اذا تحرك الوجع من غير أن تكون الاسنان منفسدة فأدم الغرغرة بالشعير او بالماء واللبن وتضميد الصدغ بالضماد المطرى واتخذ الحموم جملة ليال بماء فاتر ولا تشرب الانبذة المخدرة ولا تكثر من الاكل واما اذا كان بالاسنان قرح فتنضيجه بأن تديم فى فمك لبنا اوتينا مطبوخا فى لبن فاذا انضج فافتحه فانه سهل غير مؤلم * الثالث السكتة اعلم أن دآء السكتة يأتى الانسان فجاءة فيعطل الحواس والحركات الاختيارية ماعدا النبض وبه يعسر التنفس وهذا المرض مخوف فتجب المسارعة الى الطبيب ومدة انتظار حضوره يجب

اولا كشف رأس المريض وتغطية ماعداه من البدن بشئ خفيف جدا وجلب الهوآء الطرى عنده وفتح طوقه بالكلية * ثانيا يقام حسبما يمكن رأسه الى اعلا ورجلاه الى اسفل * ثالثا يحقن بحقنة مصنوعة من سلاقة الحشائش الطرية والملح * رابعا اسقه كثيرا من الماء حسب الامكان * خامسا ابعاده عن الاشربة المخدرة كالخمر وكذلك الماء المعطر شربا اوضمادا اوسعوطا * سادسا عدم مسه وتحريكه الا الضرورة * سابعا عصب الرجلين تحت الداغصة وهى العظم المدور والمتحرك فى وسط الركبة حتى يحجب الدم عن الصعود الى الرأس وربما رجع دآء السكتة بعد ذهابه وكلما رجع كان اصعب مما قبله فالواجب تداركه من قبل بأن يأكل وهو فى هذه الحالة قليلا جدا واولى ما ينفع له أن يترك العشاء وأن يتجنب الاشياء الغزيرة المائية وطيبات الروايح والحوامض والاشربة المقوية والقهوة وأن يأكل قليلا من اللحم وكثيرا من الخضراوات والفواكه وأن يشرب دوآء مسهلا مرتين اوثلاثا كل سنة وأن يتريض وأن لا يكثر من السخونة فى اوضته اوحرارة الشمس وأن لا يتأخر فى النوم اوفى القيام منه وأن لا يلبث فوق ثمان ساعات فى فراشه * الرابع ضربة الشمس هو مرض يصيب الانسان متى اعترض فى حرّ الشمس زمنا طويلا عريان الرأس فيعرف هذا المرض بوجع الرأس الشديد واحترار البشرة واحمرار العيون وجمود الدموع وضعف البصر عن الامتداد الى الضوء وقد يحصل للمريض به سهر وربما احس بالنوم وقلق شديدا وفى الغالب تكون بشرة الوجه محترقة فالمريض لا يزال شديدا حتى يأتى الطبيب سريعا فينبغى فى مدة انتظاره أن تضع رجلى المريض فى ماء فاتر وتدخله نصف حمام اوحماما كاملا واحقنه باعشاب مطرية واسقه كثيرا من شربة الليمون والماء اواسقه ماء مخلوطا بيسير الخل وأنفع من ذلك مصل اللبن الصافى المخلوط بيسير الخل والطخ على جبهته وصدغه ورأسه خرقة مطرّاة بماء بارد وخل معا * الخامس نهش السميات * اولا اخرج الزبان اذا لصقت بالمحل الملدوغ * ثانيا تعهده بالماء * ثالثا الطخ عليه اما كزبرة اوكرفسا اوزهر الختمان * رابعا فان عظم الحرقان فاسرع ما ينفع هو أن تبل خرقة صوف فى سلاقة الختمان وتلطخها وهى هينة

الحرارة

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

الحرارة خامسا أن تلصق على الوجع لبخة من سحيق بزر الكتان او من لباب الخبز الممزوج باللبن او العسل * السادس قاعدة يجب اتباعها فى تعهد الصغار والاطفال * حق على الامهات اللاتى يردن حفظ صحة ابنائهن وتربيتهم أن يتركن عوايد البربر من لف الاطفال بكيفية يمتنع معها تحركهم وتنقل ارجلهم اوايديهم فكيف يقلن لو اخبرهن انسان ان اللازم لصحتهن ان يحتبسن فى اثوابهن وأن يلصقن اذرعتهن بيدنهن وأن لا يتحركن كالمسلسل فلاى شئ يصنعن ذلك باطفالهن وهم ضعاف فليطلقنهم يتحركوا وليعرضن اطرافهم للهواء * من يتوهم من غير مستند أن الفرس الصغير او العجل كذلك من المستحسن لصحتهما ربطهما وتكتيفهما على ذلك الوجه اوليس أن حكم تربية الادمى كغيره من باقى الحيوانات * السابع السم بالفطر وهى جنس ردئ من الكمأة كثير من الناس من يهلك بميله الى الفطر وكان الاحسن فى حقهم يقينا أن يجتنبوه وقد شوهد غير مرة أن الام تحمل لعيالها كثيرا من الفطر لتبريهم به فتقتلهم بيدها واعمال هذا النبات السمى لا يظهر الا بعد مضى ست ساعات الى اثنى عشرة فاول ما تحس بها اطلب الطبيب وتناول مدة انتظار حضوره حبتين او ثلاث حبات من الطرطر مقئ اى ملح الطرطير المقيئ بعد تذويبه فى طاستى ماء * الثامن السم بالزنجار اعلم ان آنية النحاس التى تستعمل فيها المطبوخات هى خطرة بسبب زنجرتها سريعا والزنجار سم قوى فلتبيض اوانيك وقتا بعد وقت بالقسدير ولا تترك الاطعمة تبرد فيها خصوصا اذا كان بها الخل او الحماض او الحريفات او الدسمة فاذا اعتراك وانت محترز عن ذلك قولنج اوقيء فامزج نحو خمسة عشر من بياض البيض فى قزازتى ماء واشرب منها طاسة فى نحو دقيقتين لتتقايئ السم فان لم تجد البيض فاكثر من شرب اللبن فان عدمت اللبن فمن الماء المحلى او ماء الصمغ * التاسع داء الكلب وهو معروف لسائر الناس بوصفه وعمله الرديئين وهو يتولد طبيعة فى الذياب والثعالب والسنانير وخصوصا فى الكلاب وعضة الحيوان الكلب تكسب هذا الداء للادميين وغيرهم من الحيوانات وعلامة الكلب الكلب انك تراه اولا كئيبا

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

ذا بلا مدة ايام فيختفى ويسلك المحال المظلمة ولا ينبح بل يختفى و يترك المأكل والمشرب ثم يهجر بيت اصحابه و يجرى من جهة الى اخرى ويقف شعره و يبتل لسانه من اللعاب و يتدلى من فمه و يتعوج ذنبه بين رجليه و يهرب من المائعات و يهم أن يعض سائر الناس حتى صاحبه ثم يموت بعد يوم او يومين بشدة مصارعته وتفوح من جيفته رائحة منتنة فالواجب حينئذ دفنها فى عميق من الارض ومتى عض هذا الكلب الانسان فان الجرح من عادته أن يلتئم بالسهولة كانه غير متسمم و بعد مدة قليلة او كثيرة وهى ثلاثة اسابيع الى ثلاثة اشهر يحس بالجرح وجع مكتوم فينتفخ اثره و يحمرّ و ينفتح و يقيح ومدته تخرج حارة منتنة محمرة ويذوق المريض الكآبة والخدر والكسل والبرودة و يعسر عليه التنفس و يمسك الوجع امعاءه و يضطرب فى نعاسه و يعطش عطشا مهلكا و يقاسى اذا شرب ثم يعتريه الارتعاد من الماء والمائع و يبح صوته ثم يجن و يموت وليس من شأن من اصيب بهذا الداء أن يعض غيره دائما بل معظم المبتلين بهذا الداء اذا احس هجومه عليه ينصح الحاضرين بأن يكونوا امنه على حذر ومايذوقه من الالم تقصر عنه العبارة فيتمنى ولو الموت ومعالجته هى ان اوّل مايعضه الكلب تسرع الدواء فيه فان توانيت سرح السم الى الدم ولا يجدى التطبيب شيأ وذلك الدواء هو أن تستخرج الدم من الجرح بعد كشفه وتغسله بماء مملح وتكويه بحديدة بعد احراقها فى النار حتى تبيض بعد الاحمرار وتغرزها فى سائر اقطار الجرح فلو بقى جزؤ من الجرح غير محكم الكى كان الكى كلا شئ و يصح أن تستعمل بدل الحديدة المحرقة دهن الزاج فتدخله بين شفتى الجرح وتجريه فى سائره ومتى انكوى اللحم تغطيه بخرقة مدهونة بالقيروطى اى المرهم او بالزبدة الطرية واعلم انه يجب غسل الثياب المنقوبة باسنان الكلب الكلب لما انها حين تشربت من ريقه تخلل بها جزء من سمه وما تقدم لك هو الكيفية المتعينة المجربة فى هذا المرض الشديد فلا تتردد او تخف قليلا من الالم الذى يطرد غيره من الالم الشديد او الهلاك المفزع وايضا لو طلبت الحكيم لا ثبت لك بسداد رأيه هذه المعالجات

السالفة

السالفة ولا بأس ان تستعمل هذا الدواء فى اى حيوان معضوض بكلب كلب * وأزل ما على الجرح من الشعر ولو كان المعضوض اذنا اوذنبا فلتقطعه ولتكو على ماسبق موضع القطع وينبغى أن تعزل البهائم المعضوضة عن غيرها من سائر البهائم حتى يزول مابها ولا تعدى غيرها * العاشر الاستعانة على افاقة الغريق لا تيأس من افاقة الغريق الا اذا اخذ بدنه فى العفونة فحينئذ ولو مضت ساعات كثيرة من وقت غرقه اوذهبت حركته بالكلية اوفقد امارات الحياة فافعل به مايستحقه عليك من واجبات الاخوة فقبل كل شئ اطرد من اجتمع عليه من الخلق لانه يضيق الصدر ويحجب الهواء * ثانيا لورأيت الغريق قد فقد الحس والحركة فأمل رأسه بحيث يكون وجهه الى اسفل وافتح شفتيه حتى يخرج بسهولة الماء الذى قد دخل من الفم او الانف وارفع رأسه مغطاة بقلنسوة من صوف ان تيسرت وادرج باقى بدنه فى نحو ملحفة * ثالثا انقله سريعا الى اقرب موضع * رابعا بعد وصوله اخلع ماعليه من الثياب باسهل مايمكن ولو بقطعها بآلات ان لزم * خامسا افرش له عند ذلك بعض طراحات ومخدات بها بعض صلابة واجعلها قريبا من نار متقدة وضع فوق الطراريح ملحفة من الصوف ورقد الغريق فوقها مرفوع الرأس ملفوف البدن * سادسا دلك البدن تحت الملحفة بالرفق بخرقة صوف مدفئة يابسة ثم دلك بالمائعات القوية المستقطرة على ظاهر بدنه خصوصا على السرة وماحولها والاولى خصوصا فى الشتاء أن تسخن عاجلا ماء وتملأ منه مثانات على الثلثين من ماء هين الحرارة وتضعها فوق اجزاء البدن المحتاجة للحرارة * سابعا مدة الدلك اوعقب وضع المثانات ينبغى أن تدخل الهواء فى صدره بأن تضع قصبة اوريشة فى فم المريض اوفى احدى طاقتى انفه مع فتح الاخرى وانفخ فى تلك القصبة بمنفاخ لدفع الهواء فيها فان كان النفخ فى الفم فاقبص الانف ولكن ارخ اصابعك مرة بعد اخرى ليخرج منه الهواء احيانا * ثامنا اشممه القلى البخارى يعنى الروح البخارية من ملح النشادر بأن تقرطس ورقة حتى تكون مبرومة فى صورة فتيلة وتشرّبها من قزازة قلى بخارى وتعرضها تحت انف الغريق

Digitized by Google | Original from UNIVERSITY OF IOWA

اوتدخلها فى منخاره وتكرر هذا العمل مرارا بالرفق * تاسعا ألعقه ان امكن يسيرا من روح الانبذة المخلوط بالكافوروور بماكث هذا المائع فى فمه يسيرا من الزمن ثم بلعه ولكن لاتملأ فمه منه حتى يتعسر بلعه * عاشرا لو بلعها فأعطه اكثر منها فلو تحركت معدته من غير وجود قىء وذلك ما يتعبه فأعطه ثلاث حبوب من الطرطرمقى مذوبة فى ثلاثة اوار بعة ملاعق ماء فان تقايى بهذه الكيفية فاسقه ماء فاترا وان انزل من المخرج شيأ فقوه بتناوله شيأ من الانبذة * حادى عشر لو ابطأ عن الاحساس فاحقنه حقنة حريفة وصورتها أن تأخذ اوراقا يابسة من الدخان قدر نصف اوقية ومن الملح المعتاد ثلاثة دراهم وتغلى ذلك فى مقدار من الماء يعادله نحو ربع ساعة وتحقنه به ويصح أن تؤلف هذه الحقنة من نصف طاسة ماء وطاسة خل وربع رطل من الملح المعتاد وهذه كيفية معالجة الافاقة للغريق وتدبيرها يمكن لكل انسان حتى يحضر الطبيب فيعينهم ايضا ولو كانت مفيدة ففائدتها لا تحصل الا بعد التدبير مدة ساعات على التوالى ففائدة ذلك بطيئة خفية ولذلك كان اللازم استدامة ذلك زمنا فن الغرقى من لا يفيق الا بعد ست ساعات اوسبعة من مبدء خروجه من الماء * الحادى عشر غيبوبة الحياة برايحة بيوت الاخلية والبالوعات والآبار والمجارى ونحوها * اولا أخرج سريعا من اصيب بهذا الداء وضعه تحت الهواء ثانيا جرده من الثياب ورش على بدنه ماء باردا اوماء مشوبا بخل وهو اولى واولى منه حامض الجير * ثالثا ألعقه ماء باردا ممزوجا بقليل من الخل * رابعا احقنه بحقنة ماء بارد ثلثها خل ثم بعد ذلك احقنه بملح ذائب * خامسا أدخل فى انفه طرف شعر ريشة وحركها بالرفق * سادسا ادخل الهواء فى صدره بواسطة قصبة وانفخها بمنفاخ كما سلف فى الغريق عند العمل السابع واسلك سبيل النشاط والاستعجال فى هذه المعالجة فكلما ابطأت كلما ظن اليأس من انتاجها ولما كان الموت لا ينكشف الا بعد مدة تحتم ادامة المعالجة حتى يتيقن * الثانى عشر غيبوبة الحياة بالبرودة اعلم أن شدة البرد قد تستحكم باعمالها فى الانسان فتجمد الاعضاء وتحبس جريان الدم وربما مات بها الانسان ودواؤها مخوف العاقبة جدا

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

وان كان لا الم به ابدا فبادئها هو الرعشة التي تكاد تصرع الانسان وصلابة الجسم وانحباس الدم وخدر المفاصل وذهاب الاحساس والتذاذ البدن بالنوم وانقياده اليه ولو بالقهر وانقطاع حركات الحياة على التدريج وعاقبته خروج المبتلى به من حيز الاحياء الى حيز الاموات وفي الحقيقة حركات الحياة ليست الا متوقفة فعليك أن تسرع في معالجته بدواء سواء ذهبت امارات الحياة بالكلية او بقي منها شيء واعلم أن بعض الناس توهم أن معالجة افاقته تكون بالحرارة وهذا وهم فاسد لاضرار الحرارة بكثير من الناس ولكن معالجته هي أن تلف اولا بدنه في ملحفة من صوف وتحمله الى اقرب ما يرتاح فيه من الاماكن وتخلع ثيابه وتضعه في فرش غير محمى * ثانيا اذا كان عندك ثلج فدلك البدن مع رفق بشيء من ذلك مارا من القلب الى المفاصل ثم بعد لحظات ادلكه بدل الثلج بخرقة مسقية بماء بارد و بعده بماء فاتر ثم بماء مسخن ورش على وجهه شيأ من هذه المياه * ثالثا لو تعذر الثلج فضعه في حمام فيه ماء بئر بارد وبعد نحو ثلاث دقائق أفرغ عليه قليلا من الماء المسخن وهلم جرا فأفرغ عليه كل ثلاث دقائق حتى تذهب برودة الماء على التدريج ويصير فاترا معتدلا واعمل جميع ذلك نحو ثلاثة ارباع ساعة فقط فان استشعرت برجوع حركة نبض المريض فلك أن تزيد حرارة الحمام حتى يصير في درجة سخونة الحمام المعتاد ومادام المريض في الحمام فرش على وجهه يسيرا من ماء بارد بعد تدليكه بخرقة رقيقة * رابعا المسه في انفه بطرف ريشة او بفتيلة ورق مسقية من القلي البخاري * خامسا أدخل الهواء في صدره بواسطة انبوبة او منفاخ كما سبق في الغريق * سادسا أعطه سفوفا حبات من الملح المعتاد وألعقه لعقتين ماء باردا مخلوطا بقطرات من ماء الملكة * سابعا اذا بقي بالمريض الخدر فاسقه قليلا من ماء ممزوج بخل وان كان نومه به سباتا فاحقنه بحقنة حادة وهي ما تقدمت في شأن الغريق ومن سوء الخطأ توهم أن استعمال الخمور والمسكرات القوية يمكن أن يتدارك به ابعاد هذا الداء مع أن الامر بعكس ذلك وهو أن كثرة الاشربة تحبس جريان الدم فمن ينهمك على تعاطيها فهو اشد تأثرا من غيره

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

بآفات البرودة * الثالث عشر غيبوبة الحياة بدخان الفحم * كل من يمكث
فى غرفة مغلوقة موقود بها الفحم فقد القى نفسه فى مهلكة فبدؤها يحصل للانسان
شدة وجع الرأس وبعد ذلك يعتريه تعسر النفس ثم يقع فى ذبول كحالة الموتى
فان عولج فذاك والا هلك ومعالجته هى أن تسرع الى تعريضه فى الهواء
وتجرده من اثوابه وتنيمه على ظهره وتسقيه ماء ممزوجا بخل وترش من هذا الماء
على وجهه وصدره وتبل خرقة من ذلك الماء وتدلك بدنه بها وتمسح وجهه
ثم تعيد ذلك عدة مرات وتقرب نحو مشامه عود كبريت مشتعلا او غيره من حاد
الرائحة وتغمزه فى باطن انفه بطرف ريشة وتحقنه مرتين الاولى بماء ممزوج
بخل والثانية بماء ملح فان بقى بعد ذلك على حالته فدلك فقار ظهره بمسحة من
عرف حيوان والطخ شيأ من معجون الخردل على بطن رجليه وأدخل الهواء
فى صدره بأن تدخل فى احدى طاقتى انفه فم منفاخ وتنفخ والحال أن الاخرى
مسدودة فاجتهد وواظب على ذلك وليس فى الغالب يفوق المريض فان
ساعدت المقادير على افاقته وظهر شئ من امارات الحياة فضعه فى فرش عظيم
التسخين فى غرفة بها الهواء وألعقه شيأ من خير الاشربة * الرابع عشر فى معالجة
الحرق اول ما يحترق عضو الانسان فليغمس العضو فى ابرد ما يمكن من الماء وان
تعذر غمسه فى الماء فرشه دائما باسفنجة مملوءة منه وكلما تسخن الماء المستعمل
فى ذلك الغسل فجدده وواظب على ذلك ساعات وافتح ما ينتفخ من الدمامل
بطرف ابرة واحذر أن تفسخها او تسلخ البشرة ثم الطخ على ذلك العضو المرهم
الملصوق على بعض خرقة رقيقة بورق اللازوق ومحل هذا كله ما لم يمض نصف
ساعة قبل غسل العضو المحترق فى ماء بارد والا فهذا الدواء يكون مضرا بل
فى هذه الحالة لا بد أن تكتفى باستعمال المرهم الذى تنوب عنه الزبدة الطرية ولو
رأيت الحرق امتد على العضو بتمامه فعليك بالحكيم لتستعين به على ذلك *
الخامس عشر فى الجدرى والتخلص من مجيئه بتلقيح البقرى * امر الجدرى
معلوم وكونه اما قاتلا او مشوها لا سيما بالوجه بين عند سائر الناس وربما أذهب
البصر واورث اسقاما لا تنقضى الا بانقضاء الاجل وهناك طريقة لتداركه قبل

اوانه

اوانه مجربة فمن مرض بالجدرى مع وجودها فهو من سوء تفريط والديه
واهمالهما فعلى ابى الانسان وامه المبادرة لذلك فاذا بلغ سن المولود
ستة اسابيع الى ثمانية وجب طلب الحكيم ليخرج سم الجدرى بالتلقيح
ولا عذر لهما ان اهملا فى ذلك لقدرتهما على مداواة ولدهما فلو تركاه حتى
اصيب بالجدرى فقد فات اوان استعمال تلقيح البقرى فيندمان حيث
لا ينفع الندم وفى بعض الممالك تلقيح البقرى للاطفال معين على بيت المال
فلا كلفة فيه خصوصا على الفقراء فعلى اهل هذه المملكة أن يقبلوا عليه
فى الحال ولا يتأخروا الى غد فربما فى اليوم القابل تحرك سم الجدرى ولا يغتر
بقول من يزعم انه غير مثمر شيأ فصحيح التجربة اوضح فائدة استعماله ومن
استعمله لطفل فاصيب الطفل بعد ذلك بالجدرى فذلك لفقد شروط كون
التلقيح كان غير محكم الوضع والحبات التى اخذت كانت غير تامة
فاذا استعملته فى المولود فأطلع الحكيم على حبات البقرى تحقق اصابة
استعماله وعدمها واستعمال تلقيح البقرى غير مؤلم فهو اخف من شكة
ابرة ولا يمرض به الانسان ويصح استعماله لاى عمر كان والجدرى داء
متوقع مدة اجل الانسان حتى كانه دين ما له الى القضاء وقضاؤه يحصل
بالمسارعة الى استعمال تلقيح البقرى لمن يريد التخلص من اصابته *
* (خاتمة) * هذا آخر ما اردنا شرحه من النصائح النافعة للصحة * فالصحة
جوهر نفيس عن سائر ما عداه * اذ بسلبها لا تنفع زينة الحياة * ثمرة
الاموال لعليل * لا يتمتع منها بشفاء الغليل * يذهب المريض كنوز ذهبه *
لمن يبريه من وصبه * ومع ذلك قد يكون خلاف غرضه * فلا يصح له الشفاء
من مرضه * تقرع الامراض باب الخطير * على نسق ما تقرع باب الحقير *
ولا ترق لشكواه * ولا تسمع دعواه * حكمة بالغة للحكم العدل * ذى
الاقتدار والفضل * فليس بنا قوة ولا حول * بل الكل بحول وقوة ذى
الطول * فهو الممرض والشافى * والمبتلى والمعافى * ها نحن الآن فى حيز
الحياة والثبات * ولا ندرى هل نعد غدا فى زمرة الاموات * فهذا سر خفى
لا نصل الى فهمه * كيف وقد استأثر به الله فى غامض علمه * فلا تثق بالمخايل

الظاهرة * من الصحة الزاهية الزاهرة * فربما في اسرع من البرق اللامع * تعترينا الامراض وتلزمنا المضاجع * وقدرتنا على القبض على الاجل * وحفظ الصحة من الخلل * كاقتدارنا على عروج السما * واتخاذ الافلاك ملزما * فعلينا بالاستعداد للمعاد * ولنكن كالمسافر المستحضر على الحمل والزاد * العازم على الرحيل * الجازم من الاقامة بالقليل * قد كان بالامس نوبة الجار * وستأتي غدا نوبة صاحب الدار * ولا خوف علينا ولا حزن * حيث كان خلاص ذمتنا حسن * هذا والحمد لله وحده وصلى الله على نبيه وآله وصحبه وسلم

(الفصل العاشر في فعل الخير بمدينة باريس)

اعلم أن غالب الناس ببلاد الافرنج وسائر البلاد التي تكثر الصناعة والتجارة فيها يعيشون من كسب ايديهم فاذا حصل للانسان منهم مانع كمرض او نحوه فقد معيشته واضطر الى أن يعيش من غير كسب يده كأن يتكفف الناس او نحو ذلك فشرعت المارستانات المعدة لفعل الخير حتى ان الانسان لا يسأل ما في ايدي الناس وكلما كثرت صنائع بلدة وكثر كسبها كثرت اهاليها فاحتاجت الى مارستانات اكثر من غيرها ومعلوم أن مدينة باريس من اعمر المدن واكثرها صناعة وتجارة فلذلك كثرت مارستاناتها ومواضعها المصنوعة لفعل الخير فكانت مارستاناتها وجمعيات فعل الخير بها سادة الخلل شح افرادها لما هم بخلهم لما تقدم انهم بمعزل عن الكرم من العرب فليس عندهم حاتم طي ولا ابنه عدي ولم يخرج من بلادهم معن بن زايدة الشهير بالحلم والندى الذي قال فيه الشاعر

يقولون معن لا زكاة لماله * وكيف يزكي المال من هو باذله
اذا حال حول لم يكن في دياره * من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي انت نائله
هو البحر من كل النواحي اتيته * ولجته المعروف والبر ساحله
اذا مر بالوادي فتبكي تلاله * عليه وبالنادي فتبكي ارامله

تعود

تعوّد بسط الكف حتى لو انه * اراد انقباضا لم تطعه انامله
ولو كان ما فى كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله

ولم يسمع فى بلادهم عند ملوكهم ووزرائهم شئ ولو يسيرا مما يحكى عن بنى العباس والبرامكة اصلا فالملك المنصور المشهور بالدوانقى اكرم الكرماء بالنسبة اليهم نعم ان البلاد المتحضرة يقل كرمها وايضا يرون أن اعطاء القادر على الشغل شيأ فيه اعانة له على عدم التكسب * وفى مدينة باريس ديوان لتدبير المارستانات واهله خمسة عشر نفسا للمشورة العامة وفى هذا الديوان خمس نظارات * النظارة الاولى لمباشرة المارستان * النظارة الثانية لمباشرة مهمات المارستانات والخدمة للمرضى والعقاقير العامة * النظارة الثالثة مباشرة الاوقاف * النظارة الرابعة مباشرة الفقرآء فى بيوتهم واعاناتهم * النظارة الخامسة مباشرة مصاريف المارستان وتوابعها * ولا يدخل الانسان المارستان الا اذا ثبت مرضه بقول الحكماء ومن قام من مرضه فى المارستان واراد أن يخرج منه قبل أن يتم شفاؤه وترجع له قوته اخذ من الوقف بعض شئ يستعين به على قوته حتى يمكنه الرجوع الى اشغاله واعظم مارستان بباريس المارستان المسمى اوتيل ديو ويقرب أن يكون معناه بيت الله وهو موقوف على المرضى والجرحى ولا يدخل فيه الاطفال ولا ارباب الدآء العضال ولا المجانين ولا النفساء ولا ارباب الامراض المزمنة ولا المبتلى بالافرنجى فان كل دآء من هذه الاشياء له مارستان خاص * ومن المارستانات الشهيرة فى باريس مارستان يسمى سنلويز وهو معد لارباب الامراض المزمنة ولارباب الدمامل والقوبة والحكة والجرب ونحو ذلك وفى باريس مارستان للقطاء يعنى الاطفال الذين يلتقطونهم من الطرق فيدخل فيه الذين يهملهم اهلهم كاولاد الزنا ونحو ذلك * وبباريس مارستان ايضا للايتام وفيه يدخل الاولاد الفاقدون لاهاليهم وهو موقوف على نحو ثمانمائة ذكر وانثى فالذكور فيه فى جهة والاناث فى اخرى ويباشر هذا المارستان عدة راهبات تسمى عندهم اخوات الاحسان ويتعلم صغار هذا المارستان فيه القراءة والكتابة والحساب ولهذا المارستان ديوان يدبره فلا يوضع الصغير فى هذا

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

المارستان الايام هذا الديوان واذا بلغ الانسان احدى عشرة سنة فى السن فانه
يخرج باذن اهل ذلك الديوان من هذا المارستان ويسكن عند معلم صنعة
ومصرفه يخرج من وقف المارستان ولمعلم الصنعة أن يتبنى الصغير اى يأخذه
و ينزله منزلة ابنه ولكن بشرط أن يثبت لاهل ذلك الديوان يساره وفضله وحسن
حاله * ومن جملة مارستانات باريس مارستان موقوف لتلقيح الجدرى بوضع
البقرى * ومنها مارستانان يسميان مارستانى الشيخوخة والهرم فاحدهما
للذكور والآخر للنساء ومنها مارستان لاصحاب الدآء العضال موقوف على
اربعمائة وخمسين مريضا ذكرا وخمسمائة وعشرين مريضة * ومنها مارستان
العميان من اهل باريس اوغيرها من العمالات فلهم فيه الاكل والشرب
وسائر ما يحتاجون اليه فى تعليمهم ونحو ذلك * ومنها مارستان المجانين وفيه قشلة
عظيمة تسمى مارستان السقط وفيه يوضع مجاريح الحروب ومقاطيع الايدى
او الارجل او نحو ذلك وهو من انظف واعظم المارستانات وفيه ستة عشر طبيبا
وجرايحيا وستة عقاقيرية لصناعة الادوية * و يوجد فى باريس زيادة عن هذه
المارستانات ديوان عام يسمى ديوان الاحسان والمقصود منه تكميل الخير
الذى لا يمكن فى المارستانات كما اذا احرقت تجارة تاجر او انكسر فانه يجبر من هذا
الديوان بشروط معلومة * وفى كل خط بباريس ديوان احسان والاحسان
فيه قسمان احسان حالى واحسان حولى فالاول يعطى للفقير الذى وقف حاله
او حدث له ما يعطله والثانى لمن به حالة دائمة تمنعه من الشغل * ومن فعل الخير
بمدينة باريس انه يوجد بشاطئ نهرها علب وحوايج بها روايح لتشميم الغريق
والمغمى عليه والجريح ونحو ذلك ليفيق * ويوجد ايضا بهذه المواضع عدة رجال
من اهل الخبرة لينهضوا لاسعاف من وقعت له حادثة عارضة ومن هذا كله
يتبين أن فعل الخير بمدينة باريس اكثر منه فى غيرها بالنسبة للجملة او للمملكة
لا للكل واحد على حدته فانه قد يشاهد فى طرقها أن بعض الناس الذين
لا يذهبون الى المارستانات الموقوفة ونحوها يقع فى وسط الطريق من الجوع
ور بما تراهم ينهرون السائل ويردونه خائبا زاعمين انه لا ينبغى السؤال ابدا

لانه

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

لانه اذا كان السائل قادرا على الشغل فلا حاجة الى السؤال وان كان عاجزا عنه فعليه بالمارستانات ونحوها ولان السائلين عندهم اصحاب حيل فى تحصيل الاموال فى غالب الاحوال حتى انهم يتشكلون فى صورة المجاريح ونحوهم ليشفق الناس عليهم و يرقوا لحالهم * ومن فعل الخير انهم يجمعون عند الحاجة اشياء لمن نكبه الزمان حتى يصير بها غنيا فمن ذلك انهم جمعوا لاولاد الجنرال فى نحو مليونين من الفرنكات يعنى ستة ملايين من القروش

* (الفصل الحادى عشر فى كسب مدينة باريس ومهارتها) *

اعلم أن من المركوز فى اذهان هؤلاء الطوائف محبة المكسب والشغف به وصرف الهمة اليه بالكلية ومدح الهمة والحركة وذم الكسل والتوانى حتى ان كلمة التوبيخ المستعملة عندهم على ألسنتهم فى الذم هى لفظة الكسل والتنبلة وسوآء فى محبة الاشغال العظيم والحقير ولو حصل من ذلك مشقة او مخاطرة بالنفس فكأنهم فهموا قول الشاعر

حب السلامة يثنى عزم صاحبه * عن المعالى ويغرى المرء بالكسل
فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * فى الارض اوسلما فى الجو واعتزل
ودع غماز العلا للمقدمين على * ركوبها واقتنع منهن بالامل

الى أن قال

فانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعوّل فى الدنيا على رجل

ثم ان أعظم التجارات وأشهرها فى باريس معاملات الصيارفة * والصيارفة قسمان صيارفة المملكة او الميرى وصيارفة باريس ووظيفة صيارفة الدولة بالنسبة للتجارة أن يضع الناس ما يريدون وضعه ويأخذوا كل سنة ربحه المعين فى قانونهم فلا يعد عندهم هذا الربح ربا الا اذا زاد عما فى القانون وللانسان أن يأخذ ما وضعه من المعاملة عند صيارفة الدولة متى أراد ومثل ذلك صيارفة باريس فانهم يأخذون ويعطون الاموال بالمرابحة وهم يعطون الربح أزيد مما تعطيه صيارفة بيت المال الذين هم صيارفة المملكة ولكن المال الموضوع عند صيارفة المملكة أأمن من الموضوع عند صيارفة المدينة وذلك

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

لان صيارفة المدينة يفلسون واما صيارفة الدولة فان ما يأخذونه يكون دينا على الدولة والدولة دائما موجودة * ومن امور المعاملات المهمة عند اهل باريس جمعية تسمى الشركاء فى الضمانة فانها تضمن لمن يدفع لها كل سنة قدرا هينا مخصوصا سائر ما يتلف فى بيته بحادثة قهرية كما اذا احترق بيته او حانوته او نحو ذلك فانها ترجعه له كما كان وتدفع له قيمته * وفى مدينة باريس معامل سلطانية ومعامل غير سلطانيه فمنها معامل المعادن كاشتغال الفضة والذهب واتخاذ الآنية منهما ومنها معامل الصينى والفرفورى ومعامل الشمع الاسكندرانى ومعامل الصابون والقطن والجلود المدبوغة وشغل السختيان ونحو ذلك وصناعتهم تعظم جودتها شيأ فشيأ حتى انهم كل نحو ثلاث سنوات يعرضون اشغالهم على رؤس الاشهاد ويظهرون ما اخترعوه وما كملوه * وفى باريس عدة خانات عظمى توجد فيها سائر المبيعات ووكائل وحوانيت وبيوت للتجارة او الصناعة مكتوب على واجهتها اسم التاجر واسم تجارته وبعض الاحيان قد يكتب اسم المتجر ولا يمكن أن يشرع الانسان فى التجارة الا اذا دفع لبيت المال شيأ ولو هينا فيأخذ نيشانا علامة على الاذن له فى التجارة فيحتاج أن يكون معه النيشان وعلى تجارته وللتجارة مكتب مخصوص يسمى مكتب التجارة يتعلم فيه التلامذة علم التجارة وعلم تمييز صفات انواع الاشياء المبيعة ومعرفة الاثمان والقيم * وفى هذا المكتب خمس عشرة مدرسة وفيه تلامذة من أقاليم عديدة وبمقتضى قانون ذلك المكتب انه بدفع القدر المعين يقبل من أراد الدخول للتعليم من سائر الامم * ومن الامور التى تعين على التجارة والكسب تعمير طرق البر والبحر فمن ذلك صناعة الخلجان والقوارب التى تسير بالدخان ونصب القناطر ونصب دواوين تسفير العربات الكبيرة والتيلغراف وهى الاشارة ونصب البريد بالساعى والبريد بالخيل وغير ذلك * فانظر الى مدينة باريس فان حولها أربعة خلجان تأتى منها المتاجر * وفى نهر السين تسير قوارب على صورة العربات وقوارب تمشى بالنار سريعة السير وبمدينة باريس جملة انواع من العربات مختلفة الشكل والاسم والسير والاستعمال فمنها عربات معدة لوسق الامتعة من باريس الى البلاد البرانية

وتسمى

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

وتسمى رولاچه ومنها جنس معدّ لوسقه بالناس ليسافروا فيه ويسمى الدجنس
ومنها عربات صغيرة للسفر الى المحال القريبة من باريس تسمى كوكو بضم الكافين
ويدفع فيها على كل رأس قدر معلوم كالسفر فى السفن وفى باريس عربات تستأجر
الى اجل معلوم كيوم اوشهر اوسنة والعربات العادية فى باريس هى ألفياكره
وهى مافيها مقعد فيه سدلتان متقابلتان تسعان ستة أنفس ولها حصانان
يسحبانها والكبريوله وهى نصف الفياكره فلها سدلة واحدة وركوب الفياكره
اوالكبريوله تكون اجرته بالساعة او يستأجر من محل الى محل آخر واجرة ذلك
محدودة لاتزيد ولا تنقص ووجودها فى سائر طرق باريس اكثر من وجود الحمير
فى طريق القاهرة وقد تجددت الآن عربات كبيرة تسمى الامنيبوسه
معناها لكل الخلق وهى عربات كبيرة تسع كثيرا من الخلق مكتوب على بابها
انها تمشى الى الحارة الفلانية فكل الناس الذاهبين الى حارة واحدة يركبونها
ويدفع كل منهم قدرا معينا وهى موجودة فى امهات خطوط باريس
ومن العربات جنس ينقل امتعة البيوت ومنها عجلات البياعين ويوسقونها
ويدورون بها فى الطرق ليبيعوها وهذه العجلات قد يسحبها حصان وقد يسحبها
حمار وقد يسحبها شخص وحده اومع كلبه وبها اجناس أخر من العجلات لحمل
الحجارة والتراب وغيرذلك * واما البريد المسمى عند الفرنسيس البسطة فانه من
أهم المصالح النافعة فى التجارات وغيرها يسهل فيه اخبار الغير بواسطة
المكاتبات التى تذهب عاجلا ويأتى ردها فى أسرع مايكون وتدبيرها
بكيفيتها التى هى عليها من اعظم مايمكن فان المكاتيب التى تبعث فى البلد
اوالعمالة تصل الى صاحبها من غير شك لان سائر نمرة البيوت مكتوب عليها
بالرقم عددها المسمى النمرة فبها يمتاز البيت عما عداه والمكتوب الذى يبعثه
الانسان تضعه فى محل المكاتيب الموضوع فى كل حارة فيأتى الساعى ويأخذه
فيصل المكتوب الى الحارة الاخرى ويأتى رده فى يومه * ثم ان الفرنساوية
يحترمون امور المراسلات غاية الامكان فلا يمكن لانسان أن يفتح مكتوبا معنونا
باسم آخر ولو كان متهما بشئ ولما كان احترام المراسلات بباريس على هذه

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

الحالة كثرت الرسائل بين الاحباب والاصحاب خصوصا بين العشاق لأمن الانسان على مكتوبه من أن يفتحه غير المرسل اليه المعنون باسمه واعلام العشق بين العاشق ومعشوقته يكون بالمراسلة وبها ايضا يحصل الوعد بالمواصلة وفى باريس محل لارسال المعاملات والحوائج مع الساعى ايضا من غير خوف ابدا ومن الامور النافعة فى التجارات الجرنالات فيكتبون فيها كثيرا من البضاعة النافعة او الجيدة الصنعة ويمدحونها ليروجوا السلع وليعلموا الناس بها وصاحب البضاعة يدفع لهم شيأ فى نظير ذلك وسيأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى وقد يطبع التاجر الذى يريد ترويج سلعته عدة أوراق صغيرة ويرسلها مع خدم فى سائر البيوت ولسائر المارين بالطرق ويفرقها عليهم مجانا ففى هذه الاوراق يذكر اسمه واسم دكانه وماعنده من المبيع ويعين القيمة لسلعته * وبالجملة ففى مدينة باريس يباع سائر ما يوجد فى الدنيا سواء كان خطيرا او حقيرا ومن أعظم الاشياء دكاكين العقاقيرية فيها توجد سائر الادوية مجهزة وسائر العقاقير التى على وجه الارض المعروفة الاسم والخاصية وسائر الخلق بباريس يحبون الكسب والتجارة سواء الغنى والفقير حتى ان الصغير الذى لا يمكنه التكلم الا بالاشياء الصغيرة اذا اعطيته فلسا يفرح به ويصفق بيديه قائلا ما معناه بالعربية كسبت وقنيت ولولا أن كسبهم مشوب فى الغالب بالربا لكانوا أطيب الامم كسبا واذا كسدت تجارة احدهم كما هو غالب فى تلك البلاد فسد حاله وآل امره الى تطلب ما فى ايدى الناس وربما اخذ معه مكتوبا من احد الكبار يدل على كساد حاله وانه يستحق الاعانة ويكثر وقوع مثل هذا الامر فى هذه المدينة وان كثر اخذها وعطاؤها * وتداول الامطار والرياح لا يمنع الانسان منهم عن الخروج الى شغله يقولون بلسان حالهم اليد الفارغة تسارع الى الشر والقلب الفارغ يسارع الى الاثم واهل باريس اغنياء جدا حتى ان المتوسط منهم اغنى من تاجر عظيم من تجار القاهرة فلا يرضون قول الشاعر

ولا فخر الا بالنوال وبالعطا * وليس بجمع المال عز ولا فخر

بل يحرصون على الاموال ويسلكون سبيل الحرص زاعمين انه يزيد فى الارزاق

ولا

ولا يقتدون بقول الشاعر

وليس يزاد فى رزق حريص * ولوركب العواصف كى يزادا

وقد يوجد بها من اهالى الحرف الدنيئة من ايراده كل سنة أبلغ منماية ألف فرنك وذلك من كمال العدل عندهم فهو المعول عليه فى اصول سياساتهم فلا تطول عندهم ولاية ملك جبار اووزير اشتهر بينهم انه تعدى مرة وجار ولا شك أنه تأسس فى قلوبهم قول الشاعر

والملك الجبار والمنيع * ماعنده هاد ولا شفيع

رعية الجبار مرعى الحرب * والملك العادل نصف الخصب

وهذا لا يمنع من انهم يدفعون الميرى عن طيب خاطر لما انهم يرون أن الخراج عمود الملك اذا دفع كل انسان منهم ماهو عليه قادر فمال الميرى هو قوام صورة الممالك واحسان مصرفه فى استحقاقه خير مما هنالك قال الشاعر

والمال اس لقيام الصورة * وخير منه صالح المشورة

ولما كانت رعيتهم رائعة كانت الدولة عندهم لها ايراد سنوى عظيم فان ايراد الدولة الفرنساوية كل سنة نحو تسعمائة وتسعة وثمانين مليونا من الفرنكات * ومن جملة اسباب غنى الفرنساوية انهم يعرفون التوفير وتدبير المصاريف حتى انهم دونوه وجعلوه علما متفرعا من تدبير الامور الملكية ولهم فيه حيل عظيمة على تحصيل الغنى فمن ذلك عدم تعلقهم بالاشياء المقتضية للمصاريف فان الوزير مثلا ليس له أزيد من نحو خمسة عشر خادما واذا مشى فى الطريق لا تعرفه من غيره فانه يقلل اتباعه ما امكنه داخل داره وخارجه وقد سمعت أن قريب ملك الفرنسيس المسمى الدوق درليان وهو الآن السلطان الذى هو من أعظم الفرنسيس مقاما واكثرهم غنى له من الاتباع وسائر من فى طرفه من العساكر ونحوها كالبستانجية والخدم وغير ذلك نحو اربعماية نفس لا غير والفرنساوية يستكثرون ذلك عليه فانظر الفرق بين باريس ومصر حيث ان العسكرى بمصر له عدة خدم

(الفصل الثانى عشر فى دين اهل باريس)

قد تقدم لنا فى الشرطة أن دين الدولة هو دين النصارى القاثوليقية وقد بطل هـذا الشرط بعد الفتنة الاخيرة وهم يعترفون للبابا الذى هو ملك رومة بأنه عظيم النصارى وكبير ملتهم وكما أن الدين القاثوليقى هو دين الدولة الفرنساوية كذلك هو دين غالب الناس عندهم وقد يوجد بباريس الملة النصرانية المسماة البروتستانية وغيرها ويوجد بها كثير من اليهود المستوطنين ولا وجود لمسلم مستوطن بها وقد أسلفنا أن الفرنساوية على الاطلاق ليس لهم من دين النصرانية غير الاسم فهم داخلون فى اسم الكتابيين فلا يعتنون بمحرمه دينهم او واجبه او نحو ذلك ففى ايام الصيام فى باريس لا ينقطع اكل اللحم فى سائر البيوت الا ماندر كبعض القسوس و بيت ملك الفرنسيس القديم واما باقى اهل المدينة فانهم يستهزؤن بذلك ولا يفعلونه ابدا و يقولون ان سائر تعبدات الاديان التى لا نعرف حكمتها من البدع والاوهام ولا تعظم القسوس فى هذه البلاد الا فى الكنائس عند من يذهب اليهم ولا يسأل عنهم ابدا فكأنهم ليسوا الا اعداء للانوار والمعارف ويقال ان غالب ممالك الافرنج مثل باريس فى مادة الاديان ثم ان مسيو دساسى لما اطلع على ذلك كتب عليه مانصه قولك ان الفرنساوية ليس لهم دين البتة وانهم ليسوا نصارى الا بالاسم فيه نظر نعم ان كثيرا من الفرنساوية خصوصا من سكان باريس ليسوا نصارى الا بالاسم فقط لا يعتقدون اعتقادات دينهم ولا يتعبدون بعبادات النصرانية بل هم فى اعمالهم لا يتبعون الا اهواءهم تشغلهم امور الدنيا عن ذكر الآخرة تراهم مادامت حياتهم لا يهتمون الا باكتساب الاموال بأى وجه كان واذا حضرهم الموت ماتوا كالبهائم ولكن فيهم ايضا من يقيم على دين آبائه يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل الصالحات وهم طائفة لا تحصى من الرجال والنساء ومن العوام والخواص بل ومن المشهورين بفضل العلم والأدب غير أنهم فى ورعهم وتقاهم على مراتب شتى منهم من يشارك عامة الناس فى تصرفاتهم ويحضر معهم فى محافل اللذات اعنى السبكتاكل و البال ومجامع الاغانى ومنهم المتقشفون المعرضون عن كل ماتشتهيه الانفس وهؤلاء أقل عددا وان دخلت كنائسنا ايام

الاعياد

الاعياد المعظمة ظهر لك صحة قولى هذا انتهت عبارته والحامل له على ذلك
كونه من ارباب الديانة وعددهم نادر لا حكم له * ومن الخصال العادية المهولة
ببلاد الفرنسيس او ببلاد النصارى القاثوليقية عدم الاذن بزواج القسيسين
على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم فان عدم زواجهم يزيدهم فسقا على فسقهم
ومن الخصال الذميمة أن القسيسين يعتقدون انه يجب على العامة أن يعترفوا لهم
بسائر ذنوبهم ليغفروها لهم فيمكث القسيس فى الكنيسة على كرسى يسمى كرسى
الاعتراف فسائر من اراد أن تغفر ذنوبه يذهب الى كرسى الاعتراف داخل باب
بينه و بين القسيس حائل كالشبكة فيجلس ثم يعترف قدامه بذنوبه و يستغفره
فيغفر له وقد عرف عندهم أن اكثر من يدخل الكنيسة او يذهب الى الاعتراف
يكون من النساء والصغار وهذا موافق لقول بعض شعراء العرب

ان من يدخل الكنيسة يوما * يلق فيها جاذرا وظباء

ودرجة القسيسية عندهم مختلفة فاولهم الكردينال وهو بعد البابا فى الرتبة
وذلك أن البابا قبل توليته يشترط أن يكون كردينالا ثم بعده المطران ثم بعده
الاسقف ثم الخورى ثم نائب الخورى ثم الشماس * وعند الفرنساوية اعياد دينية
متنقلة يعنى لا تقع فى يوم معين كل سنة بل هى دورية ومرتبة فى الغالب على
وقوع عيد الفصح * فمن اعيادهم الغريبة عيد الرفاع وقد تقدم ومنها عيد ظهور
السيد المسيح و يسمى عند الفرنسيس عيد الملوك وذلك أن كل عائلة تصنع فطيرة
عظيمة وتضع فيها حبة فول فى عجينها و يقسمون الفطيرة على الندامى فكل من
جاءت حبة الفول فى نصيبه فهو الملك فان جاءت فى نصيب رجل فانه يسمى
باسم الملك و يخاطب فوق المائدة وتمام الليلة بخطاب الملوك ثم يختار من النساء
امرأة يجعلها الملكة فتخاطب ايضا بذلك الخطاب وان جاءت الفولة فى نصيب
امرأة فانها ايضا تختار من الحاضرين شخصا كالزوج لها وتطلق عليه اسم
الملك فيكون سائر ايام الليلة للملك والملكة برسوم خاصة وقوانين مألوفة
وهذه الكيفية تصنع فى سائر البيوت فى مدينة باريس حتى فى بيت ملك
الفرنسيس ومن جملة بدع القسيسين انهم يصنعون فى عيد القربان موكبا

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

و يلبسون فيه حللا مطرزة ويدورون المدينة بشئ يسمونه البونديو وكلمة
البونديو مركبة من كلمتين الاولى بون ومعناها طيب او عظيم والثانية ديو
ومعناها الآله فكأنهم يقولون ان الآله حاضر فى الحفة التى بين ايدى
القسوس والمراد عندهم بالبونديو عيسى عليه السلام والفرنساوية يعرفون
أن هذه الامور من باب الهوس الذى يدنس بلادهم و يزرى بعقول اهلها
غاية الامر أن العائلة السلطانية كانت تعين القسيسين على هذه الامور فتمتثل
الرعية لذلك مع غاية الحط والتشنيع وللقسيسين بدع لاتحصى واهل باريس
يعرفون بطلانها و يهزؤن بها ولهم اعياد اخر لايسعها هذا الكتاب ثم ان لكل
انسان من الفرنساوية عيدا وهو يوم مولد القديس الموافق له فى اسمه فاذا كان
انسان اسمه بولص مثلا فان عيده يكون عيد مارى بولص فترى كل انسان اسمه
بولص يصنع ولمية و يشهر عيده وفى عيد الانسان يهادونه بانواع الازهار

الفصل الثالث عشر فى ذكر تقدم اهل باريس فى العلوم والفنون والصنائع
وذكر ترتيبهم وايضاح مايتعلق بذلك

الذى يظهر لمن تأمل فى احوال العلوم والفنون الادبية والصناعة فى هذا
العصر بمدينة باريس أن المعارف البشرية قد انتشرت و بلغت أوجها بهذه
المدينة وانه لا يوجد من حكماء الافرنج من يضاهى حكماء باريس بل ولا
فى الحكماء المتقدمين كما هو الظاهر ايضا غير أن صاحب النقد السديد قد يقول
ان سائر الفنون العلمية التى يظهر اثرها بالتجارب معرفة هؤلاء الحكماء بها ثابتة
واتقانها عندهم لانزاع فيه كما يشهد لذلك قول بعض اجلة الحكماء الامور
بتمامها والاعمال بخواتيمها والصنائع باستدامتها واما اغلب العلوم والفنون
النظرية فانها معروفة لهم غاية المعرفة ولكن لهم بعض اعتقادات فلسفية
خارجة عن قانون العقل بالنسبة لغيرهم من الامم غير أنهم يموهونها و يقوونها
حتى يظهر للانسان صدقها وصحتها كما فى علم الهيئة مثلا فانهم محققون فيه
وأعلم ممن عداهم بسبب معرفتهم باسرار الآلات المعروفة من قديم الزمان
والمخترعة له ومن المعلوم أن المعرفة باسرار الآلات اقوى معين على الصناعات

غير

غير أن لهم فى العلوم الحكمية حشوات ضلالية مخالفة لسائر الكتب السماوية ويقيمون على ذلك ادلة يعسر على الانسان ردها وسيأتى لنا كثير من بدعهم وننبه عليها فى محالها ان شاء الله تعالى وانما نقول هنا ان كتب الفلسفة بأسرها محشوة بكثير من هذه البدع فسائر كتب الفلسفة يجرى فيها الحكم الثالث من الخلاف الذى ذكره صاحب متن السلم فى الاشتغال بعلم المنطق فحينئذ يجب على من اراد الخوض فى لغة الفرنساوية المشتملة على شئ من الفلسفة أن يتمكن من الكتاب والسنة حتى لا يغتر بذلك ولا يفتر عن اعتقاده والاضاع يقينه وقد قلت جامعا بين مدح هذه المدينة وذمها

ايوجد مثل باريس ديار * شموس العلم فيها لا تغيب
وليل الكفر ليس له صباح * اما هذا وحقكم عجيب

ومن جملة ما يعين الفرنساوية على التقدم فى العلوم والفنون سهولة لغتهم وسائر ما يكملها فان لغتهم لا تحتاج الى معالجة كثيرة فى تعلمها فاى انسان له قابلية وملكة صحيحة يمكنه بعد تعلمها أن يطالع أى كتاب كان حيث انه لا التباس فيها اصلا فهى غير متشابهة واذا اراد المعلم أن يدرس كتابا لا يجب عليه أن يحل الفاظه ابدا فان الالفاظ مبينة بنفسها وبالجملة فلا يحتاج قارئ كتاب أن يطبق الفاظه على قواعد اخرى برانية من علم آخر بخلاف اللغة العربية مثلا فان الانسان الذى يطالع كتابا من كتبها فى علم من العلوم يحتاج أن يطبقه على سائر آلات اللغة ويدقق فى الالفاظ ما امكن ويحمل العبارة معانى بعيدة عن ظاهرها واما كتب الفرنسيس فلا شئ من ذلك فيها فليس لكتبها شراح ولا حواشى الا نادرا وانما قد يذكرون بعض تعليقات خفيفة تكميلا للعبارة بتقييد أو نحوه فالمتون وحدها من اول وهلة كافية فى افهام مدلولها فاذا شرع الانسان فى مطالعة كتاب فى اى علم كان تفرغ لفهم مسائل ذلك العلم وقواعده من غير محاكة الالفاظ فيصرف سائر همته فى البحث عن موضوع العلم وعن مجرد المنطوق والمفهوم وعن سائر ما يمكن انتاجه منها واما غير ذلك فهو ضياع مثلا اذا اراد انسان أن يطالع علم الحساب فانه يفهم منه ما يخص الاعداد من غير أن

ينظر الى اعراب العبارات واجراء ما اشتملت عليه من الاستعارات والاعتراض
بأن العبارة كانت قابلة لتجنيس وقد خلت عنه وان المصنف قدم كذا ولو اخره
كان اولى وانه عبر بالفاء فى محل الواو والعكس احسن ونحو ذلك ثم ان
الفرنسيس يميلون بالطبيعة الى تحصيل المعارف و يتشوقون الى معرفة سائر
الاشياء فلذلك ترى أن سائرهم له معرفة مستوعبة اجمالا لسائر الاشياء فليس
غريبا عنها حتى انك اذا خاطبته تكلم معك بكلام العلماء ولو لم يكن منهم فلذلك
ترى عامة الفرنساوية يبحثون و يتنازعون فى بعض مسائل علمية عويصة
وكذلك اطفالهم فانهم بارعون الغاية من صغرهم فالواحد منهم كما قال
الشاعر

عشق المعانى الغر وهو مراهق * وافتض ابكار الفنون وليدا

فانك قد تخاطب الصغير الذى خرج من سن الطفولية عن رأيه فى كذا وكذا
فيجيبك بدلا عن قوله لا اعرف اصل هذا الشئ بما معناه الحكم على الشئ فرع
عن تصوره ونحو ذلك فاولادهم دائما متأهلون للتعلم والتحصيل ولهم تربية
عظيمة وهذا فى الفرنسيس على الاطلاق والعادة انهم يزوجون اولادهم قبل
تمام تعلمهم وهذا يكون غالبا فى عشرين الى خمس وعشرين سنة فقل منهم من
كان فى سن العشرين ولم يبلغ درجة التدريس او يتعلم صنعته التى يريد تعلمها
غير انه قد يمكث مدة طويلة ليتمكن من العلوم والفنون غاية التمكن وهذا السن
فى الغالب يظهر به براعة الانسان وحسن طالعته كما قال الشاعر

اذا ما اول الخطى اخطا * فما يرجى لآخره انتصار

اذا جاز الفتى عشرين عاما * وما بلغ المراد فذاك عار

فكان هذا السن عند سائر الامم سن انتهاء الناجب فانظر الى الاخضرى فانه
فى سن احدى وعشرين سنة قد نظم رسالة السلم وشرحها وكذلك العلامة
الامير فانه فى دون العشرين بيسير صنف مجموعه فتورك على قول
الاخضرى

ولبنى احدى وعشرين سنه * معذرة مقبولة مستحسنه

بانه وهو فى دون ذلك السن الف فى اصعب من ذلك المقام وما قلناه بالنسبة لارباب المعارف من الافرنج واما علماؤهم فانهم منزع آخر لتعلمهم تعلما تاما عدة امور واعتنائهم زيادة على ذلك بفرع مخصوص وكشفهم كثيرا من الاشياء وتجديدهم فوآئد غير مسبوقين بها فان هذه عندهم هى اوصاف العالم وليس عندهم كل مدرس عالما ولا كل مؤلف علامة بل لابد من كونه بتلك الاوصاف ولا بدله من درجات معلومة فلا يطلق عليه ذلك الاسم الا بعد استيفائها والارتقاء ولا تتوهم أن علماء الفرنسيس هم القسوس لان القسوس انما هم علماء فى الدين فقط وقد يوجد من القسوس من هو عالم ايضا واما من يطلق عليه اسم العالم فهو من له معرفة فى العلوم العقلية التى من جملتها علم الاحكام والسياسات ومعرفة العلماء فى فروع الديانة النصرانية هينة جدا فاذا قيل فى فرانسا هذا الانسان عالم لا يفهم منه انه عالم فى دينه بل انه يعرف علما من العلوم الاخر وسيظهر لك فضل هؤلاء النصارى فى العلوم عمن عداهم وبذلك تعرف خلو بلادنا عن كثير منها وان الجامع الازهر المعمور بمصر القاهرة وجامع بنى امية بالشام وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس ومدارس بخارى ونحو ذلك كلها زاهرة بالعلوم النقلية وبعض العقلية كعلوم العربية والمنطق ونحوه من العلوم الآلية والعلوم فى مدينة باريس تتقدم كل يوم فهى دآئما فى الزيادة فانها لا تمضى سنة الا ويكشفون شيأ جديدا فانهم قد يكشفون فى السنة عدة فنون جديدة اوصناعات جديدة اووسايط اوتكميلات وستعرف بعض هذا ان شاء الله تعالى ومما يستغرب أن فى رجال العسكرية منهم من طباعه توافق طباع العرب العربا فى شدة الشجاعة الدالة على قوة الطبيعة وشدة العشق الدالة ظاهرا على ضعف العقل ومزاجهم كالعرب فى الغزل بالاشعار الحربية فقد رأيت لهم كلاما كثيرا يقرب من كلام بعض شعراء العرب مخاطبا لمحبوبته بقوله

ولقد ذكرتك والوغى بحرطنى * والنقع ليل والاسنة انجم

فحسبته عرسا ونحن بروضه * وانا وانت بظله نتنعم

وقول الآخر

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها * برقت كبارق ثغرك المتبسم

وقول صاحب لامية العجم

لا اكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل
ولا اهاب صفاح البيض تسعدنى * باللمح من خلل الاستار فى الكلل
ولا اخل بغزلان تغازلنى * ولو دهتنى اسود الغيل فى الغيل

ولنذكر لك مجامع العلماء والمدارس المشهورة وخزائن الكتب ونحو ذلك لتعرف به مزية الافرنج على غيرهم فمن خزائن الكتب الخزانة السلطانية وفيها سائر ما امكن الفرنساوية تحصيله من الكتب فى اى علم كان باى لغة كانت مطبوعة او منسوخة وعدة ما فيها من الكتب المطبوعة اربعمائة الف مجلد وفيها مبلغ عظيم من الكتب العربية الخزائنية التى يندر وجودها بمصر او بغيرها وفيها عدة مصاحف لا نظير لها ابدا ثم ان المصاحف التى عند الفرنساوية فى خزائنهم غير مهانة بل هى مصونة غاية الصون وان كان عدم اهانتها حاصلا غير مقصود غير أن الضرر فى كونهم يسلمونها لمن يريد أن يقرأ القرءآن منهم او يترجمه او نحو ذلك وتوجد المصاحف للبيع فى مدينة باريس وبعضهم لخص من القرءآن العظيم سائر الآيات التى اختارها للترجمة ثم ترجمها وضم اليها قواعد الاسلام وبعض شعبه وقال فى كتابه انه يظهر له أن دين الاسلام هو اصفى الاديان وانه مشتمل على ما لا يوجد فى غيره من الاديان ومن خزائن الكتب الخزانة المسماة خزانة مسيو وتسمى خزانة الارسنال ومعنى ارسنال ترسانة وهى اعظم الخزائن بعد الخزانة السلطانية وبها نحو مائتى الف مجلد مطبوعة وعشرة آلاف منسوخة واغلب هذه الكتب كتب تاريخ واشعار خصوصا الاشعار الايطاليانية ومنها خزانة مزارينه وفيها خمسة وتسعون الف مجلد مطبوعة واربعة آلاف منسوخة ومنها خزانة الانسطيطوت اى دار العلوم وفيها خمسون الف مجلد ومنها خزانة المدينة وهى نحو ستة عشر الف مجلد وهى دائما فى الزيادة وكتبها آداب ومنها خزانة بستان النباتات وفيها عشرة آلاف مجلد فى العلوم

الطبيعيات

الطبيعيات وفيها خزانة الرصد السلطانى وفيها كتب علم الهيئة ومنها خزانة مكتب الحكمة ومنها خزانة اكدمة الفرنسيس وهى خمسة وثلاثون الف مجلد وكل هذه خزائن موقوفة وهنالك خزائن مملوكة وهى كثيرة جدا فمنها مايشتمل على خمسين الف مجلد ومنها للدولة نحو اربعين خزانة فاقل مايوجد فى كل خزانة منها ثلاثة آلاف مجلد واكثرها فى الغالب خمسون الف مجلد وقد تنيف عن ذلك ولا حاجة لتسميتها هنا ولكل انسان من العلماء او الطلبة او الاغنياء خزانة كتب على قدر حاله ويندر وجود انسان بباريس من غير أن يكون تحت ملكه شيء من الكتب لما أن سائر الناس تعرف القراءة والكتابة وسائر بيوت الاعيان فيها خلوة مشتملة على خزانة الكتب وعلى آلات العلوم وادواتها وعلى التحف الغريبة التى تتعلق بالفنون كالاحجار التى يبحث عنها علم المعادن ونحو ذلك ففى باريس كثير من الخزائن التى يقال لها خزائن المستغربات فيوجد بها ما تتشوق اليه نفوس الفضلاء ليستعينوا به على الغوص فى الطبيعيات كالمعادن والاحجار والحيوانات البرية والبحرية المحفوظة الجثة وسائر المواليد من الاحجار والنباتات وسائر الاشياء التى فيها آثار القدماء وتعلق هذه الاشياء بالعلوم أن الانسان يدرس ما يراه فى الكتب ويقابله فان رآى فى كتاب تعريف حجر كذا وحيوان كذا وكان الحجر او الحيوان نصب عينه قابله مع الاوصاف المذكورة فى الكتب وانفع الاشياء بالنسبة للطبيعيات بمدينة باريس البستان السلطانى المسمى بستان النباتات وفيه سائر ما يعرفه البشر من الامور الخارجة من الارض الغريبة ويزرع بارضه سائر النباتات الاهلية التى يعالجون تطبعها عندهم بقوة الصناعة والحكمة فيطالع طلبة علم العقاقير والحشائش دروسهم ويقابلون ما فى الكتاب على ما يرونه ويأخذون فرعا من كل صنف من الحشائش يضعونه فى نحو ورقة ويكتبون اسمه وخاصيته وفيه ايضا سائر مراتب الحيوانات الحية غريبة او اهلية برية او وحشية فيوجد بها نحو الدب الابيض والاسود والسبع والضبع والنمورة والسنانير الغريبة والابل والجواميس وغنم بلاد التبت وزرافة سنار وفيلة الهند وغزلان البربر والايل وبقر الوحش وانواع

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

القردة والثعالب وسائر انواع الطيور المعروفة لهم وسائر هذه الحيوانات التى تراها حية بهذا البستان تراها ميتة ايضا محشوة بالتبن يراها الانسان على صورة الحية كبو البقر الذى يصنعه الفلاحون بوادى مصر و يوجد فى هذا البستان اروقة مملوءة بالمعادن النفيسة وسائر الاحجار سواء كانت غشيمة او طبيعية فترى فيها مراتب الطبيعيات الثلاثة بسائر اجناسها وانواعها واصنافها ففيها كثير من الاشياء التى لا يمكن أن نجد لها اسماء عربية كحيوانات بلاد امريكة اونباتها واحجارها وكل هذه الاشياء موضوعة بهذا البستان كالعينة او الانموذج من كل شئ ومكتوب على كل شئ اسمه باللغة الفرنساوية او اللاطينية مثلا فى القاعة التى فيها اسبع مكتوب عليها اسم السبع باللغة الفرنساوية وهو ليون وهكذا ومما وقع فى هذا البستان ما اشتهر أن بعض السباع قد مرض فدخل حارسه ومعه كلب فقرب الكلب من الاسد ولحس جرحه فبرئ الجرح فحصلت الالفة بين الاسد والكلب ودخلت محبة الكلب فى قلب الاسد فصار الكلب يتردد دائما على الاسد و يتملق اليه ويراه كأنه من اصحابه فلما مات الكلب مرض الاسد لفرقته فوضعوا معه كلبا آخر امتحانا لتطبعه فتسلى به عن الميت ولا زال معه وفى بستان النبات رواق يسمى رواق التشريح وفيه جميع المواميات اى الجثث المحنطة المصبرة ونحوها من الجثث و يوجد بهذا الرواق بعض شئ من جثة المرحوم الشيخ سليمان الحلبى الذى استشهد بقتله للجنرال الفرنساوى كلبير وقتل الفرنساوية له فى ايام تغلبهم على مصر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ومن محال العلوم الفلكية الرصد السلطانى بمدينة باريس وهو من اغرب المراصد الموجودة على ظهر الدنيا وذلك انه مبنى من مجرد الحجارة بغير دخول الحديد او الخشب فى مادته وهو على شكل مسدس الاسطحة المتوازية القائمة الزوايا موجه الضلوع الاربعة الى الجهات الاربع الشرق والغرب والشمال والجنوب وفى طرف الجهة الجنوبية صومعتان مثمنتى الزوايا وفى طرف الجهة الشمالية صومعة ثالثة مربعة وهى باب الرصد وفيه رسم الفرنسيس فى رواق فى الدور الاول خط نصف نهارهم فخرج ذلك الخط يقسم الرواق قسمين متساويين

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

فمن هـذا الخط يحسب الفرنساوية درجة الطول فينسبون اليه غيره من
الاماكن المغايرة له فى السمت وقد اسلفنا ذلك موضحا فى الفصل الاول من
المقالة الثانية وارتفاعه وسطحه ثلاثة وثمانون قدما فوق الارض وهو منقسم
الى عدة اروقة مناسبة لحاجة اشغال الفلك فمن هذه الاروقة ستة لها ممارق
مفتوحة قطر كل ممرق ثلاثة اقدام وهو موضوع على كيفية يمكن معها رؤية
السماء و يعين فيها على ما يحتاج الى رصده فترى منها النجوم وانت فى المخادع التى
تحت الارض وفى هذه الاروقة امتحنوا اثقل الاجسام الطبيعية وميزان الهواء
وفى هذا الرصد رواق كبير فيه آلات وعلى قلته آلة تعديل الرياح المسماة
الانيمومتر بها تقاس قوة الرياح وفيها طشت يسمى دن العيار يعدل به ماء المطر
الذى ينزل كل سنة ومخادع هذا الرصد هى داخلة فى الارض التى عمقها يساوى
سمك حيطان الرصد والى هذه المخادع ينزل بدرج على الدوران والانعطاف
كدرج المنارة وعدة درجها ثلثمائة وستون ووظيفة هذه المخادع انها قد تفيد
الطبائعية والكيماوية أن يصنعوا بها تجاربهم بأن يجمدوا فيها المائعات
و يبردوا بها الاجسام ليعرفوا امزاج الاهوية وفيها رواق يسمى رواق المناجاة
او رواق الاسرار وذلك أن فيه امرا عجيبا من قرع الصوت للاذن اى وصوله
بالهواء اليها وذلك أن بالرواق عمودا يقابله عمود آخر فاذا وضع الانسان فمه على
العمود وأسر بكلام فانه يسمعه الانسان الذى بالعمود الآخر ولا يسمعه من
يقرب منه وهذه الامور يفهمها من له المام بخاصية الصوت ومن المحال العلمية
بمدينة باريس موضع يقال له الكنسرواتوار بضم الكاف وسكون النون
وكسر السين وسكون الراء وفتح الواو وسكون التاء كلمة فرنساوية معناها
المخزن او المحفظ او نحو ذلك وفى هـذا المحل جميع الآلات سواء العظيمة وغيرها
خصوصا الآلات الهندسية كالآلات الحيل وتحريك الاثقال ويزعم الفرنساوية
أنه ليس فى الدنيا نظير هـذا المخزن وفى هـذا المحل يرد الصدى صوت الشخص
ردا عجيبا ثم انه يكثر بباريس مدارس سائر العلوم والفنون والصنائع وقد
سلف الكلام على اعتناء الفرنساوية بالحكمة يعنى علم الطب ولهم فيها

مدارس كثيرة ولنذكر هنا محال العلماء ومراتبهم فنقول ان العلماء فى مدينة باريس لهم مجامع عظيمة تسمى باسماء مختلفة فمنها مايسمى اكدمة ومنها مايسمى مجمعا او مجلسا والانسطيطوت عندهم اسم عام يشتمل على جميع اجتماع الاكدمات اى المجالس الخمس وهى اكدمية اللغة الفرنساوية واكدمية العلوم الادبية ومعرفة الاخبار والآثار واكدمية العلوم الطبيعية والهندسية واكدمية الصنائع الظريفة واكدمية الفلسفة وقولنا اكدمية او اكدمة او اقدمة هو لفظ مأخوذ من اسم مكان فى مدينة اثينا كان افلاطون الحكيم يعلم فيه تلامذه ومنه قيل لطائفة من الفلاسفة القدماء الاكدميون وكان يقال لهذا المكان اكدمية لان صاحبه كان شخصا يونانيا اسمه اكدمس وقد جعل هذا المكان وقفا لاهل مدينة اثينا وصيروه بستانا يتماشون فيه ويتفرجون فكان يدرس فيه افلاطون ومنه قيل لجماعة افلاطون اكدميون ويقال لهم افلاطونيون وهم مشهورون ايضا فى كتب العربية بالاشراقيين بالقاف والفاء ويقال لهم ايضا الالاهيون ويطلق اكدميون الآن عند الفرنساوية فيفهم منه بمجرد اطلاقه اهل اكدمة الفرنسيس وهم كبار علماء الفرنساوية فاذا قيد فالمعنى ظاهر كما اذا قيل اكدمة مصر فالمراد بها الجامع الازهر لان المراد به ديوان اكابر علماء مصر فاول علماء باريس بل وعلماء فرانسا ديوان العلوم المسمى اكدمة الفرنسيس واهلها اربعون عالما كل واحد من الاربعين يسمى عضوا يعنى ان هذا الديوان باربابه كالبدن وكل واحد كالعضو منه وفى الغالب أن ارباب هذا الديوان لهم فضل عظيم على من عداهم من الفرنساوية ووظيفتهم تأليف القواميس الفرنساوية وانهم يمتحنون مؤلفات العلوم الادبية وكتب التاريخ وقد اتفق أن بعض علماء الفرنسيس قد بلغ درجة عالية فى العلوم وصلح لان يكون من ارباب هذه الاكدمة بدل واحد من اربابها مات وكان هذا العالم كثير المجون فتوقفوا فى قبوله فى هذا الديوان فما كانت حيلته الا انه كان دائما يعرض بهجو اهلها فمن نوادر وقايعه انه مر ذات يوم ومعه بعض اصحابه على هذه الاكدمة فتحدث مع اصحابه فتذاكروا فى فضل علماء اكدمة

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

فقال لاشك أن عقول ارباب هذا الديوان كعقل اربعة يشير بذلك الى بعض الامثلة الفرنساوية من قولهم فى مدح الانسان ان له عقلا كعقل اربعة ومشيرا الى ان عقل كل عشرة منهم كعقل واحد فظاهر عبارته من باب المدح وباطنها غير ذلك ومن نوادره انه كتب قبل موته كعادة الفرنساوية على رخامة قبره المهيء له بيت شعر باللسان الفرنساوى يقول فيه مامعناه بالعربية

هاقبر من لم يك شيأ اسمه * كلا ولا من علما اكدمه

ومعناه هذا قبر من لم يصل الى درجة ايا ما كانت حتى لو بلغت هذه الدرجة فى الحقارة درجة هؤلاء العلماء وهناك اكدمة تسمى اكدمة تقييد الفنون الادبية واهل ديوان هذه الجمعية ثلاثون نفسا ووظيفتها الاشتغال بالالسن النافعة وبآثار القدماء خصوصا بالمبانى الغريبة وبالعلوم الادبية وبعوايد الامم واخلاقها وغالب شغلها تكميل آداب العلوم الفرنساوية بما خلت عنه مما هو فى كتب علوم اللغات الغريبة كاللاطينية والعربية والفارسية والهندية والصينية واليونانية والعبرانية والقبطية وغيرها ومن الاكدمات الاكدمة المسماة اكدمة العلوم السلطانية واهلها منقسمون احد عشر قسما لكل قسم منهم فرع مخصوص فتكون فروعهم اثنى عشر فرعا فاهل القسم الاول يشتغلون بالرياضيات كالهندسة والحساب واهل القسم الثانى بعلوم الحيل كعلم جر الاثقال ونحوه والثالث بالعلوم الفلكية والرابع بالعلوم الجغرافية والعلوم التجريبية والخامس بعلم الطبيعة العامة والسادس بالطبيعة والسابع بعلم المعادن والاحجار والثامن بعلم الحشائش والتاسع بتدبير مصاريف الارض والعاشر بتطبيب الدواب والحادى عشر بالتشريح والثانى عشر بفن الطب والجراحة ومنها الاكدمة السلطانية المسماة اكدمة مستظرفات الفنون وهى خمسة فروع الاول فن الرسم الثانى فن النحاتة الثالث فن العمارات الرابع فن النقاشة الخامس فن تركيب حروف الموسيقى ومنها مكتب الفنون الظريفة وهو مكتب موقوف على تعليم علم الرسم وتوابعه وفيه يتعلم الرسم والنقاشة والعمارة ومن مجالس العلوم جمعية تسمى اثينة الفنون وهى تعين على تقدم الفنون والصنائع وهى

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

كالحكم الذى ينفذ الاشياء ويقضى فيها برأيه ومنها اثينة باريس السلطانية وهى محل علوم وفنون ولا يكون فيها الانسان للتعلم الا اذا دفع شيأ يسيرا كل سنة والمدرسون فيها ارباب فضل ومنها جمعية تسمى الجمعية الفيلوماتية ومعناه محبو العلوم والغرض من هذه الجمعية الاعانة على التقدم فى علوم التولدات وهى مرتبة الحيوانات والنباتات والمعادن ومنها جمعية تشتغل بعلوم الانشاء والبلاغات والغرض من هذه الجمعية تدوين العلوم الادبية وحفظ غريبها حتى لا تفسد لغة الفرنسيس واذا اخترع الانسان معنى غريبا او اجاب عن سؤال غريب او قال شعرا مقبولا فانهم يعطونه جائزة ذلك ومنها جمعية تسمى حسن الدروس ووظيفتها تعليم الآداب القاثوليقية والدين القاثوليقى ومنها جمعية تسمى اكدمة ابولون يعنى الادباء وهى مجلس ارباب الفنون الادبية ومنها جمعية تسمى الجمعية الآسياتية يعنى فى لغات اهل آسيا واللغات المشرقية ووظيفتها تحصيل كتبها الغريبة وترجمتها الى الفرنساوية اوطبعها للتشهر ومنها جمعية تسمى الجمعية الجغرافية وهى معدة لتحسين وتكميل علم الجغرافيا فهى تقوى الناس على السفر الى البلاد المجهولة الاحوال فاذا سافر فيها انسان ورجع يطلبون منه سائر ما علقه عليها فتأخذ ما علقه وتقيده وتدخله فى كتب الجغرافية ولذلك كان ذلك العلم عند الفرنساوية دائما يأخذ فى الكمال وبالجملة فهذه الجمعية هى التى تخدم سائر ما يتعلق بالجغرافيا كطبع الخرطات ونحوها ومنها الجمعية الغرماتيقية يعنى المشتغلة بنحو اللغة الفرنساوية فان علم النحو يسمى فى اللسان الفرنساوى الاغرمير وباللاطينية والايطاليانية اغرماتيقا ووظيفة هذه الجمعية الاشتغال بتصحيح اللغة وتجديد اصطلاحات او ابقاء الاصطلاحات القديمة لان اللسان الفرنساوى لسان غير قار القواعد كتابة وقراءة ومنها جمعية تسمى جمعية المواعين بالكتب الخزائنية ووظيفة اهل هذه الجمعية الحث على طباعة الكتب النافعة النادرة ومنها جمعية للخطاطين واهلها يشتغلون باجادة الخط ومنها جمعية تسمى جمعية المغناطيسية الحيوانية وهى جماعة تقول بوجود سيال مغناطيسى فى الحيوان ومنها جمعية حفظة آثار

القدما

القدماء وهى جمعية معدة لحفظ سائر ما يوجد من الآثار الباهرة عند القدماء
كبعض مبانيهم وموميائهم وملبسهم ونحو ذلك والبحث عن ذلك ليتوصل به الى
دراسة عوايدهم ففى ذلك يوجد كثير من الامور النفيسة المأخوذة من بلاد
مصر كالحجر المصور عليه فلك البروج المأخوذ من دندره فان الفرنساوية
يتوصلون به الى معرفة الفلك على مذهب قدماء اهل مصر فان مثل ذلك
يأخذونه بغير شئ الا انهم يعرفون مقامه فيحفظونه ويستخرجون منه نتائج
شتى ومنافع عامة * ومنها مكتبة تسمى مكتبة الاطوال واهلها اثنا عشر ثلاثة
مهندسون واربعة فلكيون واربعة بحريه وواحد جغرافى فيشتغلون بعلم
الهيئة وتأليف الرزنامات السنويه وتحرير الزيجات وذكر اطوال البلاد
ومنها الجمعية السلطانية فى علوم الفلاحة وتحرير توفير المصاريف البرانية
والجوانية واهل هذه علماء اغنياء وهم يعطون الجائزة لمن يخترع شيأ جديدا
نافعا * ومنها جمعية لتحسين الاصواف ووظيفة اهلها مباشرة ما يتعلق بالغنم
ومنها جمعية تعين على حث الفرنساوية على البراعة فى الفنون والصنائع وهى تعين
الصنائع بسائر انواعها على التقدم فاذا اقترح انسان شيأ نافعا اخذ من اهل
هذه الجمعية تحفة عظيمة وشهرة * وفى باريس مدارس سلطانية تسمى الكوليج
بضم الكاف وفتح اللام وسكون الياء وهى مدارس يتعلم فيها الانسان العلوم
المهمة التى تكون وسائل فى الامور المقصودة منها وهى خمسة كوليجات يدرس
فيها صناعة الانشاء والتأليف والالسن القديمة الغريبة والعلوم الرياضيات
وعلم التاريخ والجغرافيا والفلسفة واصول الطبيعيات يعنى كتبها الصغيرة وعلم
الرسم وعلم الخط وفيها مراتب للطلبة فان الانسان يسلك فيها فى العادة مرتبة
كل سنة ففى كل سنة من ست سنين يخرج الانسان من مرتبة الى اعلى فهى
بالترقى لا بقوة الفهم ولا بغيره فلا يمكن للانسان أن يتعدى ابدا * وهنالك كوليجان
آخران غير سلطانيين وفيهما يدرس ما يوجد فى الكوليجات الخمسة السابقة وفيها
كوليج آخر يسمى كوليج الفرنساوية السلطانى وهو اعظم جميعها فيتعلم فيه
الرياضيات والطبيعة المخلوطة بالحساب والطبيعة العملية والهيئة والطب

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

والتشريح العمليان وفيه تعلم اللغات كالعربية والفارسية والتركية والعبرانية والسريانية والهندسة ولغة أهل الصين وعلومهم ولغة التتار والحكمة اليونانية التى هى فلسفة اليونان وعلم الفصاحة والبلاغة فى اللسان اللاطينى وعلوم بلاغة اللغة الفرنساوية وهذا الكوليج يشتمل على اكابر المدرسين وفيه ستة آلاف طالب ومن أشهر المدارس مدرسة بوليتقنيقا بضم الباء وكسر اللام وسكون الياء والقاف وكسر التاء والنون وسكون الباء يعنى مدرسة كليات العلوم وفيه يدرس الرياضيات والطبيعيات لتربية مهندسين فى علم الجغرافيا وفى العسكرية فمهندسو الجغرافيا يهندسون القناطر والارصفة والطرق والجسور والخلجان وكل آلات الحيل ورفع الاثقال واما مهندسو العلوم العسكرية فهم يهندسون القلاع والحصون والبروج والتوقى من ضرر الاعداء واتخاذ العراضى وهندسة تسييب البارود وأرباب هذه المدرسة محققون لهم باع فى سائر العلوم ويكفى فى فضل الانسان أن يكون من تلاميذها ومنها مكتب يسمى مكتب الفروع الفقهية فيدرسون فيه أحكام المعاملات والجنايات ونحوها * ومنها مكتب موقوف على تعليم علم الرسم فيدرس فيه الذكور والاناث علم التصوير * ومنها مكتب الغناء السلطانى فيتعلم فيه ايضا الذكور والاناث علم الالحان الصوتية والغنا الكنائسى * ومنها مكتب موقوف ايضا على الرسم والرياضيات لتكون وسائل للفنون فيتعلم فيه الحساب والهندسة والقياس ونحاتة الحجر والخشب وعلم المساحة وتصوير البهيمة والادمى والازهار وانواع الزينة * ومنها مكتب القناطر والجسور وفيه يتعلم هندسة الطرق والخلجان والارصفة * ومنها مكتب سلطانى لتعلم علم المعادن وفيه يتعلم وسايط كشف المعادن واستخراجها * ومنها مدرسة الفنون والحرف يتعلم فيها علما الكيميا والهندسة الداخلان فى الحرف والفنون وفيها يوجد سائر آلات الصنائع الموجودة الى هذا العصر * ومنها مكتب يسمى مكتب اللغات المشرقية المستعملة وفيه يتعلم الفارسى والملاباري والعربية الاصلية والدارجة ولغة الترك والارمن والروم ومنها مكتب يسمى مكتب الارليغولوغى بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر

اللام

اللام وسكون الياء وضم الغين واللام وكسر الغين الاخيرة يعنى تفسير الكلمات
المكتوبة من قديم الزمان فى اللغات القديمة فيفسرون فيه النقود والمعاملات
المكتوبة فى الازمنة السالفة والاحجار المنقوشة وترجمة الهيا كل القديمة
المكتوبة * ومنها مكتب سلطانى يتعلم فيه تواريخ الدول وسياساتها ونحو ذلك *
ومنها مكتب سلطانى للموسيقى والانشاء والخطابة وفيه يتعلم أهل اللعب والغناء
والالاتية من الذكور والاناث وأهل التعلم به أربعمائة نفس * ومنها مدرسة
بستان السلطان التى هى بستان النباتات وبها يقرأ ثلاثة عشر درسا فى جملة
فروع كعلم الحشائش والطبيعيات والكيميا والمعادن والتشريح والمقابلة بين
اجزاء بدن الآدمى والبهيمة * وفيها مكتب يسمى مكتب البستنجية وفيه يتعلم علم
زراعة الشجر وحفظه من البرد وتطبيع النباتات الغريبة المنقولة على اقليم المحل
الذى نقلت اليه * ومنها مكتب تقليم الاشجار غير المثمرة لاخراج ثمرها * ومنها
مكتب تعليم النباتات والمعادن لمن يريد السفر فى بلاد ليميز نباتها ومعدنها ومنها
مكتب يسمى طب البهائم وفيه يتعلم تطبيب البهائم وفيه مارستانات للحيوانات
المريضة وفيه مدرسة كيميا ومدرسة لعلم الطبيعة وفيه العقاقير وبستان
حشائش ومكتب للفلاحة العملية وجملة اجناس من البهائم معدة لتجربة
اختلاف اصناف البهائم واصولها فيطلقون فيه صنفا مثلا من الخيل على صنف
آخر كحصان عربى على حجرة اندلسية ليتولد منهما صنف آخر * ومنها مكتب الصم
البكم وهو موقوف على مائة نفس ويدخلون فيه من احدى عشرة الى ستة عشر
فيتعلم فيه القراءة والكتابة والحساب واللسان والتاريخ والجغرافيا وصنعة
من الصنائع وفى هذا المكتب ورشة يتعلم فيها علم الطباخة والنقاشة والنجارة
والخراطة والخياطة والصرماتية ونحوها * ومنها مكتب العميان السلطانى وهو
موقوف على جملة محصورة من العميان فيتعلمون القراءة على شئ مكتوب لهم
كتابة مخصوصة فيمسونها باليد ويتعلمون ايضا علم الجغرافيا على خرطات
مخصوصة ايضا ويتعلمون التاريخ واللغات والرياضيات والموسيقى بالصوت
وبالآلة وغير ذلك من الحرف كشغل الجرابات ونحوه * وغير ما ذكرنا يوجد ايضا

Digitized by Google   Original from UNIVERSITY OF IOWA

عدة مدارس * ويوجد فى باريس ايضا مكاتب تسمى البنسيونات جمع بنسيون بفتح الباء وسكون النون وكسر السين وضم المثناة التحتية وسكون الواو وهى مكاتب يتعلم فيها الصغار الكتابة والقراءة وعلوم الا لآت كالحساب والهندسة وغيرها كالتاريخ والجغرافيا وهى نحو مائة وخمسين بنسيونا وفيها اكل الانسان وشربه ونومه وغسل ثيابه ونحو ذلك فيدفع اهالى الاولاد قدرا معلوما فى السنة * وغير البنسيونات المذكورة يوجد بيوت يكون صاحبها عالما فيأخذ عنده عدة اولاد ليأكلوا معه ويشربوا معه ويعلمهم بنفسه او يحضر لهم معلمين عنده * وغير هذا كله فكثير من الناس يحضر لاولاده المعلم فى البيت كل يوم ليعلمهم عنده * ومن الاشياء التى يستفيد منها الانسان كثير الفوائد الشاردة التذاكر اليومية المسماة الجرنالات جمع جرنال وهو يجمع فى اللغة الفرنساوية على جرنو وهى ورقات تطبع كل يوم وتذكر كل ماوصل اليهم علمه فى ذلك اليوم وتنشر فى المدينة وتباع لسائر الناس وسائر اكابر باريس يرتبونها كل يوم وكذلك سائر القهاوى وهذه الجرنالات مأذون فيها لسائر أهل فرانسا أن تقول مايخطر لها وأن تستحسن وتستقبح ماتراه حسنا اوقبيحا وأن تقول رأيها فى تدبير الدولة فلها حرية تامة مالم تضر بذلك فانه يحكم عليها وتطلب بين يدى القاضى * والجرنو عصب فكل جماعة لها فى رأيها مذهب كل يوم تقويه وتحاميه وتؤيده ولا يوجد فى الدنيا اكذب من الجرنالات ابدا خصوصا عند الفرنسيس الذين لا يتحاشون الكذب الامن حيث كونه عيبا * وبالجملة فكتاب الجرنو أسوء حالا من الشعراء عند تحاملهم او محبتهم * والجرنالات مختلفة الانواع والاصناف فمنها ماهو معد لذكر اخبار داخل مملكة الفرنسيس وخارجها * ومنها ماهو مخصوص بامور المملكة فقط وماهو للمعاملات وماهو للطب ولكل علم على حدته كعلم الطب الى آخره * والجرنال الواحد ينطبع منه غالبا للبيع خمسة وعشرون ألف نسخة وكل جرنال تكثر نسخه على حسب رغبة الناس وارباب الجرنو يعرفون الاخبار الغريبة قبل غيرهم لان لهم مراسلات مع سائر البلاد وهم فى الواقع كخطباء الامة يتعرضون للمدح والذم

والاستحسان

والاستحسان والاستقباح والتحسين والتقبيح والاغراء والتحذير الى غير ذلك وقبلهم فى ذلك المؤلفون وربما اتخذ المؤلفون خطابات أرباب الكازيطات مادة لهم واعلى درجة منهم أرباب الخطابات بالجمعيات العمومية الذين هم من اعضاء المجالس وهم اعلى طبقة فى الاعتبار من الشعراء فاذا نظرت وجدت هذا على نسق العرب فى قديم الزمان فقد قال ابو عمرو بن العلا مانصه كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم الى الشعر الذى يقيد عليهم بآثرهم و يفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم و يهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوقة وتسرعوا الى اعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ولذلك قال الاول الشعر أدنى مروءة السرى واسرى مروءة الدنى ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبيانى ولو كان فى الدهر الاول مازاده الارفعة * ومن جملة علوم باريس الدفاتر السنوية و التقويمات الجديدة والزيجات المصححة ونحو ذلك فكل سنة يظهر فيها كثير من الروزنامات المشتملة على التواقيع وعلى غرائب العلوم والفنون وعلى كثير من امور الدولة وعلى تسمية اكابر الدنيا وتسمية اعيان فرانسا وتعيين بيوتهم ودرجاتهم ووظائفهم فاذا احتاج الانسان الى اسم واحد والى بيته راجع فى ذلك الكتاب * وفى باريس اوض القراءة اوخلوات القراءة فيذهب الانسان فيها ويدفع قدرا معلوما ويقرأ سائر الجرنالات وغيرها من الكتب و يستأجر منها مايحتاجه من الكتب ويأخذه عنده ويرجعه ومما يبهر العقول فى باريس دكاكين الكتبية وخاناتهم وتجارات الكتب فانها من التجارات الرائجة مع كثرتها وكثرة المطابع وكثرة التآليف التى تنطبع كل سنة فانها يعسر حصرها واغلبها المقصود منه الكسب لا النفع ولا تمر سنة بمدينة باريس الا ويخرج من المطبعة كتب معدومة النظير واعتناؤهم بالمعارف هو احسن ماينبغى أن يمدحوا به قال الشاعر

اذا شئت ان تخلى من الكتب كلها * باطيب مروى واحسن مسموع

Digitized by Google

Original from UNIVERSITY OF IOWA

فطالع مجاميع الدفاتر انها * تفرّق من همّ الفتى كل مجموع

وقال اخر

اجعل جليسك دفترا فى نشره * ليريك من حكم الزمان نشورا
ومعيد آداب ومؤنس وحشة * واذا انفردت فصاحبا وسميرا

وبالجملة فلا يمكن وصف مدينة باريس مع تفصيل علومها وفنونها الا انه يمكن التعبير عن ذلك اجمالا كما ذكرناه

المقالة الرابعة فيما كنا عليه من الاجتهاد والاشتغال بالفنون المطلوبة لتحصيل غرض ولى النعم وفى تدبير اشتغال الزمن فى القراءة والكتابة وغيرهما وفى المصاريف الواسعة الخارجة من طرف صاحب السعادة وفى عدة مراسلات بينى وبين بعض خواص الافرنج تتعلق بالتعلم وفى ذكر ما قرأته من الفنون والكتب بمدينة باريس ومن هذه المقالة تفهم أن تعلم الفنون ليس سهلا وانه لابد لطالب المعارف من اقتحام الاخطار لبلوغ الاوطار فى تلك الاقطار

قال الشاعر

دعينى أنل مالا ينال من العلا * فسهل العلا فى الصعب والصعب فى السهل
تريدين ادراك المعالى رخيصة * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وقال آخر وهو من الكلام الجامع

من كان يعلم أن الشهد راحته * فلا يخاف للدغ النحل من ألم

وقال آخر ايضا

ان الفضائل بالاخطار مولعة * فابغ الفضائل وابذل جهدك الثمنا
وان أراك الهوى منه الهوان فقل * حكم المنية فى حب الحبيب منا

الفصل الاوّل فيما حصل لنا فى اول الامر من الترتيب فى القراءة والكتابة وغيرهما * من عادة أهل باريس انهم فى التعلم يبتدؤن بتعليم الانسان القراءة فى كتب عظيمة الحروف لترسم صورها فى ذهنه وفى هذه الكتب توجد الحروف الهجائية بتركيبها ثم بعدها عدّة ألفاظ لغوية من الاسماء والافعال فهذه الطريقة يتعلم الانسان منها الكتابة ويحفظ هذه الكلمات وينطق بها

كما ينبغى حتى تخرج لغته من صغره صادقة الجودة ثم بعدها تلقى فى هذه الكتب عدة جمل سهلة التعقل تناسب الصغار فمن هذه الجمل ما وجدناه فى الكتاب الذى قرأناه * هذه فرس لها أربع ارجل والطيور ليس لها الا رجلان لكن لها أجنحة تطير بها واما السمك فانه يسبح فى الماء ونحو ذلك مما هو معلوم للمخاطب فهو مثل قول النحاة السماء فوقنا والارض تحتنا الممثل به لما لم يفد فائدة جديدة على اختلاف تفسير الوضع فى قولهم الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع ثم بعد ذلك يوجد فى هذا الكتاب اوصاف الحيوانات المعروفة خصوصا التى تتعلق الصغار باللعب بها من العصافير والطيور والسنانير ونحو ذلك ثم بعد ذلك نبذة صغيرة فى كيفية سلوك الصغار وطاعتهم للوالدين ونحو ذلك ثم نبذة فى علم الحساب فبعد فراغ هذا الكتاب يبدؤن فى قراءة كتاب أهم منه وفى كتاب النحو الفرنساوى وغيره وتقسيم الزمن على دروس الانسان فان الانسان يتعلم فى النهار عدة امور مختلفة فيقرأ فى الصباح مثلا التاريخ ثم بعده درس تصوير مع معلم الرسم ثم بعده درس النحو الفرنساوى ثم بعده درس تقويم البلدان ودرسا مع معلم الخط لتعلم قواعد الكتابة الى اخره وقد أسلفنا ذلك ولما كانت آمال ولى النعم متعلقة بتعلمنا عاجلا ورجوعنا الى أوطاننا ابتدأنا فى مرسليا قبل وصولنا الى باريس وتعلمنا فى نحو ثلاثين يوما التهجى ثم لما ذهبنا الى باريس مكثنا جميعا فى بيت واحد وابتدأنا فى القراءة فكانت اشغالنا مرتبة على هذا الترتيب وهو انا كنا نقرأ فى الصباح كتاب تاريخ ساعتين ثم بعد الغداء نتعلم درس كتابة ومخاطبات ومحاورات باللغة الفرنساوية ثم بعد الظهر درس رسم ثم درس نحو فرنساوى وفى كل جمعة ثلاثة دروس من على الحساب والهندسة وفى مبدأ الامر كنا نأخذ فى الخط درسين يعنى فى معرفة الكتابة الفرنساوية ثم بعد ذلك كنا نأخذ كل يوم درسا ثم انتهى الامر الى اننا تعلمنا الخط فانقطع عنا معلم الخط واما الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا فلم نزل نشتغل بها حتى سهل الله علينا بالرجوع وقد مكثنا جميعا فى بيت واحد دون سنة نقرأ معا فى اللغة الفرنساوية وفى هذه الفنون المتقدمة ولكن

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

لم يحصل لنا عظيم مزية الا بمجرد تعلم النحو الفرنساوى ثم بعد ذلك تفرقنا فى مكاتب متعددة كل اثنين او ثلاثة او واحد منا فى مكتب مع اولاد الفرنساوية اوفى بيت مخصوص عند معلم مخصوص بقدر معلوم من الدراهم فى نظير الاكل والشرب والسكنى والتعليم وتعهد امورنا من غسل ونحوه فكان يأخذ صاحب المكتب او البيت نحو عشرة اكياس كل سنة فى نظير ذلك ولا يلزمنا شئ فى المأكل والمشرب * ولما كانت طباع هذه البلاد شدة البرودة كان لكل واحد منا فى كل سنة بثلثمائة قرش خشب للتدفى بها وغير هذه المصاريف العظيمة كان يشترى لنا من طرف الميرى ايضا القمصان والسراويل والنعال وسائر ما يلزم من الآلات والادوات مثل الكتب والورق والحبر وأقلام التصوير وغيرها ومما ينبغى ذكره ايضا ما كان يعطى للحكماء والاجزاجية فى مداواة من كان يمرض منا فان الحكماء بباريس مع كثرتهم غاية الكثرة يأخذون فى زيارتهم للمريض الموسر قدرا له وقع على اختلاف مراتبهم فى الشهرة وعدمها ويتعدد القدر بتعدد الزيادة وهذا ان لم يكن للحكيم سنوية معلومة وقد أسلفنا ذلك فى باب اعتناء الفرنساوية بالطب وتعهدهم للصحة فأقل الحكماء يأخذ فى كل زيارة يمكث فيها نحو نصف ساعة ثلاثة فرنكات والحكيم المتوسط يأخذ فى كل زيارة خمسة فرنكات والحكيم الجليل القدر يأخذ فى كل زيارة أبلغ من خمسين فرنكا وكلما تعددت الزيارة فى اليوم الواحد تعدد القدر واما بالنسبة للمعدم فقد لا يأخذون منه شيأ ونحن نعد هنالك من الموسرين بل من الاغنياء لتجملنا بالملبس الغريب عندهم ولنسبتنا لولى النعم * ولكثرة هذه المصاريف فى تعليمنا وغيره من سائر ما ذكرنا كان ناظر التعليم او الضابط علينا يذكرنا به فى أغلب الاوقات لنجتهد وسترى بعض ذلك فى مراسلات كتبها الى بعد الامتحان العام

(الفصل الثانى فى تدبيرنا فى شأن الدخول والخروج)

حين اجتماعنا فى بيت الافندية كنا لا نخرج منه ليلا ولا نهارا الا يوم الاحد الذى هو عيد الافرنج بورقة اذن للبواب من الضابط الذى نظره علينا ولى النعم ثم بعد

تفرقنا

تفرقنا فى المكاتب المسماة البنسيونات كنا نخرج ايام البطالة وهى يوم الاحد بتمامه ويوم الخميس بعد الدروس وايام اعياد الفرنساوية ومنا من كان يخرج كل ليلة بعد العشا ان لم يكن له درس بعده ولنذكر لك هنا قانون نامة الذى صنعه الافندية بعد دخولنا فى البنسيونات وعبارته هذه صورة ترتيب الافندية فى البنسيونات * المادة الاولى أن يوم الاحد المقرر لهم الخروج فيه يلزم أن يخرجوا من البنسيونات فى الساعة التاسعة ويأتوا الى البيت المركز من اول الامر ويقدموا وقت الدخول ورقة معلمهم الى الافندى النوبتجى فى هذا الشهر لاجل أن يعلم ساعة دخولهم فى البيت وبعد ذلك يذهبون الى المواضع المعدة للفرجة بشرط أن يجتمع ثلاثة اواربعة ثم يرجعون الى البنسيونات فى ايام الصيف فى الساعة التاسعة * وفى ايام الشتاء فى الثامنة وهذا الترتيب لازم ولا بد فان رجع احد الى البنسيون قبل ذلك وتعشى هنالك فهو اولى واحسن ومن اللوازم أن لابد وراحد فى الازقة ليلا ومتى دخل فى البنسيونات يعطى الورقة المذكورة للمعلم * المادة الثانية أن من لم يمتثل لخصوص ماسبق يمنع الخروج من البنسيون بحسب الاقتضاء جمعة اوجمعتين * المادة الثالثة ان كل من له شكاية من معلمه لاتسمع ولاتقبل حتى يكتبها فى ورقة ولاتسمع الامن جهة التعليم اومن جهة اخرى يحصل له منها ضرر ولكن قبل أن يكتب ورقة الشكاية يعرف عنها معلمه مرة ثم يكتبها للنوبتجى فى هذا الشهر * المادة الرابعة أن جميع الافندية يمتحنون فى آخر كل شهر ليعرف ماحصلوه من العلوم فى هذا الشهر ويسئلون عما يحتاجون اليه من الكتب والآلات ويكتب فى آخر كل شهر كسبهم وتحصيلهم وافعالهم على الصحيح ولأجل هذا ينبغى التفكر فى هذا بالخصوص لأجل تحصيل غرض حضرة ولى النعم * المادة الخامسة لواحتاجوا شيأ من الكتب والآلات فى اثناء الشهر يطلبونه من معلمهم بورقة يكتبونها له ومعلمهم يخبر بذلك مسيو جومار فان رآه مناسبا يعطيهم ذلك بعد مايخبر النوبتجى فان اشترى احد شيأ من غير اجازة يلزمه أن يدفع ثمنه من عنده * المادة السادسة أنه بعد الامتحان بماذكرنا فى المادة

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

الرابعة ان استحق احد من الافندية الهدية بنجابته تعطى له كتب وآلات وسكة * المادة السابعة فى محل التفرج او الطريق لا ينبغى لاحد منهم أن يرتكب ما يخل بمروءته وهذا الامر هو اهم الجميع وممنوع اشد المنع * المادة الثامنة أن كل الافندية الذين هم فى البنسيونات لا يدخلون فى البيت المركز الاكل خمسة عشر يوما مرة وهو يوم الاحد * المادة التاسعة أن يوم الاحد الذى لا يأتون فيه الى البيت يخرجون فيه مع اولاد الفرنساوية او مع المعلمين الى مواضع التفرج او الرياضة او ما ينبغى رؤيته وكذلك يوم الخميس او يوم التعطيل ان لم يكن عليهم شغل فيذهبون مع من ذكر الى المواضع المذكورة * المادة العاشرة يتبعون قوانين البنسيون كاولاد الفرنساوية بالتدقيق والاهتمام فى غير الامور المتعلقة بالدين * المادة الحادية عشر اذا خالف احد هذا الترتيب يقابل بقدر مخالفته واذا اظهر عدم الطاعة يحبس بالخشونة وان كان احد يتشبث بافعال غير لائقة واطوار غير مرضية وجاءت تذكرة من معلمه تشهد عليه بقبح حاله وتبين عصيانه فمثل ما ذكر حضرة ولى النعم افندينا فى القوانين التى اعطاها لنا نتشاور مع المحبين لحضرة افندينا من اهالى هذه المدينة ونرسل فاعل القبح والعصيان بنفسه حالا الى مصر من غير شك ولا شبهة * المادة الثانية عشر ان جميع الافندية يكونون فى البنسيونات فى هذا الترتيب على حد سوآء وان كان فى البنسيونات مائدتان احداهما للمعلمين والاخرى للتلامذة فأفندينا يأكلون مع معلميهم * المادة الثالثة عشر ان الافندية المذكورين يلزمهم جميع ما ذكر من القوانين من غير امتياز وبسبب ذلك اعطينا كل واحد منهم صورة ذلك * المادة الرابعة عشر كل المواد السابقة هى خلاصة افكارنا ونتيجة اذهاننا واذهان الاعيان الذين وصاهم علينا حضرة افندينا وبناء على ذلك كل احد يلزمه أن يتبعه مع التنبه لاجل تحصيل رضاء حضرة افندينا ولى النعم فمن لم يمتثل او تعلل بشئ يجرى عليه ما هو مذكور فى قانون حضرة افندينا ولى النعم حفظه الله

الفصل الثالث فى ترغيب ولى النعم لنا فى الشغل والاجتهاد * جرت عادته من مدة

خروجنا من مصر بأنه كان يتفضل علينا ببعثه لنا فرمانا كل عدة اشهر يحثنا
فيه على تحصيل الفنون والصنائع فمن هذه الفرمانات ما كان من باب ما يسمى
عند العثمانية احياء القلوب مثل الفرمان الآتى ومنها ما كان من باب التوبيخ
على ما كان يصله منا ويبلغه عنا من بعض الناس حقا او غير ذلك كفرمان اخر
وصلنا قبل رجوعنا الى مصر القاهرة ولنذكر لك هنا فرمانا من النوع الاول
الذى هو احياء القلوب وان كان فيه ايضا شائبة توبيخ لتعلم كيف كان حفظه الله
يحثنا على التعليم وهذه صورة ترجمته * قدوة الاماثل الكرام الافندية المقيمين
فى باريس لتحصيل العلوم والفنون زيد قدرهم ينهى اليكم أنه قد وصلنا اخباركم
الشهرية والجداول المكتوب فيها مدة تحصيلكم وكانت هذه الجداول المشتملة
على شغلكم ثلاثة اشهر مبهمة لم يفهم منها ما حصلتموه فى هذه المدة وما فهمنا منها
شيأ وانتم فى مدينة مثل مدينة باريس التى هى منبع العلوم والفنون فقياسا
على قلة شغلكم فى هذه المدة عرفنا عدم غيرتكم وتحصيلكم وهذا الامر غمنا غما
كثيرا فيا افندية ما هو مأمولنا منكم فكان ينبغى لهذا الوقت أن كل واحد
منكم يرسل لنا شيأ من اثمار شغله وآثار مهارته فاذا لم تغيروا هذه البطالة بشدة
الشغل والاجتهاد والغيرة وجئتم الى مصر بعد قرآءة بعض كتب فظننتم انكم
تعلمتم العلوم والفنون فان ظنكم باطل فعندنا ولله الحمد والمنة رفقاؤكم المتعلمون
يشتغلون ويحصلون الشهرة فكيف تقابلونهم اذا جئتم بهذه الكيفية
وتظهرون عليهم كمال العلوم والفنون فينبغى للانسان أن يتبصر فى عاقبة امره
وعلى العاقل أن لا يفوت الفرصة وان يجنى ثمرة تعبه فبناء على ذلك انكم غفلتم
عن اغتنام هذه الفرصة وتركتم انفسكم للسفاهة ولم تتفكروا فى المشقة
والعذاب الذى يحصل لكم من ذلك ولم تجتهدوا فى كسب نظرنا وتوجهنا اليكم
لتتميزوا بين امثالكم فان اردتم أن تكتسبوا رضاءنا فكل واحد منكم لا يفوت
دقيقة واحدة من غير تحصيل العلوم والفنون وبعد ذلك كل واحد منكم يذكر
ابتداءه وانتهاءه كل شهر ويبين زيادة على ذلك درجته فى الهندسة والحساب
والرسم وما بقى عليه فى خلاص هذه العلوم ويكتب فى كل شهر ما تعلمه

فى هذا الشهر زيادة على الشهر السابق وان قصرتم فى الاجتهاد والغيرة فاكتبوا لناسببه وهو امامن عدم اعتنائكم اومن تشويشكم واى تشويش لكم هل هو طبيعى اوعارض وحاصل الكلام انكم تكتبون حالتكم كما هى عليه حتى نفهم ماعندكم وهذا مطلوبنا منكم فاقرؤا هذا الامر مجتمعين وافهموا مقصود هذه الارادة * قد كتب هذا الامر فى ديوان مصر فى مجلسنا فى اسكندرية بمنه تعالى فتى وصلكم امرنا هذا فاعملوا بموجبه وتجنبوا وتحاشوا عن خلافه (خمسة فى ربيع الاول سنة ١٢٤٥ خمسة واربعين بعد الالف والمأتين من الهجرة) انتهت صورة المكتوب * ومن وقت هذا المكتوب صرنا نكتب كل شهر جميع ماقرأناه وما تعلمناه فى ذلك الشهر ويكتب تحته المعلمون اسماءهم ويبعثونه الى ولى النعم فلما تساهل بعض منا فى ذلك كتب مسيو جومار الينا جميعا مكاتيب ليأمر من كان مواظبا على كتابة هذه الاوراق فى كل شهر أن يدوم على مواظبته ويوبخ من تساهل وهذه صورة ترجمة المكتوب الذى ارسله الى فى هذا المعنى ولنذكره كما هو باريس ١٥ فى شهر يونيه ٢٥ فى شهر محرم سنة ١٢٤٦ الى محبنا العزيز الشيخ رفاعة لايخفى عليكم الامر الوارد من ولى النعم المتعلق بالاوراق الشهرية المشتملة على الدروس التى قرأتموها فادم على ما انت عليه من المواظبة وابعث هذه الاوراق فى اليوم الثلاثين كل شهر لمسيو المهردار افندى واطلب منه اوراقا غير مكتوبة لتكتبها بعد ذلك ومن المعلوم أن هذه الورقة الشهرية لاتأخذ فى كتابتها الانصف ساعة لأن الغرض منها مجرد ضبط عدد الدروس التى قرأتها ومعرفة نوعها وليكتب رئيس مدرستك فى كل شهر فى الورقة الشهرية تحت اسمك ولايخفى على اجتهادك ولا اجهل قدر ثمرة تحصيلك فأطلب منك أن تواظب على توفية الحقوق التى كلفت بها واعلم وتيقن بمحبتى لك * جومار احد ارباب ديوان الانسطيطوت

الفصل الرابع فى بعض مراسلات بينى وبين بعض من كبار علماء الفرنساوية غير مسيو جومار

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

ثم من كاتبني عدة مرات مسيو دساسي ولنذكر لك بعض مكاتيبه فمنها ما كتبه
باللغة العربية ومنها ما كتبه باللغة الفرنساوية * صورة مكتوب منه من الفقير
الى رحمة ربه سبحانه وتعالى الى المحب العزيز المكرم والاخ المعز المحترم الشيخ الرفيع
رفاعة الطهطاوى صانه الله عز وجل من كل مكروه وشر وجعله من ذوى
العافية واصحاب السعادة والخير اما بعد فان القطعة التى اكملت المطالعة فيها من
كتابك النفيس وحوادث اقامتك فى باريس رددتها اليك على يد غلامك ويصلك
صحبتها حاشية منى على ما تقوله فى باب تصريف الفعل فى لغتنا الفرنساوية
فاذا نظرت فيها تبين لك صحة ما نستعمله من صيغة الفعل الماضى فمن الواجب
عليك أن تصنف كتابا يشتمل على نحو اللغة الفرنساوية المتداولة عند امم اوربا
كلها وفى ممالكها حتى يهتدى اهل مصر الى موارد تصانيفنا فى فنون العلوم
والصناعات ومسالكها فانه يعود لك فى بلادك اعظم الفخر ويجعلك عند القرون
الآتية دائم الذكر ودمت سالما * كتبه المحب سلوستري دساسى انتهى

صورة مكتوب آخر الى حبيبنا الشيخ رفاعة الطهطاوى حفظه الله وابقاه
اما بعد فانه سيصلك مع هذا ما طلبته منا من الشهادة بأننا قرأنا الكتاب المشتمل
على حوادث سفرك وكل ما امعنت فيه النظر من اخلاق الفرنساوية وعوايدهم
وسياساتهم وقواعد دينهم وعلومهم وآدابهم وجدناه مليحا مفيدا يروق الناظر
فيه ويعجب من وقف عليه ولا بأس أن تعرض خط يدنا على مسيو جومار
وان شاء الله يحصل لك بمصنفك هذا حظوة عند حضرة سعادة الباشا وينعم
عليك بما انت اهله ودمت على احسن حال * محبك الداعى سلوستري دساسى
الباريزى وصحبة هذا المكتوب ارسل الى ورقة باللغة الفرنساوية لاطلع عليها
مسيو جومار وهى بالتقريظ اشبه وصورة ترجمتها لما اراد مسيو رفاعة
أن اطلع على كتاب سفره المؤلف باللغة العربية قرأت هذا التاريخ الا اليسير منه
فحق لى أن اقول انه يظهر لى أن صناعة ترتيبه عظيمة وأن منه يفهم اخوانه
من اهل بلاده فهما صحيحا عوايدنا وامورنا الدينية والسياسية والعلمية ولكنه
يشتمل على بعض اوهام اسلامية ومن هذا الكتاب يعرف علم هيئة العالم

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

وبه يستدل على أن المؤلف جيد النقد سليم الفهم غير أنه ربما حكم على سائر
اهل فرانسا بما لا يحكم به الا على اهل باريس والمدن الكبيرة ولكن هذه نتيجة
متولدة ضرورة من حالته التى هو عليها حيث لم يطلع على غير باريس وبعض
المدن وقد احرص فى باب العلوم على ذكر المعلومات توطئة للتوصل الى
المجهولات خصوصا فى نبذته المتعلقة بعلم الحساب و بهيئة الدنيا وعبارة
هذا الكتاب فى الغالب واضحة غير متكلف فيها التعميق كما يليق بمسائل
هذا الكتاب وليست دائما صحيحة بالنسبة لقواعد العربية ولعل سبب ذلك
أنه استعجل فى تسويده وانه سيصلحه عند تبييضه وفى التكلم على علم الشعر
ذكر استطرادا بعض اشعار عربية اجنبية من موضوع هذا الكتاب على
مايظهر لى لكنه ربما اعجب ذلك اخوانه من اهل بلاده وفى الكلام على تفضيل
الصورة المدورة على غيرها من الاشكال ذكر بعض اشياء قليلة الجدوى فينبغى
له حذفها وما ذكرت هذه الاشياء و بينتها هذا التبيين الا للاعلام بأنى دققت
النظر فى قراءتى هذا الكتاب وبالجملة فقد بان لى أن مسيو رفاعة احسن
صرف زمنه مدة اقامته فى فرانسا وانه اكتسب فيها معارف عظيمة وتمكن منها
كل التمكن حتى تأهل لأن يكون نافعا فى بلاده وقد شهدت له بذلك عن طيب
نفس وله عندى منزلة عظيمة ومحبة جسيمة * البارون سلوسترى دساسى
باريس فى شهر فبريه سنة ١٨٣١ (١٩ فى شعبان سنة ١٢٤٦)

وصورة ترجمة مكتوب كتبه لى قبيل خروجى من مدينة باريس بعد
اهداء السلام الى مسيو رفاعة يحصل لى حظ عظيم اذا جاء عندى يوم الاثنين
الآتى والساعة فى ٣ ان امكنه أن يسرنى برؤيته له لحيظات لطيفة ويحصل لى
ايضا غاية الانبساط اذا بعث لى اخباره بعد وصوله الى القاهرة فاذا لم يتيسر لى
رؤيته طلبت له طريق السلامة ولا ازال اتذكر دائما آثاره وأستنشق اخباره
مع انجذاب قلب وانشراح صدر * البارون سلوسترى دساسى

وصورة ما كتبه مسيو كوسين دى برسوال مدرس اللغة العربية المتداولة
فى المحاورات المشهورة باسم الدارجة عند العامة بدار كتب خانة السلطانية

بباريس

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

بباريس وكنت كتبت له أن يبعث لى رأيه فى هذه الرحلة فكتب هذا الجواب
وصورته حضرة المحب العزيز الاكرم الفصيح اللسان والقلم جناب الشيخ رفاعة
المحترم حفظه الله امين بعد اهداء آنكم جزيل السلام ومزيد التحية والاكرام
فقد ورد علينا عزيز مكتوبكم البارحة فبادرنا بقضاء حاجتكم فواصل لكم
طية تحرير تحتوى على رأينا فى كتاب حوادث سفركم الذى تفضلتم علينا
باطلاعنا عليه وبالحقيقة قلنا مثل ماهو اعتقادنا وشرحنا ماوجدنا فيه
من المحاسن واما بخصوص المدام فالقينا من ذلك شيأ وحيث انكم عازمون
على السفر فى آخر هذا الشهر فالمأمول من حسن محبتكم انكم بعد وصولكم
بالسلامة الى بلادكم لاتخرجونا من خاطركم وتواصلونا بالاعلام بصحتكم
ونترجاكم ايضا انه اذا طبع كتابكم تبعثوا لنا منه نسخة وبذلك تصيرونا ممنونين
ولأفضالكم شاكرين والله تعالى يحفظكم والسلام محبكم كوسين دى برسوال
٢٤ شباط سنة ١٨٣١

والمراد بطية التحرير ورقة شهادته بانه اطلع على هذا الكتاب وقال رأيه فيه
وصورة ترجمة هذه الطية التى كتبها لمسيو جومار باللغة الفرنساوية ليخبره
برأيه فى هذه الرحلة قرأت بالتأمل مؤلف الشيخ رفاعة الملقب بتخليص الابريز
فى تلخيص باريز فوجدته يتضمن حكاية صغيرة فى سفر المصريين المبعوثين الى
فرانسا من طرف وزير مصر الحاج محمد على باشا وتشتمل على تخطيط مدينة
باريز وعلى نبذات موجزة فى جملة فروع من العلوم المطلوبة التعليم من هؤلاء
التلامذة وقد ظهر لى أن هذا التأليف يستحق كثيرا من المدح وانه مصنوع
على وجه يكون به نفع عظيم لأهالى بلد المؤلف فانه اهدى لهم نبذات صحيحة
من فنون فرانسا وعوايدها واخلاق اهلها وسياسة دولتها ولما رآى أن
وطنه ادنى من بلاد اوربا فى العلوم البشرية والفنون النافعة اظهر التأسف على
ذلك واراد أن يوقظ بكتابه اهل الاسلام ويدخل عندهم الرغبة فى المعارف
المفيدة ويولد عندهم محبة تعلم التمدن الافرنجى والترقى فى صنايع المعاش
وماتكلم عليه من المبانى السلطانية والتعليمات وغيرها اراد أن يذكر به لاهالى
بلده أنه ينبغى لهم تقليد ذلك ومانظر فيه فى بعض العبارات يدل فى الغالب

على سلامة عقله وخلوه من التعسف والتحامل وعبارة هذا الكتاب بسيطة
اى غير متكلف فيها التعميق ومع ذلك فهى لطيفة وحين كانت نسخة هذا الكتاب
بيدى كان الجزء الذى يتعلق بالعلوم والفنون غير تام فما رأيت منه الا نبذة
فى الرياضيات وعلم هيئة الدنيا ومبادى اصول الهندسة والجغرافيا الطبيعية
فهذه النبذات وان كانت موجزة الا أنها مشبعة فيترجى أن المؤلف يدوم على
تأليف النبذات الباقية بهذه المثابة واذا اجتمعت هذه النبذات فى هذا الكتاب
فانها تكون كتاب علوم مستقل مفتاحا لغيره من العلوم نافعا لاهل العربية
واذا فرغ الكتاب بهذه الطريقة فانه يستدل به على رفعة عقل مؤلفه واتساع
دائرة معرفته * كوسين دى برسوال * فاذا قابلت هذا المكتوب مع ما تقدم
رأيت أن مسيو دساسى ومسيو كوسين اتفقا على حسن هذا الكتاب وعلى
بساطة عبارته اى عدم التأنق فيها وعلى نفعه لاهل مصر وانما مسيو دساسى
عابه بثلاثة اشياء الاول اشتماله على بعض مسائل يعتقد أنها من اوهام
الاسلام الثانى جعلنا ما ينسب لمدينة باريس وغيرها من المدن عاما لسائر بلاد
فرانسا الثالث ذكرنا بعض اشياء قليلة الجدوى عند تفضيل الشكل المدور
على غيره من الاشكال واما مسيو كوسين فانه لم يتعرض لما جعله مسيو دساسى
من باب الاوهام ولما تحدثت معه فى شأن ذلك اجابنى بأنه لم ير ذلك مضرا
حيث انى كتبت على ما هو فى اعتقادى والا لو تتبعت ما قاله الافرنج ووافقت
آراءهم للعلماء او غيره لكان ذلك محض موالسة واما قوله كمسيو دساسى
ان عبارة هذا الكتاب بسيطة فمعناه أن تراكيبه لم يحاول فيها سلوك طريق
البلاغة يقال عند علماء الفرنساوية عبارة بسيطة فى مقابلة العبارة البليغة
ولنذكر لك هنا رسالة من شخص كان بينى وبينه محبة اكيدة وصورة اجتماعى
بهذا الشخص انى دخلت مكتبة لقراءة الكازيطات اى الوقايع اليومية
فتعرفت بهذا الشخص الذى هو محاسبجى فى وزارة الخزينة المالية واخوه
مامور دبرطمانه يعنى اقليما من اقاليم الفرنساوية وهو من بدنة عظيمة تسمى
السلادانية نسبة الى سلادان يعنى صلاح الدين يتوهمون أنهم ينتسبون

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

الى السلطان صلاح الدين الايوبى قائلين انه يحتمل أن يكون حين محاربته
مع الافرنج تسرّى بفرنساوية فحملت منه ثم انطلقت الى بلادها فبقى الاسم
فى اولادها وذراريها الى الآن ثم انى كما تعرفت به تعرفت بسائر اقاربه ولازلت
معهم على الصحبة الاكيدة مدة اقامتى فى باريس فلما سافرت كان عند
اخيه المأمور فى اقليم الترك فى مدينة يقال لها البى فارسل الى هذا المكتوب
وهذه صورة ترجمته مع بعض حذف جائز * (الى حضرة عزيزنا الشيخ رفاعة
قد سلمت امانتك لابن شيخ المأمورية ليعطيها لك فانتظرها بعد وصول
هذا المكتوب بزمن يسير وقد وكلنى اخى بأن اخبرك بثنائه عليك على ماصنعته
معه من الجميل فى اعارتك له هذه الامانة وأن اهنيك على بلوغك المأمول هل
عن قريب تفارقنا لترى وطنك العزيز فان شاء الله تجتمع بما تركته فيه
من الاقارب والاحباب وتجده بخير فقد بلغنى أن سفرك قد قرب جدا حتى اننى
لا اظن أن اقابلك فى مدينة باريس ولكن لو سافرت قبل هذا الزمن بيسير
لاجتمعنا فى مرسيليا وودعتك فى آخر مدينة من مدن الفرنساوية تعبر فيها
فى سفرك ولو تأخر سفرك مدة يسيرة لافترقنا فى مدينة باريس التى كان بها اول
اجتماعنا ولا ادرى ان كان التلاقى مقدرا ام لا ولكن تقلبات الدهر كثيرة
خصوصا للافرنج فلا يمكننى أن اجزم بعدم الاجتماع وبالجملة فلا شك أنك
تركت فى فرانسا صديقا يتذكرك ويتأثر بما يقع لك من النفع والضر ويسر
غاية المسرة اذا بلغه انك تحظى فى بلادك بثمرة فضلك واوصافك وليت شعرى
ترجع الى بلادك بأى اعتقاد فى طبيعة الفرنساوية فقد رأيت هذه الملة
فى وقت ينبغى أن يكون تاريخا من غرائب سيرها واظن أنك تسئل فى بلادك
مرارا عديدة عن هذه الفتنة العظيمة ونصرة الفرنساوية فى طلب الحرية فاذا
وقع اتفاقا أن سفرك توقف مدة ايام فمأمولى أن اراك فى مدينة باريس
والا فارجو منك أن لا تسافر حتى تودعنى بلسان القلم بمحبتى لك غاية المحبة)
انتهت صورته * جول سلادان
وهذه صورة مكتوب تفهم منه ايضا رغبة الفرنساوية فى تحصيل الكتب

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

الغريبة وترغيبهم للمؤلفين او المترجمين فى ترجمة الكتب وتأليفها وهذه صورة ترجمة هذا المكتوب * (الى مسيو الشيخ رفاعة قد حملنى مسيو دبنغ أن اسأل عن ترجمتك لكتاب العلوم الصغير المشتمل على اخلاق الامم وعوايدهم وآدابهم لأن مسيو دبنغ مؤلف هذا الكتاب فاذا كانت ترجمتك تنطبع فى مصر هل يتيسر لمؤلف الاصل أن يقيد اسمه لتحصيل عدة نسخ من نسخ هذا الكتاب بالشراء ونعرفك أنك تخبرنا الى اى محل وصلت فى الترجمة من المجلد الاول من جغرافيا ملطبرون فان هذا الجزء الآن يطبع طبعا آخر مصححا مشتملا على زيادات لا توجد فى الاول فلا بأس أن نحيطك به علما فانه يكمل طبعه فى اثناء هذا الشهر ومنى اليك مزيد التحية) * محبك الصادق رنو بخزانة الكتب السلطانية بباريز

الفصل الخامس فى ذكر ما قرأته من الكتب فى مدينة باريس وفى كيفية الامتحانات وفيما كتبه لى مسيو جومار وفيما كتب من خلاصة الامتحان الاخير فى الوقائع العلمية وأذكر هنا ما قرأته مرتبا بهذا الترتيب وان تكرر مع ما سبق

تعليم اصول نحو اللغة الفرنساوية

كان خروجنا من الكرنتينة فى السابع والعشرين من شهر شوال سنة ١٢٤١ وبعد ايام قليلة فى مرسيليا ابتدأنا فى التهجى والقراءة وبعد نحو أربعين يوما تعلمنا الحروف الفرنساوية والتهجى ووصلنا باريس فى شهر محرم فرجعنا ثانيا للابتداء فى اصول الهجاء واشتغلنا بذلك نحو شهر ثم ابتدأنا جميعا فى قراءة اجرومية لومند فى نحو اللغة الفرنساوية وكان المعلم يضيف اليها من اجرومية اخرى ما يحتاج اليه الحال فلما خرجت من بيت الافندية قرأت مع مسيو شواليه اجرومية اخرى ومع معلم آخر يسمى لونرى اجروميتين وفى كل من البيتين يعنى بيت الافندية وبيت المعلم كنت اشتغل بالاعراب النحوى والاعراب المنطقى يعنى تطبيق الكلام على قواعد النحو وقواعد المنطق وبالاملاء والانشاء والقراءة ولازلت على ذلك ثلاث سنوات

علم

علم التاريخ

ابتدأنا في بيت الافندية حين كنا معا بكتاب سير فلاسفة اليونان فقرأناه وتممناه ثم ابتدأنا بعده في كتاب تاريخ عام مختصر مشتمل على سير قدماء المصريين والعراقيين واهل الشام واليونان وقدماء العجم والرومانيين والهنود وفي آخره نبذة مختصرة في علم الميثولوجيا يعني علم جاهلية اليونان وخرافاتهم ثم قرأت عند مسيو شواليه كتابا يسمى لطائف التاريخ يتضمن قصصا وحكايات ونوادر ثم بعده قرأت كتابا يسمى سير اخلاق الامم وعوايدهم وآدابهم ثم تاريخ سبب عظم دولة قياصرة الروم وانقراضها ثم كتاب رحلة انخرسيس الاصغر الى بلاد اليونان ثم قرأت كتاب سيغور في التاريخ العام ثم سيرة نابليون ثم كتابا في علم التواريخ والانساب ثم كتابا يسمى بانوراما العالم يعني مرآة الدنيا ثم رحلة صنفها بعض المسافرين في بلاد الدولة العثمانية ثم رحلة في بلاد الجزائر

علم الحساب والهندسة

قرأت في الحساب كتاب بزوت وفي الهندسة المقالات الاربع الاول من كتاب لوچندره

علم الجغرافيا بانواعها

قرات مع مسيو شواليه كتاب جغرافية يشتمل على الجغرافية التاريخية والطبيعية والرياضية والسياسية ثم قرأت رسالة اخرى في الجغرافية الطبيعية مقدمة لقاموس في الجغرافية يعني معجم البلدان ثم قرأت الكتاب الاول بعينه مع معلم آخر غير مسيو شواليه وقرأت ايضا مع مسيو شواليه جملا عظيمة من جغرافية ملطبرون ورسالة ألفها التعليم بنته في هيئة الدنيا وقرأت وحدي مؤلفات عديدة في هذا الفن

فن الترجمة

ترجمت مدة اقامتي في فرانسا اثني عشر كتابا وشذرة يأتي ذكرها في اخر هذا الكتاب يعني اثني عشر مترجما بعضها كتب كاملة وبعضها نبذات صغيرة الحجم

كتب فى فنون مختلفة

قرأت كتابا فى علم المنطق الفرنساوى مع مسيو شواليه ومسيو المونرى وعدة مواضع مع كتاب ليبرترواياال من جملتها المقولات وكتابا آخر فى المنطق يقال له كتاب قند لياق غير فيه منطق ارسطو وقرأت مع مسيو شواليه كتابا صغيرا فى المعادن وترجمته وقرأت كثيرا من كتب الادب فمنها مجموع نوبل ومنها عدة مواضع من ديوان ولتير وديوان رسين وديوان رسو خصوصا مراسلاته الفارسية التى يعرف بها الفرق بين آداب الافرنج والعجم وهى اشبه بميزان بين الآداب المغربية والمشرقية وقرأت ايضا وحدى مراسلات انكليزية صنفها القونة شسترفيلد لتربية ولده وتعليمه وكثيرا من المقامات الفرنساوية وبالجملة فقد اطلعت فى آداب الفرنساوية على كثير من مؤلفاتها الشهيرة وقرأت فى الحقوق الطبيعية مع معلمها كتاب برلماكى وترجمته وفهمته فهما جيدا وهذا الفن عبارة عن التحسين والتقبيح العقليين يجعله الافرنج اساسا لاحكامهم السياسية المسماة عندهم شرعية وقرأت ايضا مع مسيو شواليه جزءين من كتاب يسمى روح الشرائع مؤلفه شهير بين الفرنساوية يقال له منتسكيو وهو أشبه بميزان بين المذاهب الشرعية والسياسية ومبنى على التحسين والتقبيح العقليين ويلقب عندهم بابن خلدون الافرنجى كما أن ابن خلدون يقال له عندهم ايضا منتسكيو الشرق اى منتسكيو الاسلام وقرأت ايضا فى هذا المعنى كتابا يسمى عقد التأنس والاجتماع الانسانى مؤلفه يقال له روسو وهو عظيم فى معناه وقرأت فى الفلسفة تاريخ الفلاسفة المتقدم المشتمل على مذاهبهم وعقائدهم وحكمهم ومواعظهم وقرأت عدة محال نفيسة فى معجم الفلسفة للخواجه ولتير وعدة محال فى كتب فلسفة قند لياق وقرأت فى فن الطبيعة رسالة صغيرة مع مسيو شواليه من غير تعرض للعمليات وقرأت فى فن العسكرية من كتاب يسمى عمليات ضابطان عظام مع مسيو شواليه مائة صحيفة وترجمتها وقرأت كثيرا فى كازيطات العلوم اليومية والشهرية وفى كازيطات السياسات اليومية التى تذكر كل يوم ما يصل خبره من الاخبار الداخلية والخارجية المسماة البولوتيقة وكنت متولعا

بها

بها غاية التولع وبها استعنت على فهم اللغة الفرنساوية وربما كنت اترجم منها مسائل علمية وسياسية خصوصا وقت حرابة الدولة العثمانية مع الدولة الموسقوبية ولنذكر لك هنا ترجمتنا رسالة فرضية من فرنساوى متطوع بالخدمة فى معسكر الموسقو حررها من مدينة شملا القريبة من جبل بلقان الى بعض امراء الالوية بمدينة باريس تاريخها اثنان وعشرون من يولية الافرنجى سنة ١٨٢٨ من الميلاد اعلم يا محبنا أن هذه اول مرة التحم فيها صفنا مع الصفوف الاسلامية من منذ وصولنا الى العساكر الموسقوبية ثم ان سائر ما رأيته مما يذهل العقول ويحير الالباب تقصر عنه العبارة كيف وهو أمر غريب بالنسبة الى مثلى فلو كنت مثل جنابكم من العسكر المقترن على الحروب سافرت فى غزوة مصر ورأيت واقعة ابى قير وحصار مدينة عكا لما حار لبى حين رأيت شيأ جديدا لم أكن عاينته قبل ذلك مما يكل عنه الوصف ولكن تأمل يا أخى فى أمرى حيث انى قد كنت فى خفر ملكنا وخرجت من مكتب سنسير ولم أحضر من الوقائع الا وقعة الاندلس فلم أشعر الا أن وجدت نفسى قدام جبل بلقان بعد أن جبت البرارى والقفار وعاينت المشاق بتهديد اهلها لنا وتخلصهم منا وادهاشهم بجيوشنا وانظر فى استعجابى وذهاب صوابى حين خرجت الفوارس التركية متصافة صفوفا عجيبة للحروب الاسلامية بأعلى شملا وقد وصل الى شريف علمكم من دفتر علم الموسقو تفصيل هذه الواقعة وشرح احوال الجم الغفير من عساكرنا والخبر بأنها صارت ضائعة وقد شاهدت بعينى رأسى سوء ميتة المير الاى باردى الموسقوبى بحالة رديئة حيث انقسم نصفين بضربة مدفع تركية ومن الآن فقط ظهرت صعوبة هذه الحرابة وطول مدتها لا يبعد من الغرابة وان كان بعساكرنا شجاعة وصلابة فى الحروب فعساكر الاسلام لها مصادمة قوية بمعزل عن الهروب وهذه المصادمة هى التى تستسهل الخطر وتخترق الموانع لبلوغ الوطر ينتج منها ثمرتان الاولى انها تلقى الحيرة فى عقول الرجال والثانية ان عاقبتها دائما تفرغ الفزع فى قلوب الاعداء ولو كانوا من الابطال ولو شاهدت عيناك ما شاهدته من أن الفرسان العثمانية تروع

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

الانسان بمجرد منظرها المرعب وبسرعة اقتحامها المدهش المعجب ومشيها على صوت الالحان الوحشية وصهيل الخيول الكردية ونزولها كالصواعق على المشاة الموسقوبية لحكمت مثلى بأن هذه الحرابة تطول وأن اضطرام نارها قل أن يزول أوليس أن للدولة العثمانية فرسانا عظيمة مرتبة بترتيب عجيب وهمة علية بنظام غريب اوهل ينكر أحد أن رجالهم متمرنون على ركوب الخيل وان خيولهم على أصل خلقتهم الوحشية طائعة لسيدها فى الاقدام والاحجام يبالغ عليها فى الحرابة المقصود والمرام فياويح العساكر القرابة التى يلتحم صفها بصف هذه الخيول المركوبة لهؤلاء الفحول الذين لهم زيادة عن قوتهم الجهادية دعامة غيرتهم الاسلامية والوطنية وهذه مزية لا توجد يقينا فى عساكر الموسقو ثم ازدحام الخلائق فى أوقات الحروب له تدبير صحيح ولكن فى هذه الواقعة لا يجهل انسان ولو كان من القزاق ان الفخر لعساكر الاسلام وهذا الخبر ربما ظهر لك انه عجيب من مثلى خصوصا وانا قد جئت متطوعا فى عسكر الموسقو لاشاركهم فى اقتحام الاخطار واقتسم معهم الفخار ولكن لما وصلت الى هنا ظهر لى أن الظن قد خاب وانى قد حدت عن الصواب ورأيت اعداءنا الذين كنا نتهمهم بحقارة الرتبة والرداءة هم الليوث الضراغم ليس لهم شئ من الدناءة بل هم اقرب الى قبول التأدب والظرافة من الافرنج * واعلم يا أخى أن غيرتى على خلاص الاروام من يد العثمانية لم تنقص شيأ ولكن أقول ليت شعرى هل تلزم الغارة على اسلامبول فى خلاصهم أوليس مما يتحسر عليه أن ما خسرناه فى اخذ مدينة ابرائل من العساكر كان يكفى وحده فى فك أسر الاروام وتحرير رقابهم وتقليل سفك دمائنا بعساكر الاسلام وقد أسرنا عن قريب أحد ضباط العساكر العثمانية وكان شابا بديع الصورة كثير الجروح فعفا عساكرنا عن قتله ولم يكن ذلك لغيره ورقوا الملاحته وجراحته فخاطبته باللغة الايطاليانية ففهم مقالى وأجاب سؤالى وأخبرنى بأن أباه له من العمر الآن ثمانون سنة وله أخوان فى خدمة حسين باشا لا يشك فى نصرة الدولة العثمانية بل يقول ان الترك يصلون الى موسقو واعلم يا أخى أن فى شملا نحو مائتى ألف محارب و يتجدد

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

عليها كل يوم وسلطانهم بطل عظيم عن يقين وها أنا الآن أطوى لك كتابى لاضع قدمى فى ركابى فالآن عساكر الاعداء تحارب فى طليعة جيشنا وانا بين دوى ألحان الترك وعجيج أصوات الروس غريق وهذه حرابة مهولة ان نظرت بعين التحقيق

(الفصل السادس)

فى الامتحانات التى صنعت معى فى مدينة باريس خصوصا فى الامتحان الاخير الذى أعقبه رجوعى الى مصر * اعلم أن من عادة الفرنساوية أن لا يكتفوا فى العلم بمجرد شهرة الانسان بالفهم او الاجتهاد او بمدح المعلم فى المتعلم بل لا بد عندهم من أدلة واضحة محسوسة تفيد الحاضرين فى الامتحان قوة الانسان والفرق بينه وبين أمثاله وهذا انما يكون بالامتحانات العامة يحضرها العام والخاص بدعوة مثل دعوة الولائم عادة وهنالك امتحانات خاصة وهى أن يمتحن المعلم تلامذته كل اسبوع او شهر ليعلم قوة زيادتهم فى ذلك الاسبوع او الشهر وليكتب مفاد ذلك الى آبائهم فكان فى البنسيونات بهذه المثابة وكل سنة يصنع معنا الامتحان العام بحضور أعيان الفرنساوية فأول بحث صنع معنا كان اغلبه ومداره على اللغة الفرنساوية وقد جرت العادة عندهم بأنهم يعطون هدية امتحان للبارعين فى الجواب المتميزين عن غيرهم ففى أول امتحان عام بعث لى مسيو جومار كتابا يسمى رحلة انخرسيس فى بلاد اليونان سبعة مجلدات جيدة التجليد مموهة بالذهب يصحبها هذا المكتوب الذى صورته مترجما * اول يوم من شهر أغسطس سنة ١٨٢٧ من الميلاد قد صرت مستحقا الهدية اللغة الفرنساوية بالتقدم الذى حصلته فيها وبالثمرة التى نلتها فى الامتحان العام الأخير ولقد حق لى أن اهنى نفسى بارسالى لك هذه الهدية من طرف الافندية النظار دليلا على التفاتك فى التعليم ولاشك أن ولى النعمة يسر متى اخبر أن اجتهادك وثمرة تعلمك يكافئان المصاريف العظيمة التى يصرفها عليك فى تربيتك وتعليمك وعليك منى السلام مصحوبا بالمودة وقوله فى الامتحان الاخير المراد انه آخر بالنسبة لما قبله من الامتحانات الخصوصية * وهدية الامتحان تشبه أن تكون جائزة مثل جائزة الشعراء او هى كقصب السبق وفى الامتحان

العام الثانى بعث لى كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور تأليف مسيو دساسى وصحبته هذا المكتوب * وصورته مترجما باريس ١٥ شهر مارث سنة ١٨٢٨ من الميلاد قد صرت مستحقا الهدية النحو الفرنساوى بالتقدم الذى حصلته فى هذه اللغة وبالثمرة التى نلتها فى الامتحان العام الاخير ولقد سرنى انك صرت مستحقا أن أبعث لك علامة السرور ومنك تشويقا لك وها أنا باعث جدول امتحانك لولى النعم باجتهادك وفلاحك ولا شك انه يسر بأنك تشتغل مع ثمرة وأنك أهل لرعايته لك واعتنائه بتربيتك وتعليمك وعليك منى السلام وفى هذين الامتحانين أخذت هدية الامتحان واما صورة الامتحان الاخير الذى به رجعت الى مصر أن مسيو جومار جمع مجلسا فيه عدة اناس مشاهير ومن جملتهم وزير التعليمات الموسقو بى رئيس الامتحان وكان القصد بهذا المجلس معرفة قوة الفقير فى صناعة الترجمة التى اشتغلت بها مدة مكثى فى فرانسا وصورة ما تحصل من الامتحان وكتبه الفرنساوية فى وقائع العلوم ما نصه وصورة التلميذ رفاعة انه قرئ فى المجلس دفتران الدفتر الاول يشتمل على تعديد اثنى عشرة ترجمة من اللغة الفرنساوية الى العربية ترجمها المذكور منذ سنة وهذه اسماؤها * الاول نبذة فى تاريخ اسكندر الاكبر مأخوذة من تاريخ القدماء * الثانى كتاب اصول المعادن * الثالث رزنامة سنة ١٢٤٤ من الهجرة ألفه مسيو جومار لاستعمال مصر والشام متضمنا الشذرات علمية وتدبيرية * الرابع كتاب دائرة العلوم فى اخلاق الامم وعوايدهم * الخامس مقدمة جغرافية طبيعية مصححة على مسيو دهنبلض * السادس قطعة من كتاب ملطبرون فى الجغرافية * السابع ثلاث مقالات من كتاب لجندر فى علم الهندسة * الثامن نبذة فى علم هيئة الدنيا * التاسع قطعة من عمليات ضابطان عظام * العاشر اصول الحقوق الطبيعية التى تعتبرها الافرنج اصلا لاحكامهم * الحادى عشر نبذة فى الميثولوجيا يعنى جاهلية اليونان وخرافاتهم * الثانى عشر نبذة فى علم سياسات الصحة * الدفتر الثانى يشتمل على رحلته وذكر سفره ثم أحضر له عدة كتب مطبوعة فى بولاق فترجم منها مواضع بسرعة الى اللغة الفرنساوية

ثم قرأ بالفرنساوى مواضع منها ما هو صغير ومنها ما هو كبير فى كازيطة مصر
المطبوعة فى بولاق ثم بحث معه فى ترجمة العمليات العسكرية المترجمة له فكان
بعض الحاضرين بيده الاصل الفرنساوى والشيخ بيده الترجمة ثم انه يترجم
العربية بالسرعة الى الفرنساوية قراءة لا كتابة ليقابل عبارة الترجمة مع عبارة
الاصل وقد تخلص على وجه حسن من هذا الامتحان فأدى العبارات حقها
من غير تغيير فى معنى الاصل المترجم ولكن ربما أحوجه اصطلاح اللغة العربية
أن يضع مجازا بدل مجاز آخر من غير خلل فى المعنى المراد مثلا فى تشبيه اصل
علم العسكرية بمعدن مشبع يستخرج منه كذا غير العبارة بقوله العسكرية بحر
عظيم تستخرج منه الدرر وقد اعترض عليه فى الامتحان بأنه بعض الاحيان قد
لا يكون فى ترجمته مطابقة تامة بين المترجم والمترجم عنه وانه ربما كرر وربما
ترجم الجملة بجمل والكلمة بجملة ولكن من غير أن يقع فى الخلط بل هو دائما محافظ
على روح المعنى الاصلى وقد عرف الشيخ الآن انه اذا اراد أن يترجم كتب علوم
فلا بد له أن يترك التقطيع وعليه أن يخترع عند الحاجة تغييرا مناسبا للمقصود
وقد امتحن فى كتاب آخر وهو مقدمة القاموس العام المتعلقة بالجغرافية
الطبيعية وهذا الكتاب ترجمه هو الى العربية ولما كان وقت ترجمة هذا الكتاب
لم يصل الى درجته الآن فى اللغة الفرنساوية كانت ترجمته دون ترجمة الكتاب
الذى بحث معه فيه قبله وكان عيبه أنه لم يحافظ على تأدية عبارة الاصل بجميع
اطرافها وعلى كل حال فلم يغير فى المعنى شيأ بل طريقته فى الترجمة كانت
مناسبة فتفرق اهل المجلس جازمين بتقدم التلميذ المذكور ومجمعين على انه يمكنه
أن ينفع فى دولته بأن يترجم الكتب المهمة المحتاج اليها فى نشر العلوم والمرغوب
فى تكثيرها فى البلاد المتمدنة ولا شك أن بعض هذه الكتب قد يحتوى على اشكال
وأحمد افندى العطار من اهل بلاده يشتغل بالطباعة على الاحجار لاجل ذلك
وقد كان حاضرا فى المجلس فقدم لاهل المجلس عدة عينات مطبوعة بيده على
الحجر من تصوير وكتابة عربية وفرنساوية وقد ابتدأ فى معرفة تسيير الشوكة
للنقش والقلم للكتابة وقلم الشعر لكتابة التصوير وفى تصويره انه توجد حيوانات

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

وامور عمارات وغير ذلك من الامور المصنوعة بالخطوط من غير ظل ولكنه جاء فى فرانسا كبير السن فلم يمكنه أن يصور تصويرا صحيحا خاليا عن جميع العيوب ولكن يمكنه أن يعرف معرفة تامة طريق الطباعة على الحجر علما وعملا و ينسخ عينات التصوير التى تعطى له و يطبعها بنفسه عند الحاجة ويمكنه أن يتأهل لفتح دار لطباعة الحجر ونظارتها وقد ترجم مختصرا فى صناعة الطباعة بالحجر وكتبها على الحجر وطبعها بيده وكانت نسخة منها موضوعة على باش تختة مسيو جومار انتهى كلام كازيطة دائرة العلوم وكتب لى مكتوب تهنئة برجوعى الى مصر بعد تحصيل المرام غير أن هذا المكتوب قد ضاع منى وكان لا بأس بذكره هنا وصورة ترجمة ما كتبه لى مسيو شواليه وهو أشبه باجازة وشهادة لى *

وزارة الحرب يقول الواضع اسمه فيه شواليه تلميذ قديم من تلامذة مدرسة العلوم المسماة بلوتكنيقا الضابط المهندس المكتوب فى وزارة الحرب الوكيل من طرف مسيو جومار والافندية النظار بالارشاد الى تعليم مسيو الشيخ رفاعة اشهد أنى مدة نحو الثلاث سنوات ونصف التى مكثها التلميذ المذكور عندى لم أر منه الا اسباب الرضى سواء فى تعلمه او فى سلوكه المملوء من الحكمة والاحتراس وحسن خلقه ولين عريكته وقد قرأ معى فى السنة الاولى اللغة الفرنساوية والقسمغرافيا انتهى وفيما بعدها الجغرافيا والتاريخ والحساب وغير ذلك ولما كان خاليا عن الاستعداد والخفة اللازمين لتعلم الرسم مع ثمرة لم يشتغل به الا مرة فى كل اسبوع لمجرد امتثال اوامر ولى النعم ولكن صرف جهده مع غاية الغيرة فى الترجمة التى هى صنعته المختارة له واشغاله فيها مبينة فى اعلاماتى الشهرية خصوصا فى الجرنالات الاولى التى اعطيتها لمسيو جومار وحسب هذا التلميذ ما فى هذه الاعلامات والجرنالات ومما ينبغى التنبيه عليه أن غيرة مسيو الشيخ رفاعة تناهت به الى أن ادته الى أن شغله مدة طويلة فى الليل تسبب عنه ضعف فى عينه اليسار حتى احتاج الى الحكيم الذى نهاه عن مطالعة الليل ولكن لم يمتثل لخوف تعويق تقدمه ولما رأى أن الاحسن فى اسراع تعلمه أن يشترى الكتب اللازمة له غير ما سمح به الميرى وأن يأخذ معلما

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

آخر غير معلم الميرى أنفق جزأ عظيما من ماهيته المعدّة له فى شراء كتب وفى معلم مكث معه اكثر من سنة وكان يعطيه الدرس فى الحصة التى لا يقرأ معى فيها وقد ظننت انه يجب على وقت سفره أن اعطيه هذا الاعلام الموافق لما فى الواقع ونفس الامر وأن اضيف الى ذلك الافصاح عما فى ضميرى من كمال اعتقاد فضله ومحبته * مسيو شواليه ٢٨ فى شهر فبريه سنة ١٨٣١

المقالة الخامسة فى ذكر ما وقع من الفتنة فى فرانسا وعزل الملك قبل رجوعنا الى مصر وانما ذكرنا هذه المقالة لانها تعدّ عند الفرنساوية من أطيب ازمانهم واشهرها بل ربما كانت عندهم تاريخا يؤرخ منه

الفصل الاول

فى ذكر مقدّمة يتوقف عليها ادراك علة خروج الفرنساوية عن طاعة ملكهم

اعلم أن هذه الطائفة متفرقة فى الرأى فرقتين أصليتين وهما الملكية والحرّية والمراد بالملكية اتباع الملك القائلون بأنه ينبغى تسليم الامر لولى الامر من غير أن يعارض فيه من طرف الرعية بشئ والاخرى تميل الى الحرّية بمعنى انهم يقولون لا ينبغى النظر الا الى القوانين فقط والملك انما هو منفذ للاحكام على طبق ما فى القوانين فكانه عبارة عن آلة ولا شك أن الرأيين متباينان فلذلك كان لا اتحاد بين اهل فرانسا لفقد الاتفاق فى الرأى والملكية اكثرهم من القسوس واتباعهم واكثر الحرّيين من الفلاسفة والعلماء والحكماء وأغلب الرعية فالفرقة الاولى تحاول اعانة الملك والاخرى ضعفه واعانة الرعية ومن الفرقة الثانية طائفة عظيمة تريد أن يكون الحكم بالكلية للرعية ولا حاجة الى ملك أصلا ولكن لما كانت الرعية لا تصلح أن تكون حاكمة ومحكومة وجب أن توكل عنها من تختاره منها للحكم وهذا هو حكم الجمهورية ويقال للكبار مشايخ وجمهور * وشريعة الاسلام التى عليها مدار الحكومة الاسلامية مشوبة بالانواع الثلاثة المذكورة لمن تأملها وعرف مصادرها ومواردها فعلم من هذا أن بعض الفرنساوية يريد المملكة المطلقة وبعضهم يريد المملكة المقيدة بالعمل بما فى القوانين وبعضهم يريد الجمهورية وقد سبق للفرنساوية انهم قاموا سنة ١٧٩٠ من الميلاد

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

وحكموا على ملكهم وزوجته بالقتل ثم صنعوا جمهورية واخرجوا العائلة السلطانية المسماة البربون من مدينة باريس وأشهروهم مثل الاعداء ولازالت الفتنة باقية الاثر الى سنة ١٨١٠ ميلادية ثم تسلطن بونابارته المسمى نابليون وتلقب بسلطان سلاطين ثم لما كثرت محارباته وكثر أخذه للممالك وخيف بأسه وبطشه تعاهد عليه ملوك الافرنج ليخرجوه من المملكة فأخرجوه منها مع محبة الفرنساوية له وأعادوا البربون الى محلهم رغما عن أنف الملة الفرنساوية فكان اول من تسلطن منهم لويز الثامن عشر ولاجل ترغيب الناس فى حكمه وتمكين ملكه صنع قانونا بينه وبين الفرنساوية بشورتهم ورضائهم وألزم نفسه أن يتبعه ولا يخرج عنه وهو الشرطة وقد ذكرناها مترجمة فى باب سياسة الفرنساوية ولاشك أن وعد الكريم ألزم من دين الغريم وقد جعل هذا القانون له ولمن بعده من ورثة مملكة الفرنساوية وانه لا يزاد فيه ولا ينقص الا اذا اتفق عليه الملك وديوان البير وديوان وكلاء الرعية فلابد من الدواوين والملك ويقال انه صنع ذلك على غير مراد أهله واقاربه وهم يحبون التصرف المطلق فى الرعية ويقال انهم تعصبوا عليه وكان رئيس العصبة اخاه كرلوس العاشر حتى انه اطلع على ما اخفاه له فابطله ويقال ان كرلوس العاشر اراد فى كبر لويز الثامن عشر أن ينقض ذلك القانون ويرجع الى طريق اطلاق التصرف فلم يمكنه ذلك ثم بعد موت اخيه اظهر كرلوس الحيلة وابطل ما كان نواه واظهر انه لا يريد شيأ من ذلك وجوز لكل انسان أن يبدى فى الكازيطات رأيه بالكتابة من غير أن ينظر فيه قبل طبعه واظهاره فصدق الناس كلامه واعتقدوا انه لا يخلف وعده بل فرحت سائر الرعية بتدبيره ومشيه على القوانين ثم انه انتهى امره الى أن هتك القوانين التى هى شرائع الفرنساوية وخالفها وقبل هتكه للشريعة بانت منه امارات ذلك بمجرد تقليده الوزارة للوزير بولنياق وهو معلوم المذهب والتدبير يعنى انه يميل الى كون الامر لا يكون الا للملك ويقال ان هذا الوزير هو ابن زنا زنت امه بهذا الملك فولدته منه فهو فى الحقيقة ابوه وشهير بالظلم والجور ومن الحكم التى فى غاية الشيوع ان ظلم الاتباع مضاف الى المتبوع وفى الحديث

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

من سل سيف الجور سل عليه سيف الغلبة ولازمه الهم وقال الشاعر

من انصف الناس ولم ينتصف بفضله منهم فذاك الامير
ومن يرد انصافه مثل ما انصف اضحى ماله من نظير
ومن يرد انصافه وهولا ينصفهم فهو الدنىء الحقير

ولما كان هذا الوزير سابقا بالجيا بلاد الانكليز من طرف الفرنساوية يعنى رسولا للمصالح بين الدولتين كانت الفرنساوية تنسب اليه كل ما خالف مذهب الحرية وكلما شاع عنه أنه راجع الى فرانسا يظن جميع الناس أنه لا يأتى الا ليتقلد منصب الوزارة ويغير القوانين فلذلك كان يبغضه سائر أرباب الحرية واغلب الرعية وقد عرف الفرنساوية من قبل أن اختياره للوزارة كان مقصودا لهم وقد حصل بعد توليته بنحو سنة وقد قلنا فيما سبق أن ديوان رسل العمالات الذين هم وكلاء الرعية يجتمعون كل سنة للمشورة العمومية فلما اجتمع هذا الديوان عرضوا على الملك أن يعزل هذا الوزير ومن معه من الوزراء الستة فلم يصغ لكلامهم اصلا وقد جرت العادة أن ديوان المشورة يعمل فيه جميع الاشياء بمقالة اكثر أربابه وكان المجتمع فى هذا الديوان للمشورة فى قضية الوزراء اربعمائة وثلاثون تقسمنها ثلثمائة لا يرضون بابقاء الوزراء ومنهم مائة وثلاثون يحبون ابقاءهم فكان العدد الاكثر عليهم والعدد الاقل لهم فتيقنوا عزلهم وكان الملك يحب ابقاءهم لاستعانته بهم على تنفيذ ما اضمره فى نفسه فابقاهم ثم خرم القانون بعدة اوامر ملكية فكانت عاقبتها خروجهم واخراجهم له من بلادهم معزولا فهو كما قال الشاعر

لم يدر ما يجنى عليه القول ولا لماذا امره يؤول
يلقى الكلام كيف ما ألقاه لم يحسن الفكرة فى عقباه
وهكذا التهوير فى المقال وصحبة الاشرار والجهال
يخفضك الجاهل أنى رفعك يرديك وهو زاعم أن ينفعك

الفصل الثانى

فى ذكر التغيرات التى حصلت وما ترتب عليها من الفتنة * قد سبق لنا

من القوانين السالفة فى الكلام على حقوق الفرنساوية فى المادة الثامنة أنه لا يمنع انسان فى فرانسا من ان يظهر رأيه ويكتبه ويطبعه بشرط أن لا يضر ما فى القوانين فان اضر به ازيل فلما كانت سنة ١٨٣٠ واذا بالملك قد اظهر عدة اوامر منها النهى عن ان يظهر الانسان رأيه وأن يكتبه اويطبعه بشروط معينة خصوصا للكازيطات اليومية فانه لا بد فى طبعها من أن يطلع عليها احد من طرف الدولة فلا يظهر منها الا ما يريد اظهاره مع أن ذلك ليس حق الملك وحده فكان لا يمكنه عمله الا بقانون والقانون لا يصنع الا باجتماع آراء ثلاثة رأى الملك ورأى اهل ديوانى المشورة يعنى ديوان البير وديوان رسل العمالات فصنع وحده ما لا ينفذ الا اذا كان صنعه مع غيره وغير أيضا فى هذه الاوامر شيأ فى مجمع اختيار رسل العمالات يعنى فى الذين يختارون رسل العمالات ليبعثوها فى باريس وفتح ديوان العمالات قبل أن يجتمع مع أنه كان حقه أن لا يفتحه الا بعد اجتماعهم كما فعله فى المرة السابقة وهذا كله على خلاف القوانين ثم ان الملك لما اظهر هذه الاوامر كأنه احس فى نفسه بحصول مخالفة فاعطى المناصب العسكرية لعدة رؤساء مشهورين بأنهم اعداء للحرية التى هى مقصد رعية الفرنساوية وقد ظهرت هذه الاوامر بغتة حتى ظهر أن الفرنساوية كانوا غير مستعدين لها وبمجرد حصول هذه الاوامر قال غالب العارفين بالسياسيات انه يحصل فى المدينة محنة عظيمة يترتب عليها ما يترتب كما قال الشاعر

اري بين الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام

فان النار بالعيدان تذكو وان الحرب اولها الكلام

ففى مساء اليوم الذى ظهرت فيه هذه الاوامر فى الكازيطات اخذ الناس فى الحركة بقرب المحل المسمى بالروايال يعنى السراية السلطانية التى سكنها عائلة اقارب الملك المسماة عائلة اورليان التى منها الملك الآن وهذا الوقت ظهر الغم على وجوه الناس وكان هذا يوم السادس والعشرين فى شهر يوليه وفى يوم السابع والعشرين منه لم يظهر غالب الكازيطات الحرية لعدم رضاها بالشروط فلذلك

بلغت

بلغت الاوامر جميع الناس وحصلت حركة عظيمة بعدم ظهور الكازيطات التى من عادتها أنها لا تفتر عن الظهور الالهمة عظيم فاغلقت الورشات والمعامل والفبريقات والمدارس فظهر بعض كازيطات الحرية آمرة بعصيان الملك والخروج عن طاعته ومعددة لمساويه وفرقت على الناس من غير مقابل وبهذه الديار بل وفى غيرها قد يبلغ الكلام حيث تقصر السهام خصوصا مادة الخطابات فانها قوية وخصوصا بلاغة الانشاء فلها مدخلية عظيمة كما قيل ان نزل الوحى على قوم بعد الانبياء نزل على بلغاء الكتاب خصوصا اذا كان مايذكر فى تلك اليوميات مقبولا عند العامة ومقصودا عند الخاصة فان هذا هو عين البلاغة الصحيحة اذ هى ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة فلما سمع بذلك ولاة الحسبة حضروا فى المحال العامة ومنعوا الناس من قرآءة هذه الكازيطات وحاصروا مطابعها وهموا بكسر آلات الطباعة وكسروا بعضها وحبسوا من اتهموه من الطباعين وبهدلوا كثيرا ممن أظهر شيأ مخالفا لترتيب الملك من الرعية وهذا ايضا مما قوى غضب الفرنساوية فكتب ارباب هذه الكازيطات يعنى رؤساء الفرنساوية الذين هم يكتبون فيها آراءهم ورقة انكار واشهروها وعددوا نسخها والصقوها بجدران المدينة وامروا فيها الرعية بالحرب وعينوا محله وكان الميعاد فى درب سراية بالبروايال * فازدحم فيه كثير من الامم وفيما حوله من الحارات فكانت العساكر السلطانية تحاول تفريق هذا الازدحام فعظم دوى الرعية وكثرت اصواتهم وظهر غضبهم فى سائر الدروب والحارات فهجم العسكر على الرعية والتحم القتال بين الفريقين فكانت الرعية تقاتل اولا بالاحجار والعساكر بالسيوف وآلات الحرب فكثر القتال وعظمت المطاردة من الجانبين ثم بحث الرعية عن آلات الحرب وظهر صوت البارود من الجانبين فى مدينة باريس فكأنما لسان حال الفرنساوية الذى هو اصدق من لسان مقالهم جعل يقول ان بنى عمك فيهم رماح * فعظم القتال وكان اكثر المقتول والمجروح من الرعية كما قال الشاعر

فالحرب تنكح والنفوس مهورها * ما بين ابكار تزف وعون

وترى الدماء على الجراح طوافيا * وكأنها رمد بنجل عيون

فاشتد غضبهم وعرضوا القتلى فى المحال العامة لتحريض الناس على القتال واظهار عيوب العساكر وقامت انفس الناس على ملكهم لاعتقادهم أنه امر بالقتال فامررت بهذا الوقت بحارة الا وسمعت فيها السلاح السلاح ادام الله الشرطة وقطع دابر الملك فمن هذا الوقت كثر سفك الدماء واخذت الرعية الاسلحة من السيوفية بشراء اوغصب واغلب العملة والصنائعية خصوصا الطباعين هجموا على القرقولات وخانات العساكر واخذوا منها السلاح والبارود وقتلوا من فيها من العساكر وخلع الناس شعار الملك من الحوانيت والمحال العامة وشعار ملك الفرنسيس هى صورة زهر الزنبق كما أن شعار ملك الاسلام صورة هلال وملك الموسقوبية صورة عقاب وكسروا قناديل الحارات وقلعوا ابلاط المدينة وجعوه فى السكك المطروقة حتى يتعذر مشى الفرسان عليه ونهبوا اجبخانات البارود السلطانية فلما اشتد الامر وعلم الملك بذلك وهو خارج امر بجعل المدينة محاصرة حكما وجعل قائد العسكر أميرا من اعداء الفرنساوية مشهورا عندهم بالخيانة لمذهب الحرية مع أن هذا خلاف الكياسة والسياسة والرياسة فقد دلهم هذا على أن الملك ليس جليل الرأى فانه لو كان كذلك لأظهر امارات العفو والسماح فان عفو الملك أبقى للملك ولماولى على عساكره الاجماعة عقلاء احبابا له وللرعية غير مبغوضين ولا اعداء ولكن اراد هلاك رعاياه حيث نزلهم بمنزلة اعدائه مع أن استصلاح العدو احزم من استهلاكه ويحسن قول بعضهم

عليك بالحلم وبالحياء * والرفق بالمذنب والاغضاء

ان لم تقل عثرة من يقال * يوشك أن يصيبك الجهال

فعاد عليه مافعله بنقيض مراده * وبنظير مانواه لاضداده * فلوانعم فى اعطاء الحرية * لامة بهذه الصفة حرية * لماوقع فى مثل هذه الحيرة * ونزل عن كرسيه فى هذه المحنة الاخيرة * لاسيما وقد عهد الفرنساوية بصفة الحرية وألفوها واعتادوا عليها وصارت عندهم من الصفات النفسية وما احسن

قول

قول الشاعر

وللناس عادات وقد ألفوا بها لها سنن يرعونها وفروض
فمن لم يعاشرهم على العرف بينهم فذاك ثقيل عندهم وبغيض

وفى اليوم الثامن والعشرين اخذت الرعية من يد العساكر محلا يسمى دار المدينة الذى هو محل شيخ مدينة باريس فعند ذلك ظهر الخفر الاهلى يعنى الرديف وهم عساكر كانت سابقا تخفر الاهالى كما أن للملك عساكر وردیان تخفره وقد كان ابطلهم الملك شرل اوكرلوس العاشر فلما وقعت الفتنة ظهروا ليمانعوا عن الرعية فشهروا اسلحتهم للقتال وطردوا سائر العساكر من محالهم واحرقوا كثيرا منها وفى هذه الاوقات ارتفعت المحاكم وصار الحاكم هو الرعية ولم يمكن للدولة عمل شئ فقد بذلت ما عندها من القوة لاخماد ذلك وتسكينه فلم تقدر عليه فكانت جميع المحافظين متحركين والطبجية معينة لاثنى عشر ألفا من الوردیان السلطانى وستة آلاف من عساكر الصف فكانت جملة العساكر السلطانية ثمانية عشر ألف نفس غير الطبجية والمحافظين وكان من يحمل السلاح من الرعية اقل من هذا العدد ولكن من لا يحمل السلاح يحارب بالاحجار ويعين المتسلح وبعد اخذ دار المدينة وسلب مدفع من العساكر الحربية ظهر انهزام سائر العساكر السلطانية بالبلدة ثم ذهبوا الى الديوان المسمى لوور والى قصر طويلريا وهو سراية الملك ووقع الحرب فيهما بين العساكر واهل البلد وبينما هم فى الحرب بهذا المحل اذ انتشر البيرق المثلث الالوان الذى هو علامة الحرية على الكنائس والهياكل العامة ودقت نواقيس الخطر لاعلام سائر الناس داخل وخارج باريس من اهل المدينة اوغيرها بطلب حمل السلاح منهم للاستعانة على العساكر فلما رأت العساكر أن النصرة للرعية وأن ضرب السلاح على اهل بلادهم واقاربهم عار عليهم امتنع اغلبهم وعزل كثير من رؤسائهم نفسه من منصبه وفى اليوم التاسع والعشرين فى الصباح ملك اهل البلد ثلاثة ارباع المدينة ووقع ايضا فى ايديهم قصر طويلريا ولوور فملكوهما ونشروا عليهما بيرق الحرية فلما سمع بذلك سرعسكر المأمور

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

بادخال اهل باريس فى طاعة السلطان رجع فكان هذا تمام نصرة اهل البلد حتى ان العساكر دخلت تحت بيرق الرعية ومن هذا الوقت ترتب حكم وقتى وديوان مؤقت لنظم البلاد حتى ينحط الرأى على تولية حاكم دائم وكان رئيس هذا الحكم المؤقت سرعسكر المسمى لافيتته وهو الذى قاتل فى الفتنة الاولى للحرية ايضا وهذا الرجل شهير بانه يحب الحرية ويحامى عنها ويعظم مثل الملوك بسبب اتصافه بهذا الوصف وكونه على حالة واحدة ومذهب واحد فى البوليتيقة وليس صاحب قريحة مستخرجا للعلوم من حيز العدم كغالب رجال الفرنساوية ومشاهيرهم خصوصا فى العلوم العسكرية ولكن اعظم الناس مقاما لاقريحة وفهما وليس المراد القدح فى معرفته بل فى انتهاء الرياسة اليه ومما يشاهد فى سائر بلاد الدنيا أن التصدر ليس دائما على قدر المعرفة وان كانت المعرفة موجبة له بالشرع والطبع ومن الغريب أن مثل هذا الامر يقع ايضا فى البلاد الحسنة التمدن وأظن أن هذا كله مصداق الحديث الشريف الذى هو ذكاء المرء محسوب عليه من رزقه وكما قال الشاعر

اذا ابصرت ذا فضل فقيرا　　فلا تعجب لفقر فى يديه
فقد قال النبى مقال صدق　　ذكاء المرء محسوب عليه

وما احسن قول الشاعر

ولو أن السحاب همى بعقل　　لما اروى مع النخل القتادا
ولو اعطى على قدر المعالى　　سقى الهضبات واجتنب الوهادا

الفصل الثالث

كيف كان يصنع الملك فى هذه المدة وفيما جرى بعد ذلك من رضائه بالصلح بعد فوات اوانه وفى خلعه المملكة على ابنه * اعلم أن اوامر الملك برزت منه وهو فى بلدة سنكلو على القرب من باريس فالفتنة حصلت فى باريس والملك لم يكن بها ثم ان اهل المدينة بعثوا له أن يغير وزراءه وأن يسترد اوامره ويسترجعها يعنى أن يكتب امر ابانه اعاد اليه ما كان امر به فلم يرض بذلك وارسلوا اليه

فى ذلك

فى ذلك عدة وكلاء ليستعطفوه ويترجوه فى هذا المعنى فلم يفد كلامهم بل كان اضيع من دمع على طلل واخبروه أن الرعية لاتريد ذلك ابدا وأنه ربما ترتب عليه فسادا اعظم من ذلك فاجاب بأن كلامه غير قابل للتغيير والتبديل فلما تحقق عنده أن دولته قد اشرفت على الزوال بسبب عدم قبوله للمصالحة ارسل يطلب منهم ذلك بنفسه فأجابوه بأنه لم يبق محلا للصلح وانّ اوان الصلح قد فات وانه لم يتبصر فى العواقب ومن لم يتبصر فى العواقب لقى النوائب وانه لم يدقق النظر والالما حصل له ذلك وفى اليوم الثلاثين من شهر يوليه اتفق رأى اهل مشورة رسل العمالات على أن يبعثوا ليترجوا الدوق درليان قريب السلطان من بدنة ثانية بأن يكون قائم مقام المملكة حتى تقع مشورة اخرى على من يتولى مملكتهم وكان خارج باريس فبمجرد ماوصله ما اقتضاه نظر هذه المشورة وصل الى باريس فى الحادى والثلاثين ونزل فى دار المدينة واجاب برضائه بما صنعه اهل هذا الديوان وعند دخوله شرع يذكر عبارة عظيمة فى السبب الحامل له على الرضاء بذلك وملخصها انه قد حصل لى غاية التحسر على الامر الذى جعل باريس فى هذه الحالة المسببة عن خرم القوانين اوتفسيرها بمعنى بشع تحتمله عباراتها ولقد امتثلت وجئت بينكم لأخلص البلاد من الفشل ولابدّ أن ألبس معكم علامة الثلاثة ألوان التى قد لبستها كثيرا فى اول عمرى ثم ختم عبارته بقوله والشرطة تصير من هذا الوقت حقا يعنى أنه يعمل بقوانين المملكة وتصير متبعة لا يحاد عنها لكونها حقا ولقد صارت هذه الجملة عند الفرنساوية مثلا من الامثال وألفاظها بالفرنساوية فى غاية الحماسة ثم ان شرل العاشر ظن أنه يمكنه التخلص من زوال مملكته بخلع المملكة على ابنه ونزوله عنها له.

شعر

يودّ لو أن ايام الحمى رجعت * وقلّ أن ردّ شئ بعد ماذهبا

فما كان ذات يوم فى سنكلو الا وخرج ابنه الدوفين فى ساحة وجمع فيها العساكر واعلمهم بأن اباه ولاه ملكا فتلقت العساكر هذا الخبر باستخفاف وبغير اعتناء ثم ان الملك لما ولى ابنه سافر مع ديوانه وجلسائه فى ليلة التاسع والعشرين

من شهر يوليه وبقى الدوفين وحده ينتظر عاقبة توليته فاحضر جميع من معه من العساكر وسيرها قدامه ليرى كيفيتها فلما علم أنها لا ترضى بالمحاربة معه نوى السفر وخرج من سنكلو فبعد عدة ساعات من خروجه انتشر على قصر سنكلو البيرق المثلث وهذا القصر هو سراية السلطان فى هذه البلدة فوصل السلطان واتباعه فى رنبوليا فى غرة شهر اغسطوس وفى اليوم الثانى من هذا الشهر بعث شرل العاشر وابنه الدوفين ورقة للدوق درليان قريبهما يذكران فيها أنهما خلعا المملكة على الدوق دبردو حفيد الملك وابن اخى الدوفين وانهما جعلا الدوق درليان وكيله ووليه حتى يبلغ رشده وطلبا منه فى هذه الورقة أن يبعث لهما جماعة ليؤمنوهما فى خروجهما من فرانسا فعرض الدوق درليان ذلك على مشورة رسل العمالات فلم يرضوا بخلع المملكة ورضوا بأن يبعثوا له عدة وكلاء من الكبار ليؤمنوه فى خروجه من فرانسا ثم انه جاء الخبر فى باريس أن الملك لم يرض الخروج حالا فوجهوا اليه جملة من العساكر ليكرهوه حالا على الخروج فبمجرد سماعه بذلك اجاب بالخروج متوجها الى بلاد الانكليز

شعر

والدهر طورا يعز * يقضى وطورا يهون

وهكذا حال الدنيا واحسن ما قيل فى التسلية والصبر على مكارهها

قول بعضهم

سلا بنفسى عن الدنيا وبهجتها   انى ارى فانيا منها تلافانى

والصبر احمد ما اوليت من قلق   ما كنت فى شدة الا تلافانى

وفى هذا الوقت كان ابن عمه قائم مقام المملكة بباريس فكان الامر والنهى له ولدواوين المشورة فأول ما صنعه تقرير بقاء الثلاثة الوان التى هى علامة على حرية الملة الفرنساوية ثم فتح ديوان مشورة العمالات وديوان مشورة البير وقد جرت العادة أنه عند فتح ديوان مشورة العمالات يحضر الملك ويخطب على منبر بكلام فصيح يذكر فيه ما صنعه من التحسين فى بلاده وما هو عازم على فعله فى سنته ولما كان هذا الدوق قائما فى هذا الوقت مقام الملك صعد على المنبر

يقول

يقول كلاما وجيزا مضمونه انه يتحسر على الخطر الذى حصل لمدينة باريس عقب هتك قوانين المملكة ثم بعد فراغه سلم لديوان المشورة الورقة التى بعثها الكرلوس العاشر وابنه الدوفين المتضمنة خلعهما المملكة على الدوق دبردو وانهما يسميانه هنرى الخامس لانه تقدم فى فرانسا اربعة ملوك كل منهم يسمى هنرى ثم خرج قائم مقام المملكة من المشورة وصار ديوان المشورة يفتح كل يوم للتدبير

الفصل الرابع فيما انحط عليه رأى اهل المشورة وفيما ترتب على هذه الفتنة من تولية الدوق درليان ملك الفرنساوية

اعلم ان المشورة كانت تدبر حالة فرانسا المستقبلة وقد اسلفنا أن آراء الفرنساوية مختلفة حتى انهم فى المشورة مختلفون فى الموضع فهم الملكية يجلسون فى الجهة اليمنى والحريون فى الجهة اليسرى والتابعون لآراء الوزراء فى الجهة الوسطى وكل منهم يقول رأيه من غير معارض له لان العبرة بكثرة الاصوات ولازال هذا الامر معمولا به الى الآن ولم تغير الفتنة شيأ من ذلك فكان اصحاب الآراء فرقتين فرقة تريد المملكة وفرقة تريد الجمهورية والفرقة الاولى منها من كان يريد تمليك الدوق دبردو حفيد الملك القديم ومنهم من كان يريد تولية ابن نابليون الذى هو بونابارته ومنهم من كان يريد تمليك الدوق درليان قائم مقام المملكة وعائلة درليان هى العائلة الثانية الوارثة للمملكة بعد انقراض العائلة الاولى البكرية وهى عائلة البربون ثم انه ظهرت ورقة مطبوعة وألصقت فى الحارات والمشارع العامة مضمونها قد صح بالتجربة أن الجمهورية لا تناسب بلاد الفرنساوية * واما الدوق دبرد وفتوليته تجعل الفرنساوية تحت حكم البربون فتقع الفرنساوية فيما فرت منه واما ابن نابليون فهو تربية قسيسين وهم اعداء الحرية فتعين الدوق درليان انتهت وقد دبرت المشورة عدة مواد انحط عليها الرأى

المادة الاولى * أن الكرسى فارغ حسا ومعنى ولا حق لاحد فيه فلا بد من شغله بأحد * الثانية من اغراض الفرنساوية ومن مصالحهم أن تحذف العبارات

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

الدالة على الاستعلاء من الشرطة التى هى كتاب قوانين المملكة لان بقاءها
بهذه الكيفية يحط بمقام الرعية الفرنساوية ولا بد أن يحذف من الشرطة بعض
المواد الغير اللائقة وتبدل بغيرها حتى تكون مصلحة على ما تقتضيه الحال الراهنة
ثم بعد تمام ذلك يطلب ديوان مشورة وكلاء الرعية ان المصلحة العامة اللازمة
حالا لجميع الفرنساوية أن يترجى حضرة سعادة الدوق درليان لويزفليب
قائم مقام المملكة لان يكون ملكا وتكون مملكته وراثة بعده لأولاده الذكور
ثم بعده لأكبر أولاده وهكذا يعنى أن الملك اذا مات انتقلت المملكة لأكبر
اولاده فاذا مات او حصل له عذر كانت لابنه الاكبر وهكذا وان يقبل المملكة
ويرضى بالشروط وبصيغة المبايعة التى يعينها له اهل المشورة وأن يلقب بملك
الفرنساوية لا بملك فرانسا والفرق بينهما ان ملك الفرنساوية معناه كبير على
نفس الاشخاص بجعلهم له ملكا بخلاف ملك فرانسا فان معناه أن أرض
فرانسا مادامت باقية فهو سيدها وملكها ولا منازع له من أهل بلاده فيها
وسبب ذلك أن الملوك السالفين كانوا يلقبون ملوك فرانسا وكان اذا كتب الواحد
منهم يقول ما صورته انا فلان بفضل الله تعالى ملك فرانسا ونوار على كل من يرى
هذه الاوامر الحاضرة سلام قد أمرنا ونأمر بما سيأتى لنا وقوله ملك فرانسا ظاهر
واما قوله ملك نوار فان هذا لقب اصطلاحى له لمجرد الشرف وسبب ذلك
أن اسلاف ملك فرانسا كانوا يحكمون على مملكة نوار ثم انتقلت منهم الى ملوك
اسبانيا فصارت حصة منها وبقى اللقب لملك فرانسا واما ملك الفرنساوية فانه
يقول فى كتابته انا فلان ملك الفرنساوية منى السلام على من حضر فى الحال
والاستقبال قد أمرنا ونأمر ففرق بين عبارة الاول والثانى فان الاول جعل
نفسه ملك مجموع فرانسا ونوار بانعام الله سبحانه وتعالى عليه والثانى جعل
نفسه ملك الفرنسيس ولم يقل بفضل الله ولقد تحاشى عن ان يقول ذلك لارضاء
الفرنساوية فانهم يقولون انه ملك الفرنسيس بارادة ملته وبتمليكهم له لأن هذه
خصوصية خص الله سبحانه وتعالى بها عائلته من غير أن يكون لرعيته
مدخلية فظهر من هذا أن قوله بفضل الله معناه عندهم باستحقاقه لذلك

بولادته

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

بولادته ونسبه كما أن قوله ملك فرانسا معناه صاحب الارض والسلطنة عليها
والا فلو كان عندنا لاستوت العبارتان فان كون الملك ملكا باختيار رعيته له
لا ينافى كون هذا صادرا من الله تعالى على سبيل التفضل والاحسان ولا فرق
عندنا مثلا بين ملك العجم وملك ارض العجم ثم بعد تمام المشورة بعث اليه اهلها
عدة رسل فقرأ عليه رئيس الرسل ما اتفق عليه اهل ديوان المشورة فأجاب حالا
بقوله قد سمعت والقلب فى اضطراب ما عرضتموه علىّ من خلاصة مجلس
المشورة من انتخابى للمملكة ولقد صح عندى أن عبارتكم الصادرة عنكم
هى ايضا عبارة لسان حال الرعية بتمامها وظهر لى أن ما صنعتموه فى القوانين
يناسب ما ذهبت اليه فى السياسات التى مارستها مدة حياتى ولكن حصل لى
من ذلك انفعال عظيم لاننى لست أنسى مدة حياتى ما قاسيته سابقا
من الاهوال حتى اننى كنت عزمت على أن لا اطمع ابدا فى قضية
السلطنة ونويت على أن اعيش خاملا مرتاحا بين عيالى ولكن حبى لعمار
بلادى غلب ذلك فهو جدير بأن اوثره عليه حيث قد أيقنت أن الضرورة
دعت اليه ثم انه عين اليوم الذى يتتوج فيه فى ديوان رسل العمالات فلما جاء
اليوم الموعود جاء فى الساعة المتفق عليها بموكب عظيم من غير خفر سلطانى
ومن غير جلساء وقد جرت عادة ملوكهم بأن زينة الموكب انما هى بذلك وكل
ما مشى خطوة حياه جميع الناس من الجوانب بقولهم حفظ الله الدوق درليان
حفظ الله الملك فلما دخل الديوان ركب مصطبة بقرب الكرسى وسلم على أهل
المجلس ثلاث مرات ثم جلس على دكة امام الكرسى وابنه الاكبر عن يمينه والثانى
عن يساره وخلفه اربعة وزراء فى العسكرية يلقبون بالمارشالات جمع مارشال
وهو أعلى مراتب العسكرية عند الدولة الفرنساوية وهو دائما مضاف الى
فرانسا فيقال مارشال فرانسا وبالفرنساوية مارشال دفرانسا والدال علامة
على الاضافة بين المضاف والمضاف اليه مثل اللام المقدرة فى الاضافة عندنا
فعلامة الاضافة ظاهرة عند الفرنسيس ثم بعد جلوسه عزم على اهل ديوان
البير وديوان رسل العمالات بالجلوس ثم طلب من رئيس الديوان أن

يقرأ عليه الخلاصة التى عزم عليه اهل الديوانين فيها بالمملكة فلما فرغ الرئيس
من قراءتها أجاب الدوق المذكور بقوله ياسادا تنا قد سمعت مع التأمل خلاصة
الديوانين وقد وزنت عبارتهما وأمعنت فيها النظر وأقول رضيت من غير شرط
ولا تعليق بجميع الشروط المذكورة فى الخلاصة و بتلقيبى ملك الفرنسيس
الذى أعطيتموه لى وها انا حاضر مستعد للحلف والمبايعة على أنى احفظ ذلك
ثم قام الملك مكشوف الرأس ورفع يده اليمنى وشرع يقول هذه الصيغة
الآتية بترتيب وترتيل وبصوت ثابت من غير لجلجة وهذه الصيغة مترجمة
اشهد الله سبحانه وتعالى على انى احفظ مع الامانة الشرطة المتضمنة لقوانين
المملكة مع ما اشتملت عليه من الاصلاح الجديد المذكور فى الخلاصة وعلى انى
لا احكم الا بالقوانين المسطورة وعلى طريقها وأن اعطى كل ذى حق حقه بما
هو ثابت فى القوانين وأن اعمل دائما على حسب ما تقتضيه مصلحة الرعية
الفرنساوية وسعادتها وفخرها ثم صعد على كرسى المملكة وشرع يقول ياساداتنا
قد حلفت فى هذا الوقت يمينا عظيما وما جهلت بالواجبات المرتبة به على مع
عظمها واتساعها ما أن نفسى تحدثنى انى اوفى بها وما قبلت المبايعة الا عن رضى
وقد كنت عزمت على أن لا أركب ابدا الكرسى الذى اعطته لى الملة الفرنساوية
ولكن لما رايت أن فرانسا قد جرحت حريتها وتكدرت الراحة العامة بارضها
وبهتك قوانين المملكة قد اشرفت على الفساد وجب نصب القوانين وكان ذلك
من وظيفة ديوان البير وديوان رسل العمالات وقد وفيتهم بذلك فما صنعناه من
اصلاح الشرطة يستلزم الامن فى المستقبل فمأمولى أن فرانسا تصير مرتاحة
فى داخلها ومحترمة فى خارجها والصلح فى بلاد اوروبا يزيد ثباتا فلما فرغ من كلامه
صاحت الاصوات حفظ الله الملك لويز فليب الاول ثم سلم الملك على المجلس وخرج
مصافحا من رآه من اهل المجلس وغيرهم وركب حصانه ومشى وصار يصافح
الناس عن يمينه وعن يساره وربما عانق كثيرا من الناس وكان موكبه مؤلفا من
أهل البلد ومن خفر الملة المسمى الخفر الاهلى يعنى الرديف ولما دخل الليل نورت
باريس بوقدة عظيمة وكان تملكه فى السابع من شهر اغسطوس سنة ١٨٣٠

من الميلاد

من الميلاد
الفصل الخامس فيما حصل للوزراء الذين وضعوا خطوط ايديهم على الاوامر السلطانية التى كانت السبب فى زوال مملكة الملك الاول الذى فعل فعلته وفى العواقب لم ينظر وطمع بما لم يظفر كما قال الشاعر

ان النفوس على اختلاف طباعها طمعت من الدنيا بما لم تظفر

اعلم أن الفرنساوية بعد هذه الفتنة اهتموا غاية الاهتمام بالتفتيش على الوزراء الذين كانوا السبب فى ذلك وايضا فانه بمقتضى القوانين ان الوزراء يضمنون ما يقع فى المملكة من الخلل فهم المحاسبون دون الملك وليس على الملك شئ اصلا لحملهم ثقيل ووظيفتهم شاقة التحمل فعليهم الوزر فى كل ما يحدث قال الشاعر

يتداول الناس الرياسة بينهم وأريد حظهمو فلا استطيع
وأكلف العبأ الثقيل وانما تبلى به الاتباع لا المتبوع
فعليهم الاثقال يرمى حملها وعلى الرئيس الختم والتوقيع

فبرزت الاوامر فى جميع طرق البلاد أن يوقفوهم اذا مروا عليهم وقد قلنا ان رئيس الوزراء كان بولنياق فمسك من الوزراء اربعة منهم هذا الامير المذكور وصورة القبض عليه انهم وجدوه خارجا من بلاد فرانسا فى صورة خادم لامرأة عظيمة فعرفوه واوقفوه وخفره الخفر الموجود فى الطريق خوفا من الرعية ثم اعلموا بذلك الديوان فى باريس فكتب هو مكتوبا الى ديوان مشورة البير وقد كان من رجال المشورة يقول فيه انه لا معنى للقبض عليه حيث انه من اهل هذا الديوان واحتج بالمادة الرابعة والثلاثين من الشرطة لا يمكن ان يحبس احد من اهل ديوان البير الا بامر اهل ذلك الديوان ولا يمكن ان يحكم عليه غيرهم فى مواد الجنايات فما كان جوابهم الا أنهم اجتمعوا وقرأوا مكتوبه ثم تشاوروا فكانت خلاصة المشورة الاذن بالقبض عليه وحبسه حتى يحكموا عليه فجىء به الى بلدة ونسينه بقرب باريس وحبس فى قلعتها ثم قبض على الثلاثة الاخر وحبسوا معا من غير أن يحصل لاحد منهم شئ من التذليل ابدا مدة حبسه ثم انه مدة حبسهم بنوا لهم محلا عظيما فى ديوان مشورة البير لتسمع دعواهم فيه

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

وجعلوه بناء متيناوثيقا على صورة عظيمة حتى لايمكن للرعية الهجوم عليهم
لاذيتهم ولالاحبابهم ان يخلصوهم من الحبس وكلفوا ذلك اموالا لهاوقع عظيم
ثم جاؤا بهم الى هذا المكان وحبسوهم فى محل منه وصاروا يأتون بهم كل يوم
وكانت دعوتهم من اعظم مايتعلق غرض الانسان بسماعه * ومن اجل مايدل
دلالة قطعية على تمدن الفرنساوية وعدل دولتها ولنذكر لك بعض شئ منها
فنقول * اعلم أن ملك الفرنسيس الجديد لماتولى تعلقت ارادته بعزل سبعين
رجلا من اهل مشورة البير الذين كان ولاهم شرل العاشر الملك السابق ثم سمى
منهم تسمية جديدة من كان على غرضه فلوكان هؤلاء السبعون فضلوا من اهل
الديوان لكانوا يحامون عن الوزراء فكان غالب اهل ديوان مشورة البير اعداء
لهم الا أن التمسك بالقوانين وطيب نفوسهم فى الجملة وعدم ميلهم بالطبيعة الى
الظلم كان سببا فى نجاة الوزراء المذكورين ومما يتعجب منه أن الوزير بولنياق
حين القبض عليه اراد أن يختار واحدا يحامى عنه من العارفين بالاحكام
فلم يختر الا مرتنياق احد الوزراء المعزولين قبله ليس بينه وبينه وصلة ولا محبة
واعجب من ذلك أن الآخر الذى هو مرتنياق وفى بذلك مع غاية الامانة التامة
وبذل ماعنده من المعارف لدفع الايرادات عن موكله وكذلك كل واحد من
الوزراء المقبوض عليهم وكل محاميا له ثم لما فتحوا الدعوى ارسلوا الكل واحد
من الوزراء المحبوسين يطلبونه بخصوصه مع غاية الرفق واللين وكيفية اول
مايسأل به ما اسمك ماوصفك مامنصبك مارتبتك فيجيب باجوبة هذه
الاسئلة ولو كانوا يعرفون ماذكر ثم قالوا لكل واحد منهم اتقر بأنك وضعت
خط يدك تحت اوامر الملك قال نعم ولاى شئ فعلت ذلك فيجيب بأن الملك
اراده ولاى شئ اراد الملك فعل ذلك وهل عزم عليه من قديم الزمان او الآن
فقط وقد كان كل منهم يجيب فى مثل هذه الاسئلة بقوله لا افشى سر ديوان
حضرة الملك اصلا مع غاية التعظيم فى المجلس لملكهم المعزول ولم يتفوه احد منهم
بشئ من اسرار الديوان ابدا ولم يكرههم احد على ذلك ثم بعد سؤالهم وانتهائه
وكتب خلاصته جاء المحامون عنهم ومكثوا ايضا عدة ايام ليظهروا أن الوزراء

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

بريؤن من الذنوب وان مقصدهم كان حسنا وهكذا فبعد ذلك امتحنت المشورة جميع الدعوى ثم قضت بما هذه صورته من حيث ان الوزراء وضعوا اخط ايديهم تحت الاوامر المخالفة لقوانين المملكة ومن حيث انهم هتكوا حرمة القوانين ومخالفتها حكمت المشورة عليهم بالحبس الدائم وتجريدهم من اوصاف الشرف وألقابه وحكمت على بولنياق زيادة على ذلك بالموت الحكمى وهو تقريبا نظير مسئلة من انقطع خبره وحكم بموته القاضى باجتهاده بعد مضى مدة لا يعيش فوقها غالبا والموت الحكمى عند الفرنساوية ويقال له الموت المدنى هو أن يكون حكم الحى عندهم كحكم الميت فى كثير من الاحوال وهو أن المحكوم عليه بذلك يزول عنه جميع ما يملكه ليدخل تحت يد ورثته مثل ما اذا مات حقيقة ولا يصح ان يرث غيره بعد ذلك ولا ان يورث هو غيره الاموال التى ملكها بعد ذلك ولا يمكنه أن يتصرف فى امواله جميعها او بعضها بهبة او وصية ولا يجوز اهداؤه ولا الوصية له الا بالقوت ولا يجوز أن يكون وليا ولا وصيا ولا شاهدا فى شهادة شرعية ولا تقبل دعواه ولا ينعقد نكاحه بل ينفسخ نكاحه الاول بالنظر للاحكام المترتبة عليه ولزوجته واولاده أن يصنعوا فى امواله اوفى انفسهم كما لو مات هو حقيقة وبالجملة فهو حى ملحق بالموتى ولكن لما كان هذا الوزير وامثاله ممن يحكم عليهم بذلك من اعيان الناس وكانت ذريته حسنة التربية كان المحكوم عليه بذلك يبقى فى العادة على ما كان عليه قبل الحكم لكون عائلته تعتقد أن هذا من باب التعدى المحض وانه ناج بينه وبين مولاه ولا تفارقه زوجته اصلا لاعتقادها أنها فى عصمته باطنا ولو ولدت منه بعد ذلك ولدا ورثه الاخوة معهم وان كان هذا خلاف الاحكام المترتبة على الموت الحكمى ولما سمعت الرعية بذلك قاموا وقالوا لا بد من الحكم عليهم بالموت الحقيقى فاخبرهم اهل الدولة أن هذا يناقض ما تطلبونه من الحرية والعدل والانصاف وان كتاب القوانين لم يعين نوع عقوبة الوزراء اذا حصلت منهم خيانة وانما حكمت المشورة بالاجتهاد عقوبة لهم وزجرا لامثالهم ويصلح فى حقهم قول الشاعر

فهم من المجد فى حضيض * وهم من الجد فى الروابى

Digitized by Google · Original from UNIVERSITY OF IOWA

وهـم اذا فتشوا وعدوا * اعز من عودة الشباب

ثم ليلة ان حكم عليهم بذلك قبل ان يطلعوهـم على خلاصة المشورة اخرجوهم من هذا الحبس الذى كان بنى لاجلهم وخفروهم الى قلعة ونسينة فحبسوهم بها ومنها نقلوهم الى قلعة اخرى وهم محبوسون بها الى الآن والحكم عليهم بهذه الكيفية مما يدل على حسن اخلاق الدولة الفرنساوية

الفصل السادس فيما كان بعد الفتنة فى سخرية الفرنساوية على شرل العاشر وفى عدم اكتفاء الفرنساوية بذلك

اعلم أنه جاء الى الفرنساوية خبر وقوع بلاد الجزائر فى ايديهم قبل حصول هذه الفتنة بزمن يسير فتلقوا هذا الخبر من غير حماسة وان اظهروا الفرح والسرور به فبمجرد ما وصل هذا الخبر الى رئيس الوزراء بولنياق امر بتسييب مدافع الفرح والسرور ولقد صدق من قال

وكم سرور طيه احزان * لاجل هذا خلق الزمان

وصار يتماشى فى المدينة كأنه يظهر العجب بنفسه حيث ان مراده نفذ وانتصرت الفرنساوية فى زمن وزارته على بلاد الجزائر فما كانت ايام قلائل الا وانتصرت الفرنساوية عليه وعلى ملكه نصرة اعظم من تلك حتى أن مادة الجزائر نسيت بالكلية وصار الناس لا يتحدثون الا بالنصرة الاخيرة على أن حاكم الجزائر خرج منها بشروط واخذ منها ما يملكه وملك الفرنسيس خرج من مملكته يتندم على ما وقع منه وللزمان صروف تدول * واحوال تحول * وكان هذا هو عاقبته عن غارته على بلاد الجزائر باسباب واهية لا تقتضى ذلك بل بمجرد ارضاء هوى النفس واذا انتصر الهوى بطل الرأى ومما وقع أن المطران الكبير لما سمع باخذ الجزائر ودخل الملك القديم الكنيسة يشكر الله سبحانه وتعالى على ذلك جاء اليه ذلك المطران ليهنيه على هذه النصرة فمن جملة كلامه ما معناه أنه يحمد الله سبحانه وتعالى على كون الملة المسيحية انتصرت نصرة عظيمة على الملة الاسلامية ولا زالت كذلك انتهى مع أن الحرب بين الفرنساوية واهالى الجزائر انما هو مجرد امور سياسية ومشاحنات تجارات ومعاملات ومشاجرات

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

ومجادلات منشاءها التكبر والتعاظم * ومن الامثال الحكمية لو كانت المشاجرة شجرا لم تثمر الاضجرا فلما وقعت الفتنة كسر الفرنساوية بيت المطران بعد هروبه وخربوه وافسدوا جميع مافيه حتى أنه تخفى ولم يعلم له اثر ثم ظهر واختفى ثانيا وهجم على بيته ثانيا ولازال مذموما مخذولا

قال الشاعر

لاتعجبن رويدا انها دول * دنيا تنقل من قوم الى قوم

ثم ان الفرنساوية لما رأوا ان شرل العاشر اخرج باشا الجزائر من مملكته ايضا صاروا يهزؤن بشرل العاشر ويصورونه هو وباشا الجزائر فى الطرق ويكتبون فى وقائع النوادر تلميحات غريبة ونكات ظريفة فمن جملة ذلك انهم صوروه هو والباشا المذكور وكتبوا تحت صورة باشا الجزائر وانت ايضا جاءت نوبتك كان الباشا يقول للملك استفهاما ليهزؤا به وانت ايضا عزلت كما عزلتنى

شعر

فقل للشامتين بنا رويدا * امامكم المصائب والخطوب

وقال آخر

الدهر يفترس الرجال فلا تكن   ممن تطيشه المناصب والرتب

كم نعمة زالت بادنى زلة   ولكل شئ فى تقلبه سبب

وكتبوا ايضا فى وقائع النوادر مانصه ان الباشا المذكور يقول لشرل العاشر قم بنا نلعب لعب كذا على قدر معلوم وان لم يكن معك شئ جمعنا لك شيأ على سبيل الصدقة من الناس يشيرون بذلك الى أن باشا الجزائر خرج من بلاده غنيا وشرل العاشر خرج من بلاده فقيرا وصوروا ايضا الملك المذكور فى صورة اعمى يتكفف الناس ويقول فى سؤاله اعطوا بعض شئ للفقير الاعمى يشيرون الى أنه لم يتبصر فى عواقب الامور وصوروه ايضا هو ووزيره بولنياق خارجين من كنيسة اشارة الى انهما لا يفلحان الا فى هذه العبادة الباطلة وانهما قسوس لا امراء وكانوا يزعمون أن الملك كان يلبس فى بعض الاحيان لبس القسيسين ويقدس بالناس كالقسيس فى كنيسته التى فى سرايته وكانوا ايضا يصيحون

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

فى البلدة بعد هذه الفتنة بورقات مطبوعة فيها عشق هذا الملك وفساده فى صغر سنه وفسق المطران الكبير وهكذا وبان ابن ابنه ليس هو ابنا حقيقيا وانما هو ابن مزقور والعجيب أنهم كانوا يصيحون بهذه الاوراق ليبيعوها فى ساحة بيت الملك الجديد الذى هو من اقارب الملك واعجب من ذلك أنهم يكتبون فى هذه الورقة ان الملك الجديد هو الذى كتب ذلك سابقا فى جرنالات الانكليز بعد ولادة حفيد الملك القديم ويصيحون بذلك ولا احد ينكر عليهم لما أن حرية الرأى قولا وكتابة تقضى بذلك وبعد تولية هذا الملك ظهرت عدة تعصبات عظيمة منها من يريد عزله ونصب الجمهورية لعدم اكتفائه بالحرية وطلبه ازيد من ذلك ومنهم من تعصب لنصب الحكم القديم وتولية حفيد الملك السابق ولازالت هذه الفتنة باقية الآثار الى الآن وربما تعدت آثارها الى غيرها من البلاد فمن ذلك الفتنة التى ترتب عليها انعزال اقليم البلجيك من مملكة الفلمنك وقد كان جزأ منها ومن آثارها ايضا طلب بلاد له الحرية والخروج من حكم الموسقو بية ومنها الفتن التى وقعت فى بلاد ايطاليا

الفصل السابع فيما كان من دول الافرنج بعد سماعهم بانعزال الملك الاوّل وتقليد المملكة للملك الثانى وفى رضاهم بذلك

لا يخفى أن العائلة السلطانية القديمة قد رجعت بعد تعاهد الدول الافرنجية على السلطان نابليون واخراجه ونفيه الى جزيرة سنت هلينة وترجيع هذه العائلة الى البلاد بعد أن كانت فى البلاد الغريبة فتملك هذه العائلة انما هو بمعاهدة ملوك الدول الافرنجية فهى فى الحقيقة مملكة على فرانسا رغما عن انف غالب الفرنساوية فلما وقعت الفتنة خشى الفرنساوية من أن الملوك المذكورين يأتون بجيوش الى بلادهم وينصبون كرسى هذه العائلة فتخلصوا من ذلك بتملك العائلة الاخرى التى هى عائلة ارليان ولكنهم لم يعلموا هل ترضى الملوك بذلك اولا وعزموا على انهم اذا لم يرضوا بذلك وجاؤا لمحاربتهم حاربوهم ولو حصل ما حصل وجهزوا ما يدل على ذلك ولنذكر لك هنا نسبة ملوك الافرنج بالنظر لهذه المادة فنقول اعلم أن ملك اسبانيا يوافق بسياسته

وسلوكه

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

وسلوكه سياسة ملك فرانسا القديم وهو أيضا من اقاربه لأن العائلة التى تحكم
بلاد اسبانيا من العائلة التى تحكم بلاد فرانسا فهى تميل اليها ظاهرا وباطنا
ومثلها فى ذلك الميل بلاد البرتوغال فهاتان المملكتان لا يحصل منهما شئ يخاف
به على العائلة القديمة واما بلاد ايطاليا فان دولة نابلى ودولة رومة ودولة
سردينيا توافق ايضا فى سياستها سياسة البربون يعنى العائلة القديمة فحينئذ
ملوك هذه الدول تأثرت باطنا بما وقع فى بلاد الفرنساوية واما دولة المسقو ودولة
النيمسا ودولة البروسه والانكليز فانها متعاهدة على تولية عائلة البربون القديمة
المملكة فهى ايضا تأثرت بذلك نوع تأثر وخصوصا الدولة المسقوبية واما
الدول الصغيرة ببلاد الافرنج فانها تابعة للدول الكبيرة فلم يبق مع دولة
الفرنساوية الجديدة الا بعض اقاليم صغيرة تريد الحرية غير أن اهل دولة الانكليز
اظهرت الرضى بما وقع فلذلك ملكهم كان اول من اعترف بالمملكة لملك
الفرنساوية الجديد وقد جرت العادة أن الملك اذا تولى لا بد من أن يعترف له
الملوك بالتملك ويقروه على ذلك وهو من الرسوم غالبا يقال ان حضرة مولانا
السلطان الاعظم لما سمع بذلك واخبره الايلجى اجاب بانه لا يصنع شيأ حتى يرى
ماتصنعه ملوك الافرنج فان اقروه على ذلك اقره ايضا ومدخلية الدولة العلية
فى ميدان دوائر الدول الافرنجية قليل وممن توقف فى الاقرار مدة طويلة
ملك الموسقو ثم بعد ذلك اقره بشرط أن لا يتغير شئ فى ميزان بلاد الافرنج يعنى
ان بلاد الافرنج تبقى على ماهى عليه من غير أن يحصل بها راجحية او مرجوحية
فى السياسة بمعنى أن مملكة فرانسا مثلا لا تزيد عما كانت عليه قبل الفتنة
والظاهر أن اكثر الملوك التى اقرت ملك الفرنساوية الجديد انما اقرته على ذلك
ورضيت بما وقع رضاء وقتيا حتى أن الفرنساوية تحس بذلك وتجهر به كأنها
لا تثق بذلك الصلح الذى تراه كأنه هدنة وتعليق ولما خرجت من فرانسا كان
جميع الناس يتوقع فيها اشهار الحرب وظهوره بين النيمساوية والفرنساوية
او الموسقوبية او الاسبانيول او البروسه والله سبحانه وتعالى اعلم بما كان وبما
يكون وللفرنساوية الآن التئام مع الانكليز لم يسبق مثله ابدا واما الكلام على

الرجوع فراجعه فى خاتمة الرحلة

المقالة السادسة فى ذكر نبذات من العلوم والفنون المسرودة فى الباب الثانى من المقدمة وهى تشتمل على عدة كتب

الفصل الاول فى تقسيم العلوم والفنون من حيث هى وفى ذكر الفنون والعلوم العامة لجميع التلامذة

(الفصل الاول فى تقسيم العلوم والفنون على طريق الافرنج)

اعلم أن الافرنج قسموا المعارف البشرية الى قسمين علوم وفنون فالعلم هو الادراكات المحققة المذكورة بطريق البراهين واما الفن فهو معرفة صناعة الشئ على حسب قواعد مخصوصة ثم ان العلوم تنقسم الى رياضية وغيرها وغير الرياضية تنقسم الى طبيعيات والهيات والعلوم الرياضية هى الحساب والهندسة والجبر والمقابلة والعلوم الطبيعية هى تاريخ الطبيعيات وعلم الطبيعة وعلم الكيمياء والمراد بتاريخ الطبيعيات علم الحشايش والاعشاب وعلم المعادن والاحجار وعلم الحيوانات وهذه الفروع الثلاثة تسمى مراتب التولدات مرتبة النباتات ومرتبة المعادن ومرتبة الحيوانات واما الالهيات فتسمى ايضا علم ماوراء الطبيعيات اوما فوق الطبيعيات واما الفنون فانها تنقسم الى فنون عقلية والى فنون عملية فالفنون العقلية ما يكثر قربها من العلوم مثل علم الفصاحة والبلاغة وعلم النحو والمنطق والشعر والرسم والنحاتة والموسيقى فان هذه فنون عقلية لانها تحتاج الى قواعد علمية واما الفنون العملية فهى الحرف هذا هو تقسيم حكماء الافرنج والافعندنا أن العلوم والفنون فى الغالب شئ واحد وانما يفرق بين كون الفن علما مستقلا بنفسه وآلة لغيره ثم ان العلوم المطلوبة من عموم التلامذة هى الحساب والهندسة والجغرافيا والتاريخ والرسم ومعرفة هذه كلها تكون بعد معرفة اللغة الفرنساوية وما يتعلق بها فلذلك وجب علينا هنا أن نذكر نبذة منها

الفصل الثانى فى تقسيم اللغات من حيث هى وفى ذكر اصطلاح اللغة الفرنساوية

اعلم أن اللغة لما كانت ضرورية فى افهام السامع معنى يحسن سكوت المتكلم عليه

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

وكانت لازمة فى التفهيم والتفهم وفى المخاطبات والمحاورات وجب عند جميع الامم على المتعلم أن يبتدئ بها ويجعلها وسيلة لما عداها واللغة من حيث هى الالفاظ المخصوصة الدالة على المعانى المخصوصة وطريقها الكلام والكتابة المختلفة باختلاف الامم وهى قسمان لغات مستعملة ولغات مهجورة * فالاول ما يتكلم بها الآن كلغة العرب والفرس والترك والهند والفرنسيس والطليانية والانكليز والاسبانيول والنيمسا والموسقو * والثانى ما انقرض اهله واندثر أربابه ولم يبق الا فى الكتب مثل اللغة القبطية واللاطينية واليونانية القديمة المسماة بالاغريقية ومعرفة هذه اللغات المهجورة فى المخاطبات نافعة لمن اراد الاطلاع على كتب المتقدمين فى بلاد الافرنج توجد مدارس مخصوصة معدة لتعلم هذه الألسن لما يعلمون من نفعها وكل لغة من اللغات لا بد لها من قواعد لتضبطها كتابة وقراءة وتسمى هذه القواعد باللغة الطليانية اغرمّاتيقا وباللغة الفرنساوية اغرمير ومعناها تركيب الكلام يعنى علم ضبط اللغة بنحوها فلا مانع من ان يراد بالنحو قواعد اللغة من حيث هى وهو مرادنا هنا فهو علم به يعرف تصحيح الكلام والكتابة على اصطلاح اللغة المرادة الاستعمال والكلام ما قصد به افادة السامع معنى يحسن عليه السكوت وهو يتركب من الكلمة واقسامها عند أهل اللغة العربية ثلاثة الاسم والفعل والحرف والاسم اما مظهر نحو زيد أو مضمر نحو هو أو مبهم نحو هذا والفعل اما ماض كضرب او مضارع كيضرب او أمر كاضرب والحرف اما مختص بواحد من قسميه كمن وقد اومشترك بينهما كهل وبل وانما قسمنا هذا التقسيم هنا لانه سيأتى لنا أن الفرنساوية عندهم الضمير واسم الاشارة قسمان للاسم ولا يعد ان منه بوجه من الوجوه فانهم جعلوا اجزاء الكلمة عشرة كل واحد منها قسم مستقل له علامة وهى الاسم والضمير وحرف التعريف والنعت والمشترك وهو اسماء المفعول والفاعل والفعل والظرف ويسمى عندهم مكيف الفعل وحروف الجر وحروف الربط وحروف النداء والتعجب ونحوه فيقولون فى تعريف الاسم هو كلمة تدل على شخص اوشئ اى على العالم وغير العالم مثل زيد وفرس وحجر وفى تعريف

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

الضمير هو ما يقوم مقام الاسم وحرف التعريف هو ايضا عندهم لام التعريف كما عندنا الا انه يختلف باختلاف الاسم الداخل عليه فانه للمذكر ل بالضم وفى المؤنث ل بالفتح ولجمعيهما لس ولكن السين لا ينطق بها ويقولون فى تعريف النعت هو ما يدل على الاتصاف بوصف من الاوصاف كحسن وجميل فهو نظير الصفة المشبهة واما اسم الفاعل واسم المفعول فانهما نحو ضارب ومضروب والظرف عندهم مثله فى لغة العرب وحروف الجرّ مثل الظروف وحروف الجرّ فى اللغة العربية فاذا قال الانسان باللغة الفرنساوية جئت قبل زيد وبعده فان قبل وبعد من حروف الجرّ عندهم واذا قال جاء زيد اوّلا اوقبل اونحو ذلك فانه ظرف واما الحروف الروابط فانهم يعرّفونها بانها ما تتوسط بين كلمتين اوجملتين نحو واو العطف فى قولك جاء زيد وعمرو ونحو أن فى قولك أومل أن اعيش زمنا طويلا ومن هذا القسم اذن وحينئذ من نحو قولك أنت عاقل فاذن أنت قابل للتعلم اوأنت فحينئذ قابل وحروف النداء والتعجب ونحوها معلومة وقواعد لغتهم يلزمها هذا التقسيم ويظهر أن قول بعضهم اقسام الكلمة او الكلام ثلاثة فى سائر اللغات وان الحصر عقلى لعلة استقلالها بالمفهومية وعدمه ودلالة ما استقل بالمفهومية على زمان وعدمها فيه بعض شئ * ورأيت فى كتب الفرنساوية من قسمها اوّلا الى هذه الاقسام الثلاثة ثم قسمها تقسيما ثانويا فالحصر حينئذ عقلى على حاله ثم ان كل انسان يعبر عن مقصوده اما بالكلام اوبالكتابة فكلامه يسمى عبارة ومنطقا وتعبيره عن مقصوده بالكتابة يسمى نفسا ومسطرة وقلما فقد يكون قلم الانسان افصح من عبارته فانه قد يكون الانسان ألكن ويكون قلمه فصيحا ثم انه اذا افصح وأغرب غرابة مقبولة كانت عبارته عالية وان كانت عبارته مؤدية للمقصود من غير ركاكة فهى مناسبة وان كان بها بعض شئ يمجه السماع فهى ركيكة اورديئة وعلى كل فالعبارة اما بها اطناب اواختصار اوعلى الاصل ثم ان الكاتب اما ان يفصح عن مراده بنظم اونثر وعلى كل فاما ان يكون كلامه اوتأليفه باللغة المستعملة فى المحاورات المسماة الدارجة اوباللغة الموافقة فقواعد النثر هو الاصل

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

فى الكلام والتأليف ولا يحتاج الى وزن وتقفية الا فى السجع وهو لسان العلوم والتاريخ والمعاملات والمراسلات والخطابات ونحو ذلك ولاتساع اللغة العربية كان بها كثير من كتب العلوم منظوما واما اللغة الفرنسيس فلا ينظم فيها كتب العلوم أصلا والنظم هو أن يفصح الانسان عن مقصوده بكلام موزون مقفى وهو يحتاج زيادة عن الوزن الى رقة العبارات وقوة الاسباب الداعية لنظمه ويعجبنى قول بعضهم موريا

صوغ القريض على اختلاف رجاله * ما بين حصبا لاتعد وجوهر
واذا أردت بأن تفوز بدره * نظما نخذه من صحاح الجوهرى

ولبعضهم

يامن يقول الشعر غير مهذب * ويسومنى التكليف فى تهذيبه
لو كان كل الخلق فيك مساعدى * لعجبت من تهذيب ماتهزو به

وقال بعضهم فى فقد الاسباب *

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعى والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق

وقال اخر

الشعر لا يخفى عليكم حاله * قد باروا أسفاه بعد نفاق
وارحمتا لبنى القريض فانهم * ماتوا وهم احيا من الاملاق

ونظم الشعر غير خاص بلغة العرب فان كل لغة يمكن النظم فيها بمقتضى علم شعرها نعم فن العروض على الكيفية الخاصة به المدون عليها فى لغة العرب وحصره فى البحور الستة عشر المستعملة هو خصوص اللغة العربية وليس فى اللغة الفرنساوية تقفية النثر ومعرفة فن النظم لا تكفى فى نظم الشعر بل لابد أن يكون الشاعر به سجية النظم سليقة وطبيعة والا كان نفسه باردا وشعره غير مقبول

الى العربى مل فى نظم شعر * فذا لسان أرباب الكمال
فشعر الفرس اسكرنا بجام * وشعر الترك طرز بالخيال

ولنذكر هنا خلاصة صغيرة من الاشعار ملخصة من أحسن القصائد والمقطعات

فنقول قد اشتهر أن أرق بيت قالته العرب فى الغزل قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا

ولنذكر هنا حكاية لطيفة وهى أنه دخل اعرابى على ثعلب فقال له تزعم انك اعلم الناس بالأدب فقال كذا يزعمون فقال انشدنى ارق بيت قالته العرب واسلسه فقال قول جرير ان العيون الى آخره فقال هذا الشعر غث رث قد لاكه السفلة بألسنتها هات غيره فقال ثعلب افدنا من عندك يا اعرابى فقال قول مسلم بن الوليد صريع الغوانى

نبارز أبطال الوغى فنبيدهم * ويقتلنا فى السلم لحظ الكواعب

وليست سهام الحرب تفنى نفوسنا * ولكن سهام فوقت فى الحواجب

فقال ثعلب لاصحابه اكتبوها على الخناجر ولو بالخناجر فشعر مسلم ابن الوليد أقوى حماسا من قول جرير وأقول ان نسبة القوة بينهما كنسبتها بين قول بعضهم

خطرات النسيم تجرح خديه ولمس الحرير يدمى بنانه

وقول ابن سهل الاسرائيلى

انى له عن دمى المسفوك معتذر * اقول حملته فى سفكه تعبا

ومما يمكن نظمه فى سلك قول مسلم ابن الوليد قول بعضهم

نعد العذارى من دواهى زماننا * واقتلها احداقها والمحاجر

ونشكوا اليها دائرات صروفه * واعظمها اطواقها والاساور

ويعجبنى قول امين افندى الزللى فى همزيته

واقرن صبوحك بالغبوق ولا تدع * فرص السرور بغدوة ومساء

واعقد بنت الحان واجعل مهرها * عقلى وأشهد سائر الندماء

واستجلها بكرا تقلد جيدها * بعقود در بل نجوم سماء

الى ان قال

واعدل

واعدل عن العيدان وارشفها على * رقص الغصون ونغمة الورقاء

الى ان قال

من كف ساق فى لماه ولحظه * وحديثه نوع من الصهباء
وبخده ورد حماه بأسهم * عن قطفه باللحظ والايماء

ويحسن هنا ذكر قول الشهاب الحجازى

لاوغصن راق للطرف ورق * وعليه حال الطرف ورق
وشموس لم تغب عن ناظرى * والشعور الليل والخد الشفق
وعيون حرمت نومى وما * حللت لى غير دمعى والارق
ما احمرار الراح الا خجل * من رضاب سكرت منه الحدق
والذى قد حسبوه حببا * فوق خد الكاس قطرات العرق

ويعجبنى قول بعضهم

لولا شفاعة شعرها فى صبها * ما واصلت وازالت الاسقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عندها * وغدا على اقدامها يترامى

وينتظم فى سلكه قول بعضهم

سل سيفا من لحظه ثم ارخى * وفرة وفرت عليه الجميله
ان شكا الخصر طولها غير بدع * لنحيل يشكو الليالى الطويله

ومما يفوق قول الواوا الدمشقى او يساويه

قالت متى الظعن يا هذا فقلت لها * اما غدا زعموا اولا فبعد غد
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وقول بعضهم

بنفسى بيضاء العوارض أقبلت * بوجه كأن الشرق من حسنه غرب
وبين الازار الملتوى حقف رملة * وبين الوشاح الملتوى غصن رطب
وتحت لثام الخز انفاسها لظى * وفوق الرواء السكب ادمعها سكب
تبدت مع الاتراب تدعو على النوى * وان لم يكن فى الغانيات لها ترب
تسيل على الخد الاسيل دموعها * وصب دموع العين يروى به الصب

وقد وكات احدى يديها بقلبها * مخافة ان يرفض من صدرها القلب
فلما اجزن الجسر تحن وراءه * كسرب من الغزلان ليس له سرب
وعضت بدر الثغر فضة معصم * يكاد يثنيه من الذهب القلب
وكادت تحط الرحل لولا عزيمتي * قسى بجفون العين اسهمها الهدب

ومما يعد من الاشعار الرقيقة قول الشاعر

يصفر وجهي اذا تأمله * طرفي فيحمر خده خجلا
حتى كان الذي بوجنته * من دم جسمي اليه قد نقلا

ومما ينسب للخليفة هارون الرشيد

واذا نظرت الى محاسنها * فبكل موضع نظرة نبل
وتنال منك بحد مقلتها * مالا ينال بحده النصل
شغلتك وهي لكل ذي بصر * لاقى محاسن وجهها شغل
فلقلبها حلم يباعدها * عن ذى الهوى ولطرفها جهل
ولوجهها من وجهها قمر * ولعينها من عينها كحل

ومن ارق ماقيل ايضا قول الشاعر

لاموا على صب الدموع كانهم * لايعرفون صبابتي وولوعي
فأجبتهم وعد الخيال بزورة * أفلا أرش طريقه بدموعي

ومما يعجب في الرثا قول ابى الطيب في ابى شجاع فاتك

يامن يبدل كل يوم حلة * أنى رضيت بحلة لاتنزع
مازلت تخلعها على من شاءها * حتى لبست اليوم مالا يخلع
مازلت تدفع كل امر فادح * حتى أتى الامر الذى لايدفع
فظللت تنظر لا رماحك شرع * بين الانام ولا سيوفك قطع
بأبي الوحيد وجيشه متكاثر * يبكي ومن شر السلاح الادمع
واذا حصلت من السلاح على البكا * فحشاك رحت به وخدك تقرع

الى ان قال

من للمحافل والجحافل والسرى * فقدت بفقدك نيرا لايطلع

ومن

ومن اتخذت على الضيوف خليفة * ضاعوا ومثلك لايكاد يضيع

وقوله ايضا فى فاتك المذكور

لافاتك آخر فى مصر نقصده * ولاله خلف فى الناس كلهم
من لاتشابهه الاحياء فى شيم * اضحى تشابهه الاموات فى الرمم
عدمته وكأنى سرت أطلبه * فمازادتنى الدنيا على العدم

الى ان قال

الدهر يعجب من حملى نوائبه * وحمل جسمى على احداثه الحطم
وقت يضيع وعمر ليت مدته * فى غير امته من سالف الامم
أتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

وبالجملة والتفصيل فأحسن وأظرف سائر ماقيل

سلوت عن الاحبة والمدام * وملت عن التهتك والهيام
وسلمت الامور الى الهى * وودعت الغواية بالسلام
وملت الى اكتساب ثواب ربى * وقد ماطال عزمى بالغرام
وما انا بعده معط عنان الهوى لكن ترى بيدى زمامى
ابعد الشيب وهو أخو سكون * يليق بأن أميل الى غرام
فشرب الراح نقص بعد هذا * ولو من راحتى بدر التمام
فكم اجريت فى ميدان لهو * خيول هوى وكم ضربت خيامى
وكم قبلت وردا من خدود * وكم عانقت غصنا من قوام
سأوتى الكاس تعبيسا وصدا * وان جاءت تقابل بابتسام
عزمت على الرجوع عن المناهى * ومثلى من يدوم على اعتزام

(الفصل الثالث فى فن الكتابة)

هو فن يعرف به التعبير عن المقصود بنقوش مخصوصة تسمى حروف الهجاء او حروف المعجم واغلب الحروف الهجائية متفقة فى سائر اللغات ومبدوءة بحرف الالف الا عند الحبشة فان حرف الالف هو الثالث عشر وصناعة الكتابة شديدة النفع عند سائر الامم وهى روح المعاملات واحضار الماضى وترتيب

المستقبل ووصول المراد ونصف المشاهدة ثم ان العرب والعبرانيين والسريانيين يكتبون من اليمين الى الشمال والصينيون يكتبون من اعلى الى اسفل وتكتب الافرنج من الشمال الى اليمين وهل الاوفق طبعا الكتابة من اليمين الى الشمال كما تكتب العرب وغيرهم ممن ذكر معهم او العكس كما تكتب الافرنج * مما يدل على الاول ترتيب الاعداد فانها مرتبة طبعا وهى تبتدأ من اليمين الى اليسار فالآحاد التى هى اجزاء العشرات تكون على يمين العشرات والعشرات كذلك بالنسبة للمئات وهى كذلك بالنسبة للالوف واذا كانت الاعداد أصولا لغيرها يعنى اشياء اولية اتفقت فيها الطبائع على اختلاف اصحابها دل ذلك على أن مخالفتها مخالفة للاصل وثبت نقيضه وهو المراد وحاول الافرنج فحملوا القراءة والكتابة على قراءة الاعداد وكتابتها فقط فبرهنوا بهذا على أوفقية طريقتهم للطبع فمن باب أولى يقال ان الكتابة من اعلى الى اسفل مخالفة لمقتضى الطبع ويقال ان العرب كانت تعرف الكتابة فى زمن سيدنا أيوب عليه السلام وقد وقع اختلاف فى أن الحروف الهجائية هل هى من الاوضاع الالهية اومن الاوضاع البشرية وعلى الثانى فقد وقع الاختلاف فى أنها من اوضاع اى ملة فقال بعضهم انها من اوضاع السريانيين اومن اوضاع قدماء المصريين واستظهر الاول فعليه تكون انتقلت من السريانيين الى اليونان بدليل ان الحروف اليونانية هى عين السريانية الا انها انقلبت من الشمال الى اليمين ومن أهل اليونان أخذ الرومانيون حروفهم وجودة الخط لا تدل على الفضل وعدم تأدية الكتابة حقها دليل على الجهل وقد تنازع الشعراء فى التفضيل بين السيف والقلم ثم بين قلم الانشاء والحساب واشار المتنبى الى تفضيل السيف فى قوله

السيف اصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

واشار السيوطى فى كتاب الاوائل الى تفضيل القلم على السيف حيث قال

الكتب عقل شوارد الكلم * والخط خيط فرائد الحكم
بالخط نظم كل منتثر * منها وفصل كل منتظم

والسيف

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

والسيف وهو بحيث تعرفه * فرض عليه عبادة القلم

وتمام رفع المنازعة فى تاريخ الدول لابن الكردبوسى فى قوله قوام الملك شيأن السيف والقلم والثانى مقدم على الاول و برهن على ذلك والظاهر أن يقال فى ذلك ما قيل فى الكاتبين من أن صناعة الانشاء أرفع وصناعة الحساب أنفع فيقال ان السيف أرفع من القلم والقلم أنفع منه

الفصل الرابع فى علم البلاغة المشتمل على البيان والمعانى والبديع

وهو علم تحسين العبارة اوعلم تطبيق العبارة على مقتضيات الاحوال والمقصود منه على العموم توصل الانسان الى الافصاح عما فى ضميره بفصيح الكلام وبليغه وهذا العلم بهذه الحيثية ليس من خواص اللغة العربية بل قد يكون فى اى لغة كانت من اللغات فانه يعبر عن هذا العلم فى اللغات الافرنجية بعلم الريتوريقى نعم هذا العلم فى اللغة العربية اتم واكمل منه فى غيرها خصوصا علم البديع فانه يشبه أن يكون من خواص اللغة العربية لضعفه فى اللغات الافرنجية وبلاغة اسلوب القرءان الذى نزل اعجازا للبشر من خصوصيات اللغة العربية ثم انه قد يكون الشئ بليغا فى لغة غير بليغ فى اخرى اوقبيحا فيها اوقد تتفق بلاغة الشئ فى لغتين اولغات كما اذا اردت ان تعبر عن رجل شجاع بأنه اسد فتقول زيد أسد فان هذا مقبول فى غير اللغة العربية كما هو مقبول فيها واذا اردت ان تعبر عن شخص حسن بأنه بديع الجمال فتقول هو شمس اوعن حمرة خده فتقول خدوده تلظى فان هذا التشبيه حسن فى اللغة العربية غير مقبول أصلا فى اللغة الافرنجية وكذلك ما يقال فى الريق ونحوه مثل قول الشاعر

خليلى ان قالت بثينة ماله * اتانا بلا وعد فقولا لها لها
سها وهو مشغول بعظم الذى به * ومن بات طول الليل يرعى السها سها
بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى * اذا برزت لم يبق يوما بها بها
لها مقلة نجلاء كحلاء خلقة * كأن اباها الظبى اوامها مها
دهتنى بود قاتلى وهو متلفى * وكم قتلت بالود من ودها دها
وماست بأعطاف لطاف تهزها * فعاينت غصن البان من هزها زها

Digitized by Google	Original from UNIVERSITY OF IOWA

وقالت وقد سارعت فى السير دونها * وقاطعت طرفا دونها ومهامها
سلافة ريق عتقت ثم روقت * فمن لم يمت بالسكر من صفوها وهى
وفى الشفة اللعساء دوا كل مدنف * فان كنت مشتاقا الى رشفها فها

فأغلب التشبيهات الموجودة فى هذه الابيات غير مقبولة عندهم لانهم يقولون ان الطبع لا يألف الريق مثلا لكونه آيلا الى البصاق واذا شبهت بضع العذراء قبل افتضاضها بالوردة التى لم تفتح ثم بعده بالوردة المفتوحة كان ذلك عظيما عند الفرنسيس فبنى البلاغة عندهم على ما يقبله الطبع ويقال نسبة علم البلاغة للبلاغة كنسبة العروض للشعر فحينئذ قد توجد البلاغة عند من لا يحسن علمها كما أنه قد يحسنه غير البليغ وأغلب نفع البلاغة يكون فى الشعر والخطابات ونحوها من كتب الاداب والتواريخ واعظم نفع ذلك العلم التوصل الى معرفة اسرار التنزيل واعجازه وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم بعث فى زمن شعر ونظم وكهانة فأيده الله سبحانه وتعالى بالقرءان الذى لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فظهر لارباب العقول الصائبة انه كلام قادر يقدر ولا يقدر عليه وانه لا يشبه كلام المخلوقين فامنوا به واتبعوه الا من حق عليه العذاب فنزل القرأن الشريف على مقتضيات الاحوال وكانت سائر عباراته مناسبة للاحوال لفظا ومعنى واذا اردت توضيح العلوم الثلاثة ومعرفة قواعدها فعليك بكتب المعانى والبيان والبديع

(الفصل الخامس فى المنطق)

هو علم يبحث فيه عن المعلومات التصورية والتصديقية من حيث توصيلها الى غيرها والمشهور أن واضعه ارسطو الحكيم المسمى ايضا ارسطاطاليس وفى كتب الفرنساوية أن ارسطاطاليس هو الذى قد كمل هذا الفن وان أفلاطون ايضا هذبه وان زنون وضعه ونسبة هذا العلم للجنان كنسبة النحو للسان والعروض للنظم ونحو ذلك ولهذا العلم مباد ومقاصد فمباديه التصورات والتصديقات ومقاصده التعريفات والاقيسة والتصور ادراك غير

الحكيم

الحكم وعكسه التصديق فاذا تصورنا حقيقة الرجل من غير ان نحكم عليه باثبات ونفي كان ذلك تصورا واذا حكم عليه بأنه عالم مثلا فانه يكون تصديقا والتصور قسمان بسيط ومركب فالتصور البسيط ادراك الشيء مجردا عن صفاته والمركب ادراك الشيء مع بعض صفاته مثال الاول ما اذا تصورت الانسان ولم يخطر ببالك أنه متحرك ومثال الثاني ما اذا تصورته وميزته من الجماد بتحركه فالتصور لا يكون الا في المفردات كما أن التصديق لا يكون الا في القضايا والقضية هي حكم يحصل باثبات تصور الى آخر أو نفيه عنه فالتصور المسند اليه الاثبات او النفي يسمى الموضوع والتصور المسند الى الموضوع مما تقدم يسمى المحمول والموضوع والمحمول يسميان جزءى القضية وهذان الجزآن يجمعهما جزء ثالث يسمى رابطة مثال ذلك ما اذا قلت زيد فصيح فان زيدا هو الموضوع وفصيح هو المحمول والرابطة مقدرة والتقدير زيد هو الفصيح اوزيد يكون فصيحا واما اذا قلت زيد هو الفصيح فان الرابطة ظاهرة ثم ان القضية اما كلية يعني مستغرقة لسائر الافراد كما اذا قلت كل انسان صنعة الله تعالى واما جزئية كما في قولك بعض الحيوان انسان وكل من القضية الكلية والجزئية مسور * واما شخصية واما مهملة فالاولى كزيد قائم والثانية كالانسان كاتب بقطع النظر عن الكلية والجزئية واما طبيعية كما في قولك الظلم رذي٭ والقضية أيضا اما بسيطة او مركبة فالقضية البسيطة ما كانت غير متعددة الموضوع والمحمول كما في قولك الفضيلة حميدة والرذيلة ذميمة وبخلافها المركبة فهي ما تعدد فيها الموضوع فقط او المحمول فقط اوهما معا كما اذا قلت الفضيلة والرذيلة ضدان او الفضيلة محبوبة مطلوبة او الفضيلة والرذيلة ضدان لا يجتمعان ونحو ذلك واذا كانت القضية المركبة مصنوعة من عدة قضايا بسيطة فانه يكفي في كذبها كذب بعض اجزائها واما التعريفات التي هي مقاصد التصورات ومصححات القضايا فانها تنقسم الى تعريف بالحد وتعريف بالرسم وتعريف لفظي فمثال التعريف بالحد قولك الانسان حيوان ناطق ومثال التعريف بالرسم قولك الانسان حيوان كاتب ومثال التعريف اللفظي قولك الانسان

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

هو الادمى اذا فرضنا ان لفظ الادمى اشهر واعرف من لفظ الانسان ويمكن
ان يجعل من هذا القسم الثالث سائر تفسير الالفاظ المترجمة من لسان
الى آخر مثال ذلك اذا قدرنا أن اعجميا لا يعرف معنى كلمة الله فانك تعرّفه بها له
تعريفا لفظيا بقولك له الله هو خداى وكل من الحد والرسم ينقسم الى تام والى
ناقص على حسب كونه بالجنس او الفصل القريب او البعيد او بالخاصة
او بالعرض العام كل منها منفردا او مجتمعا وهذا كله موضح فى كتب المنطق *
واما القياس وهو المقصود الاصلى من علم المنطق فهو ما يلزمه لذاته تصديق آخر
مثال ذلك ما اذا قلنا ان الله سبحانه وتعالى لا بدّ ان يقتص من الظالم للمظلوم
فانك تقول هكذا الله سبحانه وتعالى حكيم عدل وكل من كان كذلك
فانه يقتص للمظلوم من الظالم فتكون النتيجة هكذا الله سبحانه وتعالى
يقتص للمظلوم من الظالم فمتى سلمنا القضيتين الاولتين فلا بدّ ان نسلم القضية
الثالثة والقضيتان الاولتان تسميان مقدّمتين واحداهما تسمى صغرى والاخرى
كبرى وروح القياس هو النتيجة والقياس يكون صحيحا اذا كان صحيح
المادّة والصورة وفاسدا اذا فسدت احداهما والمراد بصحة المادّة ان سائر
قضاياه تكون صحيحة والمراد بصحة الصورة ان يكون منظوما على كيفية يكون
انتاجه ضروريا والقياس الصحيح هو المسمى بالحجة والبرهان واما القياس
الفاسد او البرهان الفاسد فيسمى سفسطة وهو ما يشبه الصحيح وليس صحيحا
لعدم ملازمة نتيجته الظاهرية للمقدّمات الصحيحة وفى كتب الفرنسيس
أن القاعدة التى ينبنى عليها القياس الصحيح ويمتاز من السفسطة هى اثبات أصلين
احدهما مبنى الصحة والاخر مبنى الفساد وهما أن المستلزم لشئ مستلزم
لذلك الشئ والنافى لشئ ناف لشئ آخر هو ناف لذلك الاخر او ناف للاثنين معا
وكيفية تطبيق هذا على القياس انك اذا سئلت عن الغضب هل هو مذموم
فأردت أن تستدل على أنه مذموم فانك تبحث عن طرف القضية الذى هو
الموضوع فانك ترى من جملة تعريف الغضب أنه عيب فحينئذ كلمة غضب
متضمنة لمعنى العيب فتركب مقدمة هكذا الغضب عيب ثم تقابل العيب مع

الذم

الذم الذى هو محمول القضية فانك تجد أن العيب يستلزم الذم فتقول العيب ذميم فاذا لما رأيت أن الغضب يستلزم العيب والعيب يستلزم الذم فانك تنتج منه أن الغضب ذميم فكل قياس لا يمكن ان تطبقه على هذا الاصل فانه يكون سفسطة مثال ذلك ارسطو فيلسوف وبعض الفلاسفة صالح فارسطو صالح فان الانتاج فاسد وذلك أن القضايا لا تستلزم النتيجة لانه لا يلزم من كون ارسطو هو أحد الفلاسفة وأن بعض الفلاسفة صالح أن ارسطو صالح وبعض اجزاء القياس قد يحذف للعلم به كما فى قولك الفضيلة حميدة فينبغى كسبها والقياس اما حملى اوشرطى فكل ما تقدم مثال للحملى ومثال الشرطى لو كانت الشمس طالعة لكان النهار موجودا لكن الشمس ليست بطالعة تخرج النتيجة قائلة فالنهار ليس بموجود ومحل ذلك كتب المنطق ثم ان الافرنج كما يطلقون الكلمات على قواعد اللغة الفرنساوية ويسمون ذلك اعرابا نحويا يطبقونها على قواعد المنطق ويسمون ذلك منطقيا فاذا اراد انسان اعراب زيد فاضل اعرابا نحويا فانه يقول مثلا زيد مبتدا وفاضل خبره اونحو ذلك مما يليق بقواعد نحوهم واذا اراد أن يعرب اعرابا منطقيا فانه يقول زيد موضوع وفاضل محمول وهذه القضية قضية شخصية ويفعلون ذلك فى سائر الجمل

(الفصل السادس فى المقولات العشر المنسوبة الى ارسطو)

من المعلوم ان ارسطاطاليس حصر الاشياء المتعقلة فى عشر مراتب تسمى مقولات فجعل المواد داخلة تحت الاولى وجعل سائر الاعراض داخلة تحت التسعة الاخرى * المقولة الاولى مقولة الجوهر وهو جسمانى وروحانى * الثانية الكم وهو اما منفصل اذا كانت الاجزاء متفرقة مثل العدد أو متصل اذا كانت الاجزاء مجتمعة وهو اما متتابع مثل حركة الفلك اوقار وهو المسمى العظم اوالامتداد للجسم من الطول والعرض والعمق فمن الطول وحده تتعقل الخطوط ومن الطول والعرض تتعقل السطوح ومنهما مع العمق يحصل الجسم التعليمى * الثالثة الكيف وقسمه ارسطو الى اربعة أقسام فالاول هو الاستعدادات يعنى تهيئات العقل او الجسم المكسوبة بالاعمال المتكررة

مثل العلوم والفضائل والرذائل والقدرة على الكتابة والرسم والرقص والثانى القوى الطبيعية مثل قوة النفس والبدن كالادراك والارادة وقوة الحفظ والحواس الخمسة والقدرة على المشى والثالث القوى المشاهدة مثل الصلابة والرخاوة والكثافة والبرد والحر والالوان والاصوات والروائح والاذواق والرابع الصور والاشكال التى ينتهى بها الكم مثل الاستدارة والتربيع والكروية والتكعيبية * الرابعة مقولة الاضافة وهى النسبة بين شيئين مثل الاب والابن والمخدوم والخادم والملك والرعية وكنسبة القدرة والارادة لمتعلقيهما والبصر للمبصر بالقوة وكالنسبة التى تقتضى المشاركة كالشبيه والمساوى والمباين والاصغر والاكبر * الخامسة مقولة الفعل سواء كان قائما بالفاعل مثل المشى والقيام والرقص والمعرفة والعشق او واقعا منه على غيره مثل الضرب والقتل الى آخره * السادسة مقولة الانفعال مثل الانكسار والانحراف السابعة مقولة الاين يعنى جواب السؤال الذى يتعلق بالمكان مثل قولك فى مصر فى الحريم فى الفراش * الثامنة مقولة المتى وهو جواب السؤال الذى يتعلق بالزمان كما اذا قلت متى كان موجودا فلان فقيل من منذ مائة سنة اومتى وقع هذا فقيل البارحة * التاسعة مقولة الوضع كحالة الجلوس والوقوف وكونه قبل أو بعد أو امام على اليمين أو على اليسار * العاشرة مقولة الملك وهو وجود شئ مع الانسان منسوب اليه كاللباس والزينة والسلاح فتعلق ذلك به وحوزه له هو هذه المقولة فهذه المقولات العشر التى ذكرها ارسطو وعدت من الامور الخفية والافرنج يقولون انه ليس فى معرفة هذه المقولات كبير فائدة بل معرفتها مضرة لشيئين * الاول ان الانسان يظن انها مبنية على حكم عقلى ومحصورة بحصر استدلالى مع انها ليست الا اصطلاحية جعلية حصرها بعض الناس فى هذه الاقسام ليظهر بها الرياسة على غيره مع أنه يوجد فى ذلك الغير من يمكنه أن يحصرها حصرا آخر جديدا كما فعل ذلك بعض الناس من أنه حصر المقولات فى سبعة وسماها المواد العقلية المادة الاولى العقل او الجوهر الدراك الثانية الجسم او الجوهر ذو الامتداد الثالثة القدر أو صغر

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

كل جزء من اجزاء الهيولات الرابعة وضع الهيولات على التناسب بين اجزائها الخامسة صورة الاشياء السادسة الحركة السابعة السكون * الشيء الثانى ان متعلمها يكتفى بمجرد ألفاظ وهمية ويظن انه على شئ مع انه لم يعرف بها شيأ له فى الواقع معنى واضح محقق

(الفصل السابع فى علم الحساب المسمى باللغة الافرنجية الارتماطيقى)

اعلم أن الارتماطيقى هو أحد العلوم الرياضية الخالصة وذلك لان حكماء الافرنج قسموا الرياضيات الى خالصة وغير خالصة او مختلطة فالرياضيات الخالصة هى علم الحساب الغبارى والهوائى وعلم الجبر والمقابلة وعلم الهندسة ونحو ذلك واما الرياضيات المختلطة فهى علوم الحيل وفن تحريك الاثقال ونحوها والرياضيات الخالصة هى ماتبحث عن الكميات والاشياء القابلة للزيادة والنقصان والرياضيات المختلطة هى مايدخلها اشياء خارجية من علم الطبيعة وغيره والحساب اهم العلوم الرياضية وقد دلت كتب التواريخ على أن واضع هذا العلم اهل برور الشام يعنى الصوريين وقدماء اهل مصر يعنى ان هاتين الامتين هما اول من جمع الاعداد والحساب ونظماهما فى عقد الترتيب حتى ان فيثاغورس الحكيم رحل من بلاد اليونان الى مصر فتلقى فيها هذا العلم ومما اشتهر بين السلف ان علم الحساب من مخترعات الصوريين ويقال انهم ايضا اول من استعمل القوائم والدفاتر والظاهر أن الاصابع هى اول الطرق التى استعملها الانسان فى الحساب وان ذلك هو السبب فى كون اول عقد فى العدد هو عقد العشرات والثانى عقد عشرات العشرات التى هى المئات والعقد الثالث عقد عشرات المئات او الالوف وهكذا لان الاصابع عشرة فكان الانتقال من عقد الى آخر من عشرة الى عشرة ولما كانت الاصابع لاتكفى الا فى تمييز عشرة عشرة احتاج الامر الى طريقة اخرى وعلامات اخر فأخذوا صغار الحصى وحبوب الرمل والقمح ونحوها واستعملوها لضبط المعدودات كما هو الآن عند بعض همل امريكة وبعض همل غيرها من اقسام الارض حتى ان بعض قدماء الامم الماضين لايوجد فى لغاتهم مايمكن التعبير به عما فوق

العشرات فانهم كانوا يعبرون عن مائة وسبعة وعشرين مثلا بقولهم سبعة وعشرتان وعشرة عشرات وذلك لان الاقدمين كانوا يذكرون العدد الاصغر قبل الاكبر فيبتدئون بالآحاد ثم بالعشرات ثم بالمئات وهكذا كما قال بعضهم انه يوجد فى كتب العبرانيين واليونانيين مايدل على ذلك وهو أيضا اسلوب اللغة العربية فيما دون المائة واما الآن فقد تبحر الامم فى علم الحساب وتنوعوا وتفننوا فيه حتى وصلوا الى كماله وحد علم الحساب علم يبحث فيه عن الاعداد من حيث مايعتريها من الاعمال والعدد اجتماع الاحاد وهو قسمان صحيح وكسر وزاد بعضهم ثالثا وهو ماتركب منهما وسماه عددا مشتملا على الكسور ويتعلق بهذه الاعداد اعمال اربعة هى الجمع والطرح والضرب والقسمة وهى معلومة فى كتب هذا الفن واما علم الهندسة فموضوعه قياس الامتدادات الثلاثة التى هى الطول والعرض والعمق كما اشرنا اليه فى منظومتنا فى علم الهندسة بقولنا

موضوعه قياس الامتداد * فسره بالثلاثة الابعاد
الطول والعرض كذا والعمق * وشرح هذى غير مستحق

واما الجغرافيا فقد تقدم منها نبذة فى مقدمة الكتاب وانما ينبغى لنا هنا ان نذكر اقسامها فنقول انه تارة ينظر الى الارض من جهة شكلها وسكونها او تحركها ونسبتها لما عداها من الاجرام الفلكية فتسمى الجغرافيا الرياضية او علم هيئة الدنيا وتارة تلاحظ من جهة مادتها الترابية او المائية وما يتعلق بذلك مما يظهر على سطحها مثل الجبال فتسمى بالجغرافيا الطبيعية اى المتعلقة بطبيعة الارض وتارة ينظر اليها من جهة اختلاف اهلها فى الدين والملة فتسمى بالجغرافية الدينية وتارة ينظر اليها من جهة اختلاف اهلها فى التدبير والسياسة والرسوم والقوانين فيسمى ذلك بالجغرافيا السياسية أو التدبيرية وتارة تعتبر من جهة التغيرات والتقلبات الحاصلة طول الازمان المختلفة فى الارض وفى اجزائها بالنسبة للدين والسياسة ونحو ذلك ويسمى ذلك بالجغرافيا التاريخية وهذه هى الاصول والا فالقسمة غير حاصرة ومن أراد

الكلام

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

الكلام على ذلك فعليه برسالتنا المسماة بالتعريبات الشافية بمريد الجغرافية فانه موضح فيها غاية التوضيح غير أنه ينبغي لنا هنا الكلام على مسألة من مسائل علم الجغرافيا الرياضية التي هي علم الهيئة فنقول * الافرنج قسموا الكواكب الفلكية الى ثوابت والى سيارة والى سيارة السيارة والى ذوات الذنب وعدوا الشمس من الثوابت والارض من السيارة والقمر من سيارة السيارة اى التابعة في السير للكواكب السيارة وهذا المذهب يسمى عندهم مذهب كبرنيق النيمساوى وقد كشف المتأخرون منهم عدة كواكب سيارة لم يظفر بها المتقدمون لفقد الآلات عندهم ووجودها لهؤلاء الافرنج فبذلك بلغت السيارات المعروفة عندهم احد عشر غير الشمس والقمر فان الاولى من الثوابت على رأيهم والثاني من سيارة السيارة ولنذكرها لك هنا على حسب قربها من الشمس فنقول * هي عطارد والزهرة والارض والمريخ ووستة بكسر الواو وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة اى المجمرة السيارة ويونون بضم الياء والنون بعدها واو وتسمى زوجة المشترى ويقال لها بنت زحل وسريس بكسر السين والراء بعدها ياء مسكنة ويقال لها قريس (اى السنبلة السيارة) وبلاس بفتح الباء وتشديد اللام ومعناه ابو الفلق والمشترى وزحل واورانوس بضم الهمزة وراء بعدها ألف ثم نون مضمومة ومعناه الفلك الاعلى وهذه الكواكب الجديدة لا يمكن رصد دورانها على نفسها الا بصعوبة لصغر بعضها فى رأى العين وبعد البعض الآخر بل لا يمكن رصد ماعدا اورانوس الا بالنظارات الفلكية ولهذا سميت عند الافرنج بالسيارات النظارية ويؤمل الافرنج كشف غيرها من السيارات * واما التاريخ فهو أيضا مما ينبغي للانسان الاطلاع عليه لاسيما أرباب الدول ولنذكر لك هنا نبذة لطيفة ذكرها هنا بعض المؤلفين من الافرنج فنقول

التاريخ مدرسة عامة يقصدها من أراد من الامم ان يفوز بالتعلم وهو ايضا تجريبات حوادث الاعصر التي تساعد الحال الراهنة ومن جهة اشتماله على عبر محفوظة يعين المرء على التفكر في ظاهر الآتي فنفسه يعتبر من اعتبر من جميع

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

الناس اياما كان مقامهم لما أنه يظهر على رؤس الاشهاد الآثار الرديئة المترتبة
على تشاجرهم واختلافهم ومثل هذه الصورة المهولة تحملهم على التخلق
بالاخلاق الحميدة مثل الحلم والعدل ومن التاريخ يفهم الملوك انه فى زمن سلطنة
ملك حسن التدبير ينبغى ان تكون شوكة الملك وكرسيه ظلا ووقاية قال بسوه
لو فرض ان التاريخ لا ينفع غير الامراء فانه يجب قراءته للامراء ولكن انما يفتح
التاريخ للعاقل كنوزه ليفهم منها خفياته ورموزه فيشغل فكره مدة
قراءته عن تغيرات معيشة الانسان الباطلة ثم ينتقل من ذلك الى مادة اهم من
ذلك فتنكشف له سلاسل الزمن العديدة التى تمس حلقتها الاخيرة خلق العالم
او ليس أن هذه السلاسل كميدان عظيم يطلع الانسان فيه دفعة واحدة على جميع
الامم والدول وازمان كل فانظر الى هذا المحفل العظيم المحتوى على أرباب سعود
ونحوس فكم فيه من مدائن دمرت ومن دول انقرضت ومن ممالك ذهبت
واندثرت ومن محال خربت ومن مقابر عمرت فكان كل شئ يؤول الى القبور
وهى التى تعلو وحدها على ميدان الارض ثم كم تظهر زينة الحياة الدنيا هينة
حقيرة اذا نظر الانسان من سماء التاريخ وكم يظهر أن الجمعية التى فى زماننا يسيرة
هينة بجانب جمعيات اهالى القرون والاعصار فشتان بين ملوك عصرنا الذين
يمكن للناظر أن يقيس عظمها المحسوس وملوك تلك الازمنة التى يظهر للاعين
كأنهم جبال مرفوعة على دائرة افق الاعصر السالفة وانظر ما تكون حروبنا
الوقتية وحبنا للعلو والشرف الموقتين بجانب منازعة السلف من مبدأ العالم
على مكان من الامكنة او على شبر من أرض فمن نظر حق النظر فى عجائب التاريخ
فانه يكتسى بثياب الجد ويتجرد من ملابس الهزل ويصعد على ذروات النظر
فيرى تحت رجليه أن العالم بأسره اشبه ببحر محيط تسبح فيه سفن آمال الخلق
وامانيهم من غير دقة عرضة للرياح الشديدة وينتهى أمرها الى الانكسار
على ما يصادمها من الشعوب ولا تجد من المراسى ما ترسى عليه غير فرضات
القدم فاذا نظرت من هذا المحل ترى بعين مجردة عن الطمع حطام الدنيا الفانية
والمدح الباطل المقصودين المرغوبين لكثير من الناس كلا شئ او ليس أن للدهر

نكبات

نكبات وتغيرات فى جميع ماوهبه واعطاه فأى مملكة امنا على كرسيها
من السقوط واى دولة أيسنا على تختها من الارتقاع اومارأينا أن الهيكل
الواحد يتداول على محرابه عدة اديان متباينة وكم ارتكبت الرذائل حيث كانت
الفضائل قاطنة وكم من قواعد فخر وغنى آل امرها الى أن اعقبها الفقر والحقارة
وكم شوهد أن الخشونة والتمدن يمشيان بهرولة على سطح الكرة ويتبادلان على
اجزائها من غير تخلل واسطة بينها وكيف قد آل امرك ايتها المدائن التى كنت
عامرة ببلاد آسيا وقد كنت تحكمين على جميع الامم يامدن نينيو يونس وبابل
السحر أويا اصطخر فارس وتدمر سليمان كيف صارت الآن محالك خرابا
وقد كنت كراسى دول العلوم فلم يبق لك من فخارك القديم وبهائك الجسيم
غير الاسم وبعض رسم من حجر ومع ذلك فلم يحل ببلد من بلاد الدنيا من النكبات
العجيبة والبلايا الغريبة مثل ماحل بمصر المباركة المصابة بالشقاء التى كانت
خيولها تسبق سالفا خيول سائر الممالك فى الركض فى ميادين الفخار والعلم
والحكمة فكان الدهر أراد أن يصب على هذه البلاد دفعة واحدة امانعيم
الانعام اوعذاب الانتقام مع انه لم يكن من الامم مثل قدماء مصر فى كونهم
بذلوا جهدهم فى الجلوس على مبانى هياكلهم المشيدة وأرادوا بذلك
أن يكونوا مؤبدين فبادوا جميعا وانقرضوا حتى ان اهل مصر الموجودين
الآن ليسوا جنسا من اجناس الامم بل هم طائفة متجمعة من مواد غير
متجانسة ومنسوبون الى عدة جنوس مختلفة من بلاد آسيا وافريقية فهم مثل
خليط من غير قياس مشترك وتقاطيع شكل صورهم لاتقوم منها صورة متحدة
بها يعرف كون الانسان مصريا من سحنته فكانما سائر بلاد الدنيا اشتركت
فى تأهيل بر النيل انتهى مترجما من مقدمة الخواجا آكوب فى تاريخ مصر
وفى آخرها يمدح ولى النعم محيى بلاد مصر من العدم وقد مدحه ايضا فى قصيدة
فرنساوية سماها نظم العقود فى كسر العود وقد ترجمتها وذكرت بعضا منها
فى الفصل الثانى من المقالة الثالثة وعلم التاريخ واسع وان شاء الله تعالى
بأنفاس ولى النعم يصير التاريخ على اختلافه منقولا من الفرنساوية الى لغتنا

وبالجملة فقد تكفلنا بترجمة على التاريخ والجغرافيا بمصر السعيدة بمشيئته تعالى وبهمة صاحب السعادة محب العلوم والفنون حتى تمتد دولته من الازمنة التى تؤرخ بها العلوم والمعارف المتجددة فى مصر مثل تجددها فى زمن خلفاء بغداد

(الخاتمة فى رجوعنا من باريس الى مصر وفى عدة امور مختلفة)

من المعلوم أن نفس القارى لهذه الرحلة تتطلع الى معرفة نتيجة هذا السفر الذى صرف عليه ولى النعمة مصاريف لم تسبق لاحد من الملوك ولا سمع بها فى التواريخ عند سائر الامم وانما تسطيرها فى تاريخ دولة الخديوى مما يدل على أن حضرته العلوية * صاحبة الهمة العلية * قد تبصرت فى عواقب الامور * واصابت المرمى فى جميع ما شرعت فيه مما يبقى به الذكر على ممر الدهور * ولا شك أن ذلك تقصر عنه همة قيصر * وتكل عن نيل مثله قوة اسكندر الاكبر * ولا يمكن لمثل نابليون أن يفوق فيه نباله * ولا لمثل افريدريقوس أن يوجه اليه باله * او يميل اليه آماله * فكيف وارسال ولى النعمة للافندية الى باريس قد نجح غاية النجاح واثمر * حيث ان جلهم قد اكتسب رضاء صاحب السعادة وسارع فى المطلوب وعن ساعد الجد والاجتهاد شمر * فقد ارضع حفظه الله تعالى فى تلك الديار بالبداء العلوم اطفالا * حتى صاروا بكمال المعارف رجالا * بل منهم من وصل الى رتبة اساطين الافرنج فهم ما بين مدبر للامور الملكية * حائز كمال الرتبة فى السياسات المدنية * كحضرة صاحب البراعة واليراعة رب الطالع السعيد * وذو النجابة والرأى السديد * عبدى افندى وما بين متمكن فى معرفة ادارة الامور العسكرية * راق فيها الى درجة علية * وما بين ربانى بسائر الامور البحرية * او خبير بالطب او بالكيميا الصحيحة المرضية * وبصير بالطبيعيات * وماهر فى علم الزراعة والنباتات * ومنهم فائق الاقران فى الفنون والصنائع * وحرى بفتح فبريقات تشتهر ببراعته بغير منازع * ولولا خوف الاطالة لذكرت جميع من ظفر بقصده من الافندية * على حسب حوزه للمراتب العلية * ولعمرى لا استطيع عدم التعرض لعدة اشخاص قد بلغ فضلهم الغاية فى الامتياز * غير أنى اسلك فى ذكرهم غاية الايجاز * كيف لا أقول ان حضرة

مصطفى مختار بيك افندى قد بلغ درجة كبار الفرنساوية * فى علم ادارة المهمات العسكرية * وقد حاز مرتبة سامية من العلوم * وتمكن من المنطوق منها والمفهوم * ولاشك انه ممتاز بالعلوم التدبيرية * وجامع لمعارف الديار الافرنجية وسع الله به دائرة المعارف بمالك مصر والشام * وجعله مقبولا لدى ولى النعم الاكبر وسر عسكر نجله الضرغام * وليس كل من اكتسب المعارف يصدر عنه عمل اللطائف * قال الشاعر

وعادة السيف ان يزهو بجوهره * وليس يعمل الافى يدى بطل

واما حضرة حسن بيك افندى وكذا الافندية البحريون ففضلهم وكمال علومهم ثابت بالبرهان يدل عليه امتيازهم بين الاقران وشهرة اسطفان افندى غنية ايضا عن البيان فقد حاز من العلوم ما حاز وفاز من الفنون بما فاز ولا ينكر فهم ألطين افندى فى جميع انواع العرفان ولا خليل افندى محمود وتعلم احمد افندى يوسف مشهود غير مجحود * وبالجملة فالجل من الافندية حصل المرام * ورجع لنشر هذا بديار الاسلام * ولنذكر هنا رجوع العبد الفقير الى مصر ليتم غرض هذه الرحلة فنقول * خرجنا من باريس فى شهر رمضان سنة ١٢٤٦ وسرنا نقصد مرسيليا لنركب البحر ونرجع الى سكندرية فمررنا على مدينة فنتنبلو بقرب باريس بها قصر سلطانى وهذا القصر شهير بأن نابليون نزل فيه عن سلطنة فرانسا وخلعها عنه سنة ١٨١٥ من الميلاد ويشاهد به عمود على شكل الهرم مبنى من الحجارة والقصد منه انه تبقى آثاره لتذكر رجوع البربون فى فرانسا فتجد مرسوما عليه اسماءهم وتاريخ ولادتهم وغير ذلك وفى هذه الفتنة الاخيرة محى الخلق هذه الاسامى فلا يشاهد منها الا الاثار وهكذا عادة الزمان فى تلونه بجميع الالوان وغدره وفتكه بقوم واقباله على آخرين قبل تمام يوم قال الشاعر

قتلت صناديد الرجال فلم أدع * عدوا ولم امهل على جيشه خلقا

وأخليت دار الملك بعد ملوكهم * فشردتهم غربا وبددتهم شرقا

فلما بلغت النجم عزا ورفعة * وصارت رقاب القوم اجمع لى رقا

رمانى الردى سهما فأخمد جمرتى * فها أنا ذا فى حفرتى عاطلا ملقى

وكتابة تلك الرسوم من عادة الافرنج تأسيا بالسلف من اهالى مصر وغيرهم فانظر الى بناء اهل مصر للبرابى واهرام الجيزة فانما بنوها لتكون آثارا ينظر بعدهم اليها من رآها ولنذكر لك آراء الافرنج فيها وما ظهر لهم بعد البحث التام حتى تقابله بما ذكره المؤرخون فيها من الاوهام فنقول * ملخص كلام الافرنج ان الذى بناها هو ملوك مصر وانه اختلف فى زمن بنائها فبعضهم زعم انها بنيت من منذ ثلاثة آلاف سنة وان البانى لها ملك يقال له قوف وبعضهم قال ان البانى لها ملك يقال له خميس اوخيوپس والاظهر ان احجارها منحوتة من صعيد مصر لا من البحيرة وقال بعضهم ان مدة بنائها لم تكن أزيد من ثلاث وعشرين سنة وأن العملة الذين بنوها كانوا ثلثمائة وستين ألف نفس ولكن بمصاريف عظيمة حتى أن ما صرف على البصل والكراث للعملة يبلغ على ما قاله بلنياس نحو عشرين مليونا من القروش المصرية ثم ان هذه الاهرام تنسب الى احد ملوك الفراعنة وانه اعد الهرم الاكبر ليضم جثته والآخرين لدفن زوجته وبنته فلم يدفن هو فى الاول بل بقى هذا الهرم الآن مفتوحا واما الهرمان الآخران فدفنت فيهما بنته وزوجته وسدا سدا محكما هذا ما حكاه الافرنج فى شأن الاهرام ومما قيل فى عظم بناء الهرمين العظيمين

خليلى ما تحت السماء بنية * يشابه بنيانها بنا هرمى مصر
بناء يخاف الدهر منه وكلما * على الارض يخشى دائما سطوة الدهر

وقال بعضهم فى الاهرام مضمنا عجز بيت من معلقة طرفة

لقد بت بالاهرام حول احبة * جفونى ببرديابس وتجلد
يقول بها صحبى لبرد جليدها * وهجرى لاتهلك اسى وتجلد

قال السيوطى فى منتهى العقول انه يتعجب من قول العلماء ان أعجب ما فى مصر الاهرام مع ان البرابى بالصعيد اعجب منها والبرابى هى المشهورة عند العامة بالمسلات ولغرابتها نقل اليها الافرنج اثنتين الى بلادهم احداهما نقلت الى رومة فى الزمن القديم والاخرى نقلت الى باريس فى هذا العهد من فائض معروف ولى النعم واقول حيث ان مصر أخذت الآن فى اسباب التمدن والتعلم

على

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

على منوال بلاد اوروبا فهى اولى واحق بما تركه اهاسلفها من انواع الزينة
والصناعة وسلبه عنها شيأ بعد شئ يعد عند أرباب العقول من اختلاس
حلى الغير للتحلى به فهو أشبه بالغصب واثبات هذا لا يحتاج الى برهان لما انه
واضح البيان وقد صنع نابليون فى باريس عمودا مفرغا من المدافع القسى سلبها
من الموسقو والنمسا وقد حاول الموسقو اسقاطه حين حلولهم بباريس فاظهر
الاعجزهم عن ذلك ثم بعد أن جزنا فنتنبلو شاهدنا مدينة تمور بعد سير أربع
ساعات من فنتنبلو وهى على عشرين ساعة من باريس ثم بعدها مررنا على
مدينة كونة على شط نهر ألوارة وهى مدينة تصنع فيها الهلاليب للمراكب
السلطانية ثم على مدينة مولن وبها كثير من اولاد العرب الذين صحبوا
الفرنساوية من مصر الى فرانسا ثم سرنا حتى وصلنا مدينة روانة وهى على سبعة
وتسعين فرسخا فرنساويا على جنوب باريس قبل الوصول الى مدينة ليون
بثلاثة عشر فرسخا واهلها تسعة آلاف نفس وبها ديوان مشورة للفبريقات
ومشورة للزراعة وكتبخانة ومخزن آلات طبيعية وهندسة وبها قنطرة ظريفة
على نهر لوار ورصيف مشهور وهى ساحل لمركز تجارات ليون وغيرها من سائر
انواع البضايع وبأراضيها مقاطع الرخام ونهر لوارة يمكن المسير فيه بقرب هذه
المدينة وهذه المدينة غير مدينة روان البعيدة عن باريس جهة الشمال بثلاثين
فرسخا والتى يمر بها نهر السين والتى هى من اقليم نورمنديا ثم وصلنا الى مدينة
ليون وقد تقدم الكلام عليها ثم وصلنا الى مدينة اورغون التى على جنوب
باريس بمائة وثمانية وسبعين فرسخا فرنساويا وهى فى سفح جبل شهيرة بكون
نابليون حال عبوره بها تخفى خوفا من اهلها ولا زلنا نمر ببلاد حتى وصلنا الى
مرسيليا وقد تقدم الكلام عليها مستوفيا * ومنها انزلنا فى سفينة تجارية وسرنا
قاصدين اسكندرية ولا حاجة ايضا الى ذكر ما شاهدناه لانه عين ما سبق
فى المقصد غاية ما نقول ان كل من يعرفنى من الفرنساوية طلب منى انى بمجرد
دخولى اسكندرية اذكر ما يقرع فكرتى مما استغربه لبعد عهدى من مصر
ولرؤيتى خلافه فى بلاد الافرنج وتعودى على مشاهدة غيره يظهر لى غرابة ما أراه

اول وهلة حين وصولى فوعدت ووفيت هذا حاصل ما كان لخصت حسب الامكان فلم يبق علينا حينئذ الا ذكر خلاصة هذه الرحلة وما دققت فيه النظر وأمعنت فيه الفكر فأقول ظهر لى بعد التأمل فى آداب الفرنساوية واحوالهم السياسية انهم اقرب شبها بالعرب منهم للترك ولغيرهم من الاجناس واقوى مظنة القرب بأمور كالعرض والحرية والافتخار ويسمون العرض شرفا ويقسمون به عند المهمات واذا عاهدوا عاهدوا عليه ووفوا بعهودهم ولا شك ان العرض عند العرب العرباء أهم صفات الانسان كما تدل على ذلك اشعارهم وتبرهن عليه آثارهم قال الشاعر

وانى لحلو للصديق واننى * لمر لذى الاضغان ابدى له بغضى
وانى لاستغنى فما ابطر الغنى * وابذل ميسورا لمن يبتغى قرضى
واعسر أحيانا فتشتد عسرتى * وادرك ميسور الغنى ومعى عرضى

وهتك العرض هو ما يعبر به عندهم بالسبة والعار قال الشاعر

تعيرنا انا قليل عدادنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وانا لقوم ما نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول لما قال الكرام فعول
سلى ان جهلت الناس عنا وعنهمو * فليس سواء عالم وجهول

ولا يظن بهم انهم لعدم غيرتهم على نسائهم لا عرض لهم فى ذلك حيث ان العرض يظهر فى هذا المعنى اكثر من غيره لانهم وان فقدوا الغيرة لكنهم ان علموا عليهن شيأ كانوا اشر الناس عليهن وعلى انفسهم وعلى من خانهم فى نسائهم غاية الامر انهم يخطؤن فى تسليم القياد للنساء وان كانت المحصنات لا يخشى عليهن شئ كما قال الشاعر

اذا غاب عنها البعل لم تفش سره * وترضى اياب البعل حين يؤوب

قال الزمخشرى عند قوله تعالى حكاية عن قول العزيز واستغفرى لذنبك

انك

انك كنت من الخاطئين ما كان العزيز الا حليما وقيل انه كان قليل الغيرة قال الشيخ اثير الدين ابو حيان فى تفسير هذه الاية الكريمة وتربة مصر اقتضت هذا يعنى قلة الغيرة واين هذا مما جرى لبعض ملوك بلادنا وهو انه كان مع ندمائه المخصصين به فى مجلس انس وجارية تغنى وراء الستارة فاستعاد بعض جلسائه بيتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فما لبث أن جيئ برأس الجارية مقطوعا فى طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط مغشيا عليه ومرض مدة حياة ذلك الملك اقول واين غيرة هذا الملك من غيرة عبد المحسن الصورى على محبوبه حيث قال

تعلقته سكران من خمرة الصبا * به غفلة عن لوعتى ونحيبى
وشاركنى فى حبه كل ماجد * يشاركنى فى مهجتى بنصيب
فلا تلزمونى غيرة ما ألفتها * فان حبيبى من أحب حبيبى

انتهى سكردان ابن حجلة صاحب ديوان الصبابة وبالجملة فسائر الامم تشكى من النساء ولو العرب قال الشاعر

لقد باليت مظعن ام اوفى * ولكن ام اوفى لا تبالى

وقال آخر

فان تسألونى بالنساء فاننى * بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أوقل ماله * فليس له فى ودهن نصيب
يردن ثراء المال حين علمنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب

وحيث ان كثيرا ما يقع السؤال من جميع الناس على حالة النساء عند الافرنج كشفنا عن حالهن الغطاء وملخص ذلك ايضا أن وقوع المخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتى من كشفهن اوسترهن بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره وعدم التشريك فى المحبة والالتئام بين الزوجين وقد جرب فى بلاد فرانسا أن العفة تستولى على قلوب النساء المنسوبات الى الرتبة الوسطى من الناس دون نساء الاعيان والرعاع فنساء هاتين المرتبتين يقع عندهم الشبهة كثيرا ويتهمون فى الغالب فكثيرا ما كانت تتهم الفرنساوية

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

نساء العائلة الملكية المسماة البربون على أن مما يقوى كلامهم ما وقع لزوجة ابن ملك فرانسا المعزول التى هى ام الدوك دو بردو الذى خلع عليه جده المملكة بعد عزله ولم يقبله الفرنساوية وقالوا ان هذا الولد ابن زنا فان امه ولدت ولدا آخر من الزنا وادعت أنها تزوجت سرا فانكسر بذلك ناموسها وبعد ان كانت تطلب مملكة فرانسا لابنها الاول وكانت اخذة فى اسباب توليته وكان يخشى منها وقوع شئ فى المملكة سقطت من الاعين وبعد أن وقعت فى يد الفرنساوية وكان بطن هلا كها تركوا سبيلها قائلين انها صارت مهملة ورجعت الى اهلها بولدها الاخير ومن أغرب ما وقع ببلاد الافرنج فى هذا الامر أن ملك الانكليز جرجس الرابع اتهم زوجته بالفاحشة بعد أن عهد منها ذلك المرار العديدة واشتهرت بذلك عند الخاص والعام لكونها كانت تسافر ببلاد الافرنج مع من تريد ولها فى كل محل عشاق فلما رفع امرها عند شرعهم واقيمت الدعوى كما ينبغى وقصد باثبات زناها طلاقها ليتزوج بغيرها فلم تثبت امور كافية فى الطلاق فحكم القاضى بابقائها على عصمته قهرا عنه فبقيا متفرقين ولكن لم يتزوج غيرها وذاع امرهما وشاع ولكن فى الحقيقة وان كان يعتقد فيها ذلك الا أنه بمجرد القرائن لا بالمشاهدة والا لاتثلم عرضه فشادة العرض التى تشبه الفرنساوية فيها العرب هو اعتبار المروءة وصدق المقال وغير ذلك من صفات الكمال ويدخل فى العرض ايضا العفاف فانهم تقل فيهم دناءة النفس وهذه الصفة من الصفات الموجودة عند العرب والمركوزة فى طباعهم الشريفة وان كانت الآن قد تلاشت فيهم واضمحلت فانما هو لكونهم قاسوا مشاق الظلم ونكبات الدهر واحوجهم الحال الى التذلل والسؤال ومع ذلك فقد بقى منهم من هو على اصل الفطرة العربية عفيف النفس على الهمة كما قال الشاعر

فدعنى ونفسى والعفاف فاننى * اخذت عفافى فى حياتى دينى
واصعب من قطع اليدين على الفتى * صنيعة بر نالها من يدى دنى

واما الحرية التى تطلبها الافرنج دائما فكانت ايضا من طباع العرب فى قديم الزمان كما تنطق به المفاخرة التى وقعت بين النعمان ابن المنذر ملك العرب وكسرى

ملك

ملك الفرس وصورتها أنه قدم النعمان على كسرى وكان عنده وفود الروم والهند والصين والعجم والترك وغيرهم فذكروا من ملوكهم وبلادهم وعماراتهم وحصونهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم ولم يستثن فارسا ولا غيرها فقال كسرى وقد اخذته الغيرة يانعمان لقد فكرت فى العرب وفى غيرهم من الامم ونظرت فى حال من يقدم على من الوفود فوجدت الروم لها حظ فى اجتماع الفتها وعظيم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق دينها ورأيت الهند شهيرة الحكماء طيبة الثراء كثيرة الانهار والبلاد والثمار عجيبة الصناعة مرونقة الحسان معمورة بالاهل وكذلك الصين عجيبة فى اجتماعها وكثرة صنائع ايديها وهمتها فى الحروب وصنعة الحديد وان لها ملكا يجمعها وكذلك الترك مع ماهم عليه من سوء الحال فى المعاش وقلة الريف والثمار والحصون وماهو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس فان لهم بعد ذلك ملوكا تضم قاصيهم وتدبر امورهم ولم أر للعرب شيأ من ذلك من خصال الخير فى امر دين ولا دنيا ولا حرمة ولا قوة ولا عقد ولا حكمة مع مايدل على تدانيها وذلها وضعف همتها بحالهم التى هم بها مع الوحوش النافرة والطيور الحائرة يقتلون اولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة قد حرموا من مطاعم الدنيا ومشاربها وملابسها ولهوها ولذاتها واعظم طعام ظفروا به لحوم الابل التى يعافها كثير من الطيور والسباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها وان أقرى احد ضيفا اعتدها مكرمة ولن اطعم لقمة عدها غنيمة تنطق بذلك اشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم ماعدا هذه التنوخية التى اسس جدى اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها ليجرى له ذلك الى يومنا هذا فان لها مع ذلك آثارا وحصونا واموالا تشبه اموال بعض الناس لكنى اراكم لا تسكتون على مابكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس حتى تفتخرون وتريدون أن تنزلوا فوق مراتب الناس فقال النعمان اصلح الله الملك صدقت ان هذه الامة تسمو بفضلها وبعظم خطبها وعلو درجتها الان عندى جوابا فى كل مانطق به الملك من غير رده عليه ولا تكذيب له فان امتنى من الغضب

عما أتكلم به فعلت قال كسرى وأنت آمن فقال النعمان اما امتك فلا تنازع في الفضل لموضعها التي هي به من عقولها واخلاقها وبسطة محلها وبحبوحة عزها وما كرمها الله تعالى به من ولايتك وولاية آبائك واجدادك واما الامم التي ذكرت فاي امة الا فضلتها العرب بفضلها قال كسرى لماذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وذمتها وبأسها ورياستها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها ووفائها فاما عزها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة لآبائك واجدادك الذين فتحوا البلاد ووطنوا العباد واقاموا الملك وقادوا الجيوش ولم يطمع فيهم طامع ولم يزالوا عندهم محترمين ولا نال احدا منهم نائل بل حصونهم ظهور خيولهم ومهادهم الارض وسقوفهم السماء والى جانبهم السيوف وعدتهم السقف اذ غيرها من الامم انما عزها بالحجارة والطين والجزائر والبحور والقلاع والحصون واما حسن وجوهها وألوانها فقد يعرف بذلك فضلهم على الهند المحترقة والصين المنجمشة والترك المشوهة والروم المقشرة الوجوه واما انسابها واحسابها فليس امة من الامم الا وقد جهل آباؤها واصولها وكثير من اولها وآخرها حتى ان احدهم ليسأل عمن وراء أبيه فلا ينسب ولا يعرفه وليس احد من العرب الا ويسمي آباءه ابا فأبا احاطوا بذلك احسابهم وحفظوا بذلك انسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينسب الى غير نسبه ولا يدعى الى غير ابيه واما سخاؤها فان ادناهم رجلا يكون عنده البكرة والناب عليها بلغته وحمولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يقتدي بالقادة ويجتري بالشربة فيعقرها له ويرضى ان يخرج له عن دنياه كلها فيما يكسبه من حسن الاحدوثة وطيب الذكر والثناء واما حكمة ألسنتها فان الله تعالى اعطاهم اشعارا ورونقا وكلاما وحسن وزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشارة وضربهم الامثال وبلاغتهم في الصفات ما ليس من ألسنة الاجناس ثم ان خيولهم افضل الخيول ونساءهم اعف النساء ولباسهم احسن اللباس ومعادنهم الذهب والفضة واحجار جبالهم الجزع ومطاياهم التي لا يبلغ الاعلى مثلها سفر ولا يقطع الا بمثلها بلد قفر واما دينها وشريعتها فانهم متمسكون به أعظم تمسك

وأن لهم أشهرا حرما وبلدا محرما وبيتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون
فيه ذبائحهم فيلقى الرجل فيه قاتل ابيه واخيه وهو قادر على اخذ ثاره منه
وادراك رغمه فيه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله اياه احتراما لذلك البيت
وتشريفا له واما وفاؤهم فان احدهم يلحظ اللحظة فهى عقد لا يحلها الا يرجع عما
اضمره فى نفسه حتى يبلغه وان احدهم يرفع عودا من الارض فيكون رهنا
بدينه فلا يطلق رهنه ولا يخفر ذمته خوفا من الله تعالى وان احدهم يبلغه
أن احدا استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره فيمنع عنه عدوه ويحميه
منه ولو تفنى قبيلته او تلك القبيلة التى استجار عليها وذلك لما أخفر من جواره
وان احدهم ليلجأ اليه المحروم والمحدث عنه بغير معرفة ولا قرابة فينزلونه عندهم
وتكون انفسهم واموالهم دون ماله واما قولك ايها الملك حفظك الله انهم يقتلون
اولادهم من الحاجة فانما يفعله من فعله منهم رغم أنفه حذرا من العار وخيفة
وغيرة من الازواج * واما قولك ايها الملك ان افضل طعام ظفروا به لحوم الابل
على ما وصفت منها فما تركوا ما دونها الا احتقارا له فعمدوا الى اجلها
وافضلها فكانت مراكبهم ومطاعمهم مع انها اكثر البهائم لحوما واطيبها شحوما
وارقها ألبانا واقلها غائلة وأحلاها مضغة وانه لا شئ من اللحوم يفاخر لحمها
الا استبان فضلها عليه * واما محاربتهم واكلهم بعضهم بعضا وتركهم الانقياد
الى رجل واحد يسوسهم ويدبر امورهم فانما يفعل ذلك من الامم من علمت
الضعف من انفسها وتخوفت من نهوض عدوها عليها فانهم يحتاجون الى ملك
يدبر امرهم ويكون رجلا من اعظمهم شأنا وقدرا ويكونون معترفين بشرفه
على سائرهم فينقادون اليه بأزمتهم وينقادون الى امره * واما العرب ايها الملك
فان كثيرا فيهم لعظم كرمهم ووفائهم ودينهم وحكمة ألسنتهم وسخاء نفوسهم
يقولون انهم ملوك بأجمعهم مع رفعتهم فلا ينقاد أحد الى الآخر فلهم اشراف *
واما اليمن التى وصفها الملك فان آباءك واجدادك اعلم بصاحبها لما أتاه ملك
الحبشة فى مائتى ألف وتغلب على ملكه وجاء الى بابك وهو مستصرخ ذليل حقير
مسلوب فلم يجره أحد من اجدادك ولا آبائك فاستجار بالعرب فأجاروه ولولا

ماوتربه من بلية العرب لمال الى نقص ولم يرجع الى محله ولولا انه وجد من يجيد معه الطعان بقتل الاحرار وتبدد شمل الكفار وبذبح العبيد الاشرار لم يرجع الى اليمن قال فعجب كسرى مما جاء به النعمان ثم قال له انك لاهل لموضعك من الرياسة ولاهلك ولاهل اقليمك ولما هو افضل منه ثم كساه وانعم عليه واعطاه اشياء جزيلة ثم سيره الى موضعه من الحيرة ثم بعد ذلك سير اليه وقتله * والتنوخية فرقة من اليمن قال المتنبي على لسان بعضهم

قضاعة تعلم أني الفتى الـــذي ادخرت لصروف الزمان

ومجدى يدل بنى خندف * على أن كل كريم يمان

انا ابن اللقاء انا ابن السخاء * انا ابن الضراب انا ابن الطعان

انا ابن الفيافي انا ابن القوافي * انا ابن السروج انا ابن الرعان

طويل النجاد طويل العماد * طويل القناة طويل السنان

حديد اللحاظ حديد الحفاظ * حديد الحسام حديد الجنان

يسابق سيفي منايا العباد * اليهم كأنهم في رهان

يرى حده غامضات القلوب * اذا كنت في هبوة لا اراني

سأجعله حكما في النفوس * ولو ناب عنه لساني كفاني

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال حضر رجل من اهالى مصر الى عمر بن الخطاب وجعل يشكو من عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين ان هذا مقام العائذ فقال عمر لقد عذت فما شأنك قال تسابقت بفرسي انا وابن عمرو بن العاص فسبقته فحمل على بسوط في يده وجعل يقنعني بالسوط ويقول لى انا ابن الاكرمين وبلغ ذلك لعمرو بن العاص فخشى أن آتيك لاشتكى ولده وحبسني فتفلت من الحبس وها أنا قد اتيتك قال فكتب كتابا عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص انه اذا اتاك كتابي هذا احضر الموسم يعنى الحج انت وابنك ثم التفت الى المصرى وقال له قم حتى يأتي غريمك فلما حضر عمرو بن العاص وابنه الحج وجلس عمر بن الخطاب وجلسوا بين يديه وشكى المصرى كما شكى اول مرة فأومأ عمر بن الخطاب وقال له خذ الدرة وانزل بها عليه قال فدنا المصرى

من

من ابن عمرو بن العاص ونزل عليه بها وعن أنس قال والله لقد ضربه ونحن
نشتهى أن نضربه فلم يزل يضربه حتى استحيينا أن لا يضربه وذلك من كثرة
مايضربه وعمر رضى الله عنه يقول اضرب ابن الاكرمين قال عمرو بن العاص
قد شفيت يا أمير المؤمنين قال عمر بن الخطاب للمصرى انزع عمامته وضع الدرة
على صلعة عمرو نخاف المصرى من ذلك وقال يا امير المؤمنين قد ضربت من
ضربنى فمالى اضرب من لم يضربنى فقال عمر رضى الله عنه والله لو فعلت لما
منعك احد ثم التفت رضى الله عنه وقال لعمرو بن العاص متى استعبدت
من ناس وقد ولدتهم امهم احرارا انتهى فمنه يفهم أن الحرية ايضا من طباع
العرب من قديم الزمان * هذا ولا ينبغى لنا أن نختم هذه الرحلة من غير أن نشكر
محاسن من ساعد ولىّ النعم فى نجاح مقصوده من ترتيب امور التلامذة وتعليمهم
بمدينة باريس محب البلاد المصرية واهلها الخواجة جومار فانه يسعى بهمته
ورغبته فى تنفيذ مقصد افندينا ولىّ النعم ويسارع فى المصلحة بلا انكار فكانه
من ابناء مصر البارين بها فهو جدير بأن ينتظم فى سلك المحبين للذات الخديوية
ومما يدل على ذلك غاية الدلالة ماذكره فى روزنامته التى ألفها لاستعمال مصر
والشام سنة ألف ومائتين وأربع وأربعين من الهجرة فانه ذكر فيها انه ان
صدرت له ارادة سنية واوامر خديوية ليؤلفن كل عام روزنامة بهذا الوضع ليعين
على حسن تمدن الايالات المصرية فمن جملة ماقاله فى مقدمته انه يذكر فى هذه
الروزنامة عدة امور * الامر الاول الدلالة على تقدم الحرف والصنائع اللازمة
لمصر من اولها لآخرها * الثانى تجارة اهالى اوروبا وآسيا وافريقية كقوافل
بلاد البربر ودارفور وسنار وبلاد الحجاز ومقابلة الاقيسة والمكاييل والموازين
المختلفة باختلاف البلاد المستعملة هى فيها * الثالث ذكر امور الزراعة فانها
كانت سببا فى سالف الاعصر فى غنى اهل مصر فلهذا ينبغى ان تكون
اول ماتهتم به الدولة فى مملكة مصر الطيبة التربة والزراعة كثيرة الفروع المهمة
فمن ذلك علم توفير المصاريف الخلائية ويتشعب عنه اصلاح المزارع والمروج
المستحدثة المدبرة وتتميم زراعة القطن والنيلة والعنب والزيتون والتوت

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

واستخراج دقيق النيلة واستخراج انواع كثيرة من الزيوت ومعرفة تربية النحل ودود القز ودود الصباغة وتعهد الحيوانات الاهلية وتحسين الحيوانات البلدية بعزلها عن غيرها كالخيل والمعز وحيوانات الاصواف وجلب البهائم البرانية ومعرفة طب البهائم ومعالجة امراضها كمرض السواف وحفظ الحبوب من السوسة وغرس الاشجار وترتيبها بحافات الطرق وخدمة البساتين وسائر الابنية الخلائية المناسبة لمصالح الزراعة وفى مادة الزراعة تذكر الترع والخلجان المعدة لسقى الاراضى وللاسفار وكذلك تذكر الطرق والجسور والقناطر فى السهول والجبال المعدة لتوصيل المياه فهذه كلها تذكر فى الفلاحة * الرابع تتكلم على امور مختلفة من علوم الطبيعة ومن علم المواليد الثلاثة ومن العلوم الرياضية وهنالك تتكلم على المادة المغناطيسية التى تستعملها الاطباء فى معالجة الشلل ونحوه وكذلك القوة الكهربائية والحرارة الكروية والحوادث السماوية والندى والمطر الذى يحدث بين المدارين وكذلك تتكلم على احجار الصواعق وعلى جبال النار المسماة بالبركانية وعلى الآلات الطبيعية كميزان الزمان وميزان الحر وميزان الرطوبة ووقاية الرعد والنظارات الفلكية والنظارات المعظمة للاشياء الدقيقة التى لا يدركها النظر * وتتكلم ايضا على علم المعادن واستخراجها وقطع الحجارة من مقاطعها وعلى علم الحشائش الطبية والنباتات المستعملة فى الفنون والصنائع وعلى البهائم النافعة وعلى علم الجبر والمقابلة والهندسة * الامر الخامس يشتمل على جملة فروع من علم توفير المصاريف وسياسة الدولة وعلى تنبيهات على علم احوال الممالك والدول وعلى سبب ثروتها وغنى أهلها وعلى أحوال المعاش والمعاد وعلى ولادة الذكور والاناث فى كل بلدة من البلاد وعلى الادارة الملكية وعلى الاصول العامة المستعملة أساسا لسياسات الافرنج وهى الحقوق العقلية والحقوق القانونية والحقوق البشرية اى الحقوق التى للدول بعضها على بعض * السادس سياسة الصحة العمومية والخصوصية ففى ذلك تتكلم على تلقيح البقرى للجدرى وعلى الطاعون ومعالجاته وعلى الامراض

والعوارض

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

والعوارض العامة وعلى بعض تشريح * السابع نذكر فيه جملة تعليمات مختلفة من مسائل أدبية وفلسفية ولغات وعلوم مثل علم الفصاحة * وفيه نتكلم ايضا على المكاتب والمدارس فى البلاد المختلفة ونبذات فى تواريخ البلاد خصوصا مصر وعلى حكايات ونوادر من غرائب الآداب والبلاغة الافرنجية والمشرقية وكذلك نذكر شيأ من علم المنطق ونبين الوسايط المسهلة المعلمة بالايجاز للقراءة والكتابة والحساب وطرق تعليم هذه الاشياء فى أقرب زمن لسائر العامة * الثامن نبحث فيه عن عدة اشياء متنوعة وفيه نذكر أخبار التجارة والسفن البحرية واقامة العربات العامة وتحسين الطرق والترع والخلجان والقناطر المعلقة والاشارة المسماة تيلغراف يعنى اشارة الاخبار وجميع الاشغال المتجددة عند الافرنج ونضم لذلك لوحات اشكال لكمال الفائدة وكذلك نرسم خرطات جغرافية وصور النباتات والحيوانات التى تنقل من البلاد الغريبة وتربى فى مصر ونذكر كثيرا من الامور التى تتجدد على تداول الازمان وبالجملة فنذكر نبذا صغيرة متشعبة من اصول عظيمة ومستفادة من أفواه الثقات سهلة الفهم لسائر الناس ولانستعير منها شيأ من صعاب الكتب انتهى كلامه ولم ينجز ماوعد به لانه علق ذلك على الارادة السنية ولم يصدر له امر الى الآن وبالجملة فهو من المولعين بحب مصر ظاهرا وباطنا ومن الراغبين فى خدمة ولى النعم حباله ولدولته

وهذا آخر مايسره الله سبحانه وتعالى فى ذكر حوادث السفر لتلك الجهة التى لا ينكر معارفها الامن لاانصاف عنده ولامعرفة له قال الشاعر

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم
والفضل كالشمس لايخفى على أحد * الاعلى أكمه عمايراه عمى

ولا ينبغى أن يمنع ذو الحق حقه كما قال الشاعر فى هذه الابيات المملوءة من الحكمة

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصه
وان ناصح منك يوما دنا * فلا تنأ عنه ولا تقصه

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

وان باب امر عليك التوى * فشاور لبيبا ولا تعصه
وذو الحق لا تنتقص حقه * فان القطيعة فى نقصه
ولا تذكر الدهر فى مجلس * حديثا اذا كنت لم تحصه
وقص الحديث الى أهله * فان الوثيقة فى قصه
ولا تحرصن فرب امرئ * حريص مضاع على حرصه
وكم من فتى ساقط عقله * وقد يعجب الناس من شخصه
وآخر تحسبه أنوكا * ويأتيك بالامر من فصه

ولا احد يخلص من قال الناس وقيلهم كما قال الشاعر

ومن ذا الذى ينجو من الناس سالما * وللناس قال بالظنون وقيل

وحيث كان العمل بالنية * والمدار على حسن الطوية * فلا معوّل على من لم يكن نير السياسة * ساطع الكياسة * ولا اكتراث الا بمن رقى رتبة علية فى الرسوم والقوانين وتشبث بالشريعة وكان فيها ذا رياسة * ودرى أن القصد انما هو حث أهل ديارنا على استجلاب ما يكسبهم القوة والبأس * وما يؤهلهم لاملائهم الاحكام على هؤلاء الناس * وبالجملة فنحن الآن على ما كان عليه الامر فى زمن الخلفاء العباسية كما قال الشاعر

وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه * واول الغيث قطر ثم ينهمل

ولبعض أقاربى

يامن غدا معجبا مما اقترحت وقد * اضحى يروم مقال العاذل اللاحى
اما رأيت اذا شمس الضحى غربت * يلجى الحريص الى ضوء بمصباح

وقال آخر

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا يكون له فى الارض اثار

وعلى كل حال فأرجو ممن نظر فيه أن يتصفحه بجملته ليكون على بصيرة مما يقول فان المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل منه ولا أقول الا كما قال الشاعر

فاليك وشيا حاكه * فى الطرس ذو باع قصير

واستر

واستر اذا عيب بدا * والله يعفو عن كثير

ولنختمها بالدعاء للحكومة الخديوية حماها الله وذريتها وجعلها سامية القدر بين دول الممالك المشرقية والمغربية شعر

فتية لم تلد سواها المعالى * والمعالى قليلة الاولاد

متع الله مصر وايالاتها بما أفاضه عليها ولى النعم من حسن التمدن والعدل * وأمد لها أيامه بجاه خاتم الرسل الذى على مولاه دل * وحيث وافق من الطبعة الثانية تمامها * وصادف بالعناية ختامها * مبدأ تولية ولى النعم * وفى الكرم الذى سر بولايته الحاضر والبادى * والرائح والغادى * وحسن عند الخاصة والعامة منه المبادى * وله على الرعايا فى القديم والحديث جزيل النعم وجميل الايادى * من سلك جادة العدل والانصاف وعن مفازة الجور والاعتساف تحاشى * سعادة افندينا الاكرم الحاج عباس باشا * وكانت قد تشرفت مدرسة الالسن بتهنئته بالقدوم من حجه المبرور * وتقلده بمنصب الولاية الذى ادخل على الجميع السرور * فى ضمن قصائد لاتفى من مديحه بالمعشار * ولو نشرت بساط الاسهاب والاكثار * كما قلت

ماذا قصائد شاعر * لو أنه فيها مجيد

فى مدح من يروى العلا * والمجد عن عبد المجيد

احببت أن احلى طرس هذه الرحلة من تلك القصائد بفرائد * ليسوغ بذلك مشربها للصادر والوارد * فابتدأت منها بقصيدتى السينية * المتضمنة لبعض أوصافه السنية * فقلت

مابال مصر وقد جلت عن باسها * وافتر ثغر البشر من عباسها

وروت حديث الجود عنه مثل ما * روت ارتفاع النيل عن مقياسها

مابالها حيث الامانى قد وفت * باب الرجى من بعد شدة يأسها

مابالها حيث الحفيد يسوسها * ويزيد تشييدا لرفع أساسها

شبل تأسد حيث ساد كأصله * هل تترك الآرام حفظ كناسها

ان سار نحو الحج خلف وحشة * اوعاد عادت مصر فى ايناسها

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

فلسا نهـابالشكر يلهج والثنا * والشكر للنعما اجل لباسها
لاغروان دانت له مصر فقد * أسدى له طسن محبة ناسها
ربحت تجارة من خزائن ماله * قلب الرعية وهو من حراسها
صدر وبالاخلاص مفرد عصره * يشفى صدور الناس من وسواسها
لما رقى العلياء رق لحالها * وصفت وراقت منه خمرة كاسها
بشرى الاهالى اذوفاها سعدها * فى فرط يقظتها وفقد نعاسها
قدكان يوم فدائه شبانها * تاريخ طرد مرانها ومراسها
جادت به مصر وحازت سوددا * ببدوه اذكان نتج غراسها
هو من بنيها حيث والى برها * فلدى الولاية لاتقل له واسها
فجده يحيى ما ترجده * ويمد بالتأييد قوة باسها
بالالمعية لايسام ذكاؤه * ان شئت قسه بقسها واياسها
وسلالة علوية هو دوحها * وبيان معناها بديع جناسها
وفصاحة عربية هوربها * وبراعة هو منتهى نبراسها
وعقيدة مما يشين سليمة * تأبى طموح النفس فى اهجاسها
هو جسم مصر وفرد جوهر روحها * فاعجب لفرد وهو جمع حواسها
تزهو به مصر كيانع جنة * تزهو بروض شقيقها وآسها
واذا المروءة قابلته بأصله * وفت النتيجة طبق شكل قياسها
يرمى العفاة بطارف وبتالد * رمى الكماة السهم عن اقواسها
ان احبست وقفا عليه حبها * فالخير كل الخير فى احباسها
يوم الولاية كان يوم مسرة * فرحت به امم على أجناسها
فشريعة الاسلام زاد فخارها * وتشيدت بالعز بعد دراسها
واولو العهود به تقوى جاشها * امنا وقد شدت عرى استئناسها
ماذا مديحى وهو بدر طالع * يرقى من الجوزاء ذروة راسها
وسيرتقى فى الفخر اقصى شأوه * ان تضرب الاخماس فى اسداسها
ما جل قصدى فى قصيدى كثرة * بل زينة الابيات سبك حماسها

حسبي

حسبي القبول اجازة لقصيدتي * ارج القبول يفوح من انفاسها
هي بنت هذا الفكر عباسية * نور الخلافة لاح في قرطاسها

(وقال ابراهيم افندي مرزوق خوجه بمدرسة الألسن مهنئا لولي النعم الاكرم بالقدوم من الحج مطرزا الاسم واللقب)

علو رأيك في الآفاق مشهور * وسيف عزمك للعلياء مشهور
بوحدة المجد فقت السبع منزلة * وبيت مجدك مرفوع ومعمور
أنت الفريد الذي حازت خلائقه * ما ليس يبلغه حصر وتقدير
سست البلاد وأهليها فما أحد * الا بعدلك والاحسان مأسور
بهمة قيصر لو نال أيسرها * ما كان نال مناه منه سابور
اسست بالدين والتقوى علاك وكم * للدين عندك تعظيم وتوقير
شاهدت انوار بيت الله ساطعة * فعم وجهك نور فوقه نور
ان تسع نحوك من اقصى المدى رتب * فقد أفادتك أن الحج مبرور
حج به نلت ما املت من شرف * وانت فيه بفضل الله مأجور
لافضل اعظم من هذا وانت به * اولى ولله ألطاف وتدبير
من ذا يدانيك في مجد وفي كرم * وبحر جودك بالاحسان مغمور
يا واحد الملك زد عزا وزد شرفا * فكل شخص بما اوتيت مسرور
ومصر قد نشرت اعلام بهجتها * شوقا اليك وروض البشر ممطور
ان كان ذا الدهر اصمانا برميته * فكل ذنب له مذ جئت مغفور
لم يبق في الارض لا بدو ولا حضر * الا علا منه تهليل وتكبير
يا ايها الصدر عذرا عن مديح فتى * به عن القول في علياك تقصير
ما مدح مثلي وكل بالثنا لهج * وكل لفظ اتى في المدح اكسير
من بكر فكر تروق الطرف بهجتها * كأن سامعها في الناس مسحور
روح القبول بها قالت مؤرخة * بشراك حجك يا عباس مشكور

٥٦٦ ١٤٤ ٣١ ٥٢٣

١٢٦٤

وله ايضا تهنئة لولي النعم الاعظم بالمنصب الاعلى * الذي عالي جنابه

ياروض حسن فى حديقة آس * ماللمحب سوى وصالك آسى
ماحيلة الآسى وعقلى والحشا * ما بين كاس طلا وظبى كناس
ماحيلة الآسى ومالك مهجتى * صلف كثير التيه صعب مراس
وارى غرامى والجوى من طرفه النعاس اومن قده المياس
هو شمس حسن ان بدت ظلت لها الأحداق بين محقق اوخاسى
بهرت محاسنه العقول وزاده * حسنا عذار للملاحة كاسى
يا عاذلى وأنا الوفى بعهده * لومر صبرى اوحلالى ياسى
سل شعره عن طول ليل بته * وخلعت فيه على الخلى نعاسى
قصرت به زهر النجوم وصبوتى * طالت وذكرى موحشى ايناسى
سهر ألذ من الكرى لماسرى * طيف الخيال ولم يكن بمواسى
ماذا عليه لو أفاد بأننى * نشوان من دمعى وجفنى كاسى
مالى نديم لا ولا شاق له * قلب على اهل المحبة قاسى
أبنقطة فى خده يرجو الوفا * دمع زيادته بلا مقياس
والوعد والطرف السقيم وخصره * كل بعهدى فى الهوى متناسى
وأرى الصبا ازكى رسول فى الهوى * لمراقب الواشين والحراس
فيخص ذا وجد بما يهفو له * وتنم نفحته على الجلاس
ارأيت حين سرى الى مبشرا * بالقرب من ظبى الكناس الناسى
وظللت فيه زهير وقتى منشدا * بالله قل ياطيب الانفاس
من اين هاتيك الشذا لك ياصبا * ماذاك عن ورد ولا عن آس
عمن احب رويت لا بل ذاك عن * اخلاق والى مصرنا عباس
عباس المولى الذى أخلاقه * اصفى من الراح احتساه الحاسى
مولى لطالب رفده ولضده * يرجى ويخشى فى الندى والباس
مولى توافقت الورى فى حبه * وهواه بين تباين الأجناس
اكرم به فى حكمه من عادل * بجميل لطف للانام يواسى

فكا نما

فكأنما الرحمن صور شخصه * مما تألف من قلوب الناس
ماحلم أحنف ماسماحة حاتم * ماكر عنتر ماذكاء اياس
من قاسه بسواه ممن قدمضى * كانت نتيجته بغير قياس
هو ماله فيما حواه مشابه * من حسن اخلاق وطيب غراس
من شاد تالد مجده آباؤه * فطريفه قدجاء فوق أساس
ان كان من حلم و بشر خلقه * فالباس دكدك كل طود راسى
فرحت به مصر وزاد سرورها * وانجاب عنها طارق الاهجاس
لولاندى هذا العزيز وبره * لرحلت عن وطنى العزيز وناسى
نشر الامان بها واجرى عدله * وازال ما بالصدر من وسواس
عدل به نفس العباد توطنت * من بعد ماقد كان من ايجاس
وامتد موكبه الشريف يحفه * افراط بشر بل مزيد حماس
ويزينه الخط الشريف مكللا * باسم شريف فيه كالنبراس
عبد المجيد الشهم سلطان الورى * من نسل غر طاهر الانفاس
ملك الملوك المنتقى من معشر * هم فى الورى كالتاج فوق الراس
من آل عثمان الذين فخارهم * لم يحوه الكتاب فى قرطاس
فبه ازدهى يامصر مجدا والبسى * ثوب التشكر فهو خير لباس
أبقاك من ولاك مصر واهلها * من بعد ضرب الخمس فى الاسداس
ووقاك مما يتقى وامدنا * بك انعما وتزايد استئناس
فاقبل قصيد فتى مديحك زانها * لاما حوته من بديع جناس
من كل بيت رق جوهر لفظه * بلطيف معنى دق عن احساس
لما رقيت الملك قلت مؤرخا * مصر رقت بعزيزها عباس

١٣٣ ١٠٢ ٧٠٠ ٣٣٠

١٢٦٥

(وقال محمد افندى عبد الرازق احد المترجمين بمدرسة الالسن)

بشراك قدنلت من ايامك الاربا * هذا الحبيب بما تهواه قد قربا

محجب بالبها لا عين ترمقه * لقد جلا كرما في وصلنا الحجبا
وزار وهنا وجنح الليل يستره * ولم اكن لازديار منه مرتقبا
فقمت مستبشرا عند الوفا فرحا * اقبل الارض من اجلاله أدبا
فلا تسلني عن طيف يبشرني * لولا بشارته ناديت واحربا
اذ كل جارحة مني لها طرب * به ولا عاشق الا به طربا
ظبي من الترك فتال له خفر * اما تراه قلوب العرب قد سلبا
تغار غيد ملاح الحي قاطبة * من قده اذ سلا أرواحنا وسبا
اصاب افئدة العشاق ناظره * فهل ترى عقل صب عن هواه صبا
وما ازدرى الروض الاورد وجنته * ولا الثغور سوى ما زانه شنبا
فانظر الى وجهه والبدر يحسده * وهم غراما ودع من لام او عتبا
بدر أعار بدور الحي بهجتها * والشمس ابلاجها في الكون والشهبا
شبهته مذ بدا والبشر سيمته * بوجه عباسنا للملك منتخبا
امير كل امير سعد طالعه * بالعز قد غمر الاعجام والعربا
روى حديث الندى والعز عن سلف * مسلسلا عن عطا انساك من ذهبا
يفتر عن ثغر ندب ظل مبتسما * الى العفاة فلا حد لما وهبا
سل عن نداه بحار الارض قاطبة * والغيث والسيل والنيل الذي عذبا
فكلها في معانيها لها طرف * الى معالي نداه صار منتسبا
حتى غدا البائس العافي النزيل به * من بعد عسراه اغنى من يرى نشبا
اتى الحكومة لما عز جانبه * وقد قضى من فروض الحج ما وجبا
شريف مفخرها سام كهمته * وكامل فهي عباسية النجبا
فان زهت مصر في عهد العزيز به * وفاخرت كل امصار الورى رتبا
فاليوم عباسها عن جده خلف * ذيل الفخار على الماضين قد سحبا
فمن يكن حاذيا حذو الجدود الى الخيرات نال بعون الله ما رغبا
فاستقبل العدل في ايام دولته * ولا تخف قط في ايامه عطبا
يا خير من ام بيت الله مبتهلا * بالحزم وانبهرت اعداؤه رهبا

وخير

وخير من سار فى الآفاق سيرته * ومن عليه لواء النصر قد ضربا
وخير من شرفت مصر به وسمت * وخير من هو اعلى الماجدين ابا
وخير من حاز فضل السيف مستبقا * وخير من دبر الدنيا اذا كتبا
وخير من تعجز الاقلام اجمعها * عن وصفه بمديح جاء منتخبا
هنيت بالحج مبرورا وفزت به * ومثلك النائل المعروف اذ طلبا
سعيت والسعى مشكور الى حرم * من حجه لم يخف ضيما ولا نصبا
وطفت بالبيت منقادا لعزته * فكنت أفضل من قد طاف واقتربا
ونلت من زمزم شربا هنيت به * فكنت اكرم من فى حجه شربا
واصبحت مكة فى سوحها فرح * لما رأت من ندى معروفك العجبا
تالله ماوطئت رجلاك فى بلد * الا واخصب منه القحل واعتشبا
فكان ذا الحج مقبولا وقد فتحت * له الاجابة من ابوابها حجبا
فاهنأ به فهو مبرور وزد شرفا * بحوزك المنصب الاعلى كما وجبا
وزارة فى بيوت المجد قد قصرت * عليك كنت لديها خير من خطبا
وكنت قبل ثنيت العزم عن طلب * لها وصبرك عنها خير ماندبا
فأقبلت وخيام الفوز قد نصبت * على علاك ومدت حوله طنبا
واقبل من النظم بكرا فى امتداحك قد * تضمنت من معالى جدك النخبا
بقيت فى العز ماشادى السرور شدا * بشراك قد نلت من امالك الاربا

(وقال سيد افندى صالح)

ماجاز ذكرك فى الحشا الاوجب * فلقد قضى من فرط حبك ماوجب
مالى وللاحى ومايهذى به * مابا له يلحى المتيم ما السبب
ياقلب لا تسمع مقالة عاذل * واركض بخيلك فى ميادين الطرب
واذا نهاك فقل له متهكما * ارح الفؤاد من العنا ومن النصب
واجعل نديمك ان شربت مهفهفا * واستجل عذب لماه لابنت العنب
واخلع عذارك فى الهوى متهتكا * طلق العنان وخل فيه من عتب
واقطع بماضى العزم حجة آمر * ينهاك عن وصل الملاح ولا تهب

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

واذا صبوت فلا يصدك عاذل * عن شادن اصمى فؤادك واحتجب
ألمى كثير التيه احوى احور * تبت يدا من لامنى فيه وتب
كيف الملام ودون ما لاقيته * لم ينج من اهواله فى الحب صب
وجواد فكرى لم يزل مذ نشأتى * سباق غايات بمضمار الادب
حتى افتخرت بمدح اعلى سيد * حامى حمى اقطارنا عالى الحسب
عباس المولى المعز بأسه * للدين والحامى به دول العرب
فهو العزيز بمصره وبه سمت * وبحكمه عزت فلا تخشى النوب
وبعدله المنشور فى ارجائها * لم يبق جور وانجلت عنها الكرب
بلد على الدنيا لقد فخرت به * وبه تشرفت المناصب والرتب
افديه من مولى مليك عادل * شهم حليم للمعالى منتخب
انسى بما اعطى سماحة حاتم * ونوال معن او عرابة ان وهب
يا أيها المولى المولى مصره * من يمن جدك قد سموت ولا عجب
يا خير من أم الحجاز تطوعا * بشر الحجك للقبول قد اكتسب
يمم حمى دار الخلافة بالغا * فيها المرام كفوز جدك بالارب
دم فى المعالى راقيا رتب العلا * فالى علاكم ينتهى شرف النسب

وقال حسن افندى رضوان احد تلامذة درس الفقه بمدرسة الالسن تهنئة لسعادة افندينا ولى النعم عباس باشا

برق الحجاز له قلب المشوق صبا * ام عطر نجد به ازداد الشجى وصبا
ام نسمة من منى فاحت بجانبه * فهام من عرفها نحو الحمى طربا
ام طلعة لخيالك البهيج بها * غدا الفؤاد من الاشواق مضطربا
يا طلعة البدر رفقا بالمشوق فقد * ابدى الغرام به ما يوجب العجبا
جسم ضعيف واجفان مقرحة * من السهاد وقلب فى الهوى وجبا
عطفا عليه ولو بالطيف ان به * وجدا تحمل منه قلبه لهبا
لله الحاظ جفن منك ما طلبت * قلبا الى الحب الا نالت الطلبا
وعذب شهد رضاب كالرحيق غدا * برشفه قد ملأت الخمر والحببا

وقامة

وقامة فضحت غصن النقا ميلا * فكل عدل رآها عاقله سلبا
من لى بجاب وصال طالما فقدت * بسلبه انفس لم تبلغ الاربا
كيف الوصول وواشى المسك يوقعنا * مع الرقيب ونور الوجه ما احتجبا
ارى رسولى اليها بالوفاء اتى * مخبرا أن وعد الوصل قد قربا
ان طال هجرك لا تخشى صدود فتى * يرى عذابك فى اهل الهوى عذبا
كم طاردتنى عذال وكلهم * جوادهم فى طراد العاشقين كبا
يا عاذل الصب فى ذل المحبة هل * شربت من كاسه مثل الذى شربا
دعنى وشوقى انى فى محبتهم * من بعدهم قد عشقت العلم والادبا
وكنت قبل ارى الايام تظلمنى * والآن قد وضعت عن كاهلى النصبا
واليوم اضحت ثنايا الدهر باسمة * نحوى تشير بكف العز مختضبا
واستبشر الناس اذ فى عصرهم وجدوا * لواء عباسهم بالملك قد ضربا
هو الحليم ووصف العدل شيمته * عباس ذو البأس مهما حاول الغضبا
سلالة الفخر انساب مطهرة * كريمة الجد من ذا يجهل النسبا
هم الذين لهم فى الحكم مرتبة * لم يعطها قبلهم من حاول الرتبا
عصابة شمسهم فى الكون مشرقة * سل عنهم ان جهلت العجم والعربا
هذا الوزير الذى ان جاء سائله * لم يبق من ماله شيأ اذا وهبا
هذا الجواد فلا معن يماثله * فلا يصدك عنه عتب من عتبا
هذا الامير الذى ذلت لهيبته * كل الاعادى ولاقوا الويل والحربا
ان اشهروا الحرب لم تعمل سيوفهم * او اوقدوا نارها كانوا لها حطبا
نعم المشير الذى حازت مدائحه * فضائلا فى سناها تشبه الشهبا
مجد أثيل وعزم فى الامور له * حزم متين وكف فى الندى رحبا
قد ساد كل امير بالمفاخر اذ * فى الناس قد صار اعلاهم بها حسبا
فرع من الدوحة العلياء ان لها * مجدا به صار أعلى المنتمين ابا
حامى حمى ملة الاسلام قائدها * كالليث يردى الاعادى اينما وثبا
يا من تفرد فى عز وفى شيم * ومن بشأو المعالى نال مارغبا

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

قلدت امر الرعايا فاستعد له * ياخير من صار للاصلاح منتخبا
جاءتك منى بكر بالجمال سمت * لافضة ابتغى منها ولاذهبا
لكننى ارتجى منها اذا عرضت * أن لايكون سوى الاقبال مكتسبا
كفى فخارا ومدحا آن ذكركم * بين الانام ملا الاوراق والكتبا

ولامانع أن نختم ذلك بقصيدة الجناب المهاب * المولى الشهاب * لما انها من فرآئد هذا الباب * كيف لا ورب مارب الآداب * لتكون مسك الختام * وبدر التمام * قال لافض فوه * وكل يتحل منه او يقفوه

أجبهة الدهر زانتها حلى غررك * ام لاح يامصر فى الدنيا سنا قمرك
بشراك بالكوكب الوضاح فابتهجى * واقض الامانى اذ جاءت على قدرك
هذا الحفيد السعيد الجد طالعه * فى امنه بالكرى عوضت عن سهرك
ناهيك بالقسور العباس من اسد * يحمى الحمى وهو مستول على سررك
اليه آلت امور الملك قائلة * مرنى تجد خير من يأتى بمؤتمرك
نعم الحليم الذى قالت مراحمه * كفى بحلمى افتخارا عند مفتخرك
ياصاح عش عيشة فى حكمه رغدا * لقد منحت الغنى من بعد مفتقرك
وانظر الى ماترى من حسن سيرته * تشهد محاسن منها مجتلى نظرك
تهيا زمان بعباسى دولته * قد طاب فى روضها الزاهى جنى ثمرك
واستجلها دولة ايامها ابتسمت * ثغورها وغدت تفتر عن دررك
وقل ايا ملك الاسعاد دمت لنا * والحظ من جندك السامى ومن وزرك
طالت لياليك والعلياء خادمة * والدهر سمح بما تهوى مدى عمرك
نور على نورك الباهى المضىء ابدا * وأنت فى جحفل الاسنى ومعتمرك
فأشرقت مصر واختالت به وزهت * فقيل نلت المنى وازددت فى خفرك
هذى تباشيره قالت مؤرخة * الملك صار قرين الحج فى سفرك

١٣١ ٢٩١ ٣٦٠ ٤٢ ٩٠ ٣٦٠

١٢٦٤

ولما

ولما قدم من دار السعادة العلية حائزا رتبة الصدارة العظمى السنيه وتزينت مصر المحروسه لقدوم طلعته المأنوسه قلت مؤرخا للزينة

يا ايها الصدر أقبل * واشرح بمصر صدورا
وأنت ياسعد أرخ * زينت مصرا سرورا
٤٦٧ ٣٣١ ٤٦٧
١٢٦٥

(وقلت ايضا فى التهنئة بالقدوم)

لازلت تسمو فى الفخار وتعظم * فلأنت صدر فى الوزارة اعظم
نهضت بك العلياء من مصر الى * اسـتانة بفم الموالى تلثم
ياحبذا دار السعادة مقصدا * هى كعبة كل اليها يحرم
حرم به ملك الملوك اجلهم * خاقان اهـل الخافقين الاكرم
حرم به ظل الاله على الورى * حامى حماة الدين ليث ضـيغم
فدخلت فى ذاك الحمى متباسمنا * ويحفك الاقبال أين تيمم
ودنوت من عالى الجناب مؤديا * من واجب التشريف مايتحتم
بصدارة عظمى حظيت عناية * والصدر مشروح وسعدك يخدم
يوم الضيافة مهرجان حافل * هـل ثم عيـد مثله او موسم
حسن التوجه منه صار كرامة * صدر سواك بمثلها لايكرم
سطعت بك الانوار ياقمر العلا * حتى ازدهت بالنور حولك أنجم
الهام باشا ناجب من ناجب * من طيب غرس اصوله هو ملهـم
ماانجز الاقبال نحولك وعده * الا وأعجز وهـم من يتوهـم
هى منة المنان فاشكر فضـله * هى نعـمة الرحمن جـل المنعم
ما كل ساع يدرك العلياولا * داع يجاب لما دعاه ويغـنم
ياايها المولى المولى مصره * كل يظن الخير فيك ويعشم
كل تفاءل بالنجاح وبالهنا * حسـبان جدك صائب لايثلم
جد رأى فيك الشهامة فى الصبا * اذ أنت مغرى بالمعالى مغرم
جد توسم فيك تبلغ شأوه * فبلغتـه لاخاب فيـك توسـم
جد تفـرس فيك تقفواثره * ولطالما أمسى به يـترنم

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

اذا أحسنت فيك الفراسة رأيها * فدليل حسن الظن فيك مسلم
رحم خطير القدر منك وصلته * وبمثله أنت الأبر الأرحم
طوقت اجياد الاماجد بالندى * كل بجودك واثق مستعصم
رأى سديد للسداد موفق * باع مديد بالسخاية تكرم
وسما بك الدين الحنيف جلالة * فالدين اذ ترعاه دين قيم
لك همة هام الكواكب دونها * لك عزمة هى غارب لا منسم
ان اضمرت ود العزيز نفوسنا * سر الضمير يكاد يظهره الفم
وان اشتكت مصر نواه برهة * وغدت لبشرى عوده تتبسم
فمع السيادة والسعادة سائر * ومع الكرامة بالسلامة يقدم
هو خاطب العلياء وهى تسومه * هو طالب الجوزاء وهى السلم
شهم جلا فى قاب مضمار العلا * سهم السباق فحاز ما لا يسهم
لا ينكر الركن اليمانى يمنه * ونداه يعرفه العذيب وزمزم
شد بيت مجدك بالهناء مؤثلا * هذا بناء مثل عدلك محكم
ان شدت فيك قصائدى انشدتها * درر الغير لك لا تكاد تنظم
ان صادفت منك القبول فسعدها * فى ظل افنان القبول مخيم
دم فى جليل الملك واحكم واحتكم * لا زلت تسمو فى الفخار وتعظم

(وقال ابراهيم افندى مرزوق)

أتى يحمل البشرى بنيل مرام * بشير التهانى من بعيد مرام
فعم الورى بشر تضوع نشره * فأزرى برياً مندل وبشام
وفازت بحمد منه عاقبة السرى * بما كان من مجد ورفع مقام
فنعم اغتراب غارب المجد حامل * به كل عز فى أعز سنام
ويا حبذا اسفار فخر وسودد * يلازمها الاقبال كل لزام
فكم أسفرت اسفاره عن مراتب * كما لاحت الأقمار غب غمام
فهم طربا يا قلب واغنم مسرة * وأبد من الأشواق كل غرام
فقد زينت اقطار مصر وشرفت * بصدر رحيب الصدر خير همام

بصدر

بصدر أثيل المجد حاز طريفه * وتالده عن طاهرين كرام
بصدر العلا ليث الوغى قد تعززت * وألهمت الاسعاد بالشبل الهام
سلالة مجد أبدته يد العلا * تحوز رفيع المجد غب فطام
وليدهم يسمو به كل منصب * وجدّهم للخير خير امام
فكم زان عباس من المجد والعلا * ومن همم فوق السماك عظام
وزير نشا بين المكارم والعلا * ترى للذكا فيه وميض ضرام
فعن بشره سل من وفود نواله * وعن بأسه من ذابل وحسام
هو الصدر عباس اجل مملك * روى جوده فى الارض كل أوام
يسابق للعليا ويحرز شأوها * ويبدو له فيها مزيد هيام
فاكرم به من ماجد وابن ماجد * يقوم بدين الله اىّ قيام
فللدين والخيرات منه قوامه * وللملك والدنيا اعز قوام
رعاه الذى استرعاه امر عباده * وأبقاه غيث الجود غوث انام
له نظر سام ورأى مسدد * ترى منه للاسلام أشجع حامى
فلا زال فى عز منيع وسودد * تسرّ العلا منه برعى ذمام
ولا زال محفوظ الجناب ممتعا * يقاد له مستصعب بزمام
فيا لائما فى جوده لعبيده * الام ملام واكتساب اثام
ترى الجود طبعا فيه ليس بمقصر * مدى الدهر عنه بازدياد ملام
فدعنى ونفسى والقوافى ومدحه * وبثّ ثناه اويحم حمامى
فقد صار مدحى فيه سكرى مصبحا * ومغتبقا لامن كؤوس مدام
فلو شمتنى انشدته المدح خلتنى * ارى الدهر عبدى والزمان غلامى
وقلت أهنى ملك مصر مؤرخا * فبشراه عباس أتى بسلام

٥٨٨ ١٣٣ ٤١١ ١٣٣

١٢٦٥

فبشراه ممدوحا وبشراى مادحا * بابهى نثار فى بديع نظام
وما الشعر فنى والمديح وانما * يشرّف مدحى للوزير كلامى
وما بخل مثلى بالمديح وبالثنا * وجودك خلفى زائد وأمامى

قدم للمعالى فوق رأسك تاجها * عزيزا مهابا سعد جدك نامى
وحسن ابتدائى فى مديحك عاطر * تضوّع رياه بمسك ختام
وما هو الا كالنسيم لطافة * أتى يحمل البشرى بنيل مرام

(وقال السيد افندى صالح)

هات اسقنى من شفاه سكريات * فقد صفا الوقت وازدادت مسراتى
وبشرت باللقا ورق مطوّقة * فجدت بالروح للورق البشيرات
وكم كتمت غرامى خوف ذى عذل * فباح شوقى بأسرارى الخفيات
وكم سترت الهوى كيما اغالطه * فدل حالى على مافى طوياتى
علام تعذل فى ظبى يغازلنى * من قده بعوال سمهريات
مهفهف قد روى عن سحر مقلته * هاروته نفثات بابليات
اغاران قال عوّادى فديت وما * ابغى الفدا من ضعيفات قويات
سود اذا مارنت اصمت وما ظهرت * من الجفون ظهور المشرفيات
وكيف يجدى ملام فى هوى رشاء * سبى الورى بحلاه اليوسفيات
ام كيف يسلوه مفتون بطرّته * وعنبر فى خدود عندميات
ومبسم جوهرى طيب نكهته * من طيب اخلاق والينا الزكيات
هو الحفيد حليف العدل ناصره * عباس الآصفى رب المبرّات
صدر صدارته العظمى له صدرت * من ذى المآثر سلطان البريات
عزيز مصر ومولاها الذى قمعت * اسياف آرائه خطب الملمات
فيا له من امير طاب عنصره * اذل بالعزم آنافا ابيات
دار الخلافة لما زارها فرحت * وقابلته بأنواع التحيات
ونال ما نال من عز ومن شرف * اربى سناه على الزهر المنيرات
وهنئت مصرنا الغرا بطلعته * وبره وسنيه الكسرويات
هذا الوزير الذى انسى ابن زائدة * وحاتما بالمبرات الجزيلات
هذا الذى لم يزل للعدل ينشره * حتى غدا الجور مطوى السجلات
يا مصر تيهى برب المجد واغتفرى * للدهر من اجله كل الاساآت

لان

لان تشرف اقوام بمرتبة * لما رقوها وسادوا بالمقامات
فواحد الدهر مولانا به شرفت * مناصب قد سمت فوق السموات
والدهر جاد على مصر وساكنها * بأسمح الناس من ماض ومن آتى
كل يهنى بهذا الداورى رتبا * تزان منه بأخلاق حميدات
واصبحت مصر فى عز وفى ترف * بعدل رب السجايا العادليات
وانشدت صدرها لما ألم بها * هنئت بالفوز من دار السعادات
وهاك منى عروسا بالحلى ابتهجت * من حسن مدحك لاحسن الجناسات
وكيف لا ولها يا سيدى شبه * بطيب اخلاقك الغر الندبات
ترجو القبول وقد جاءتك منشدة * هات اسقنى من شفاه سكريات

(وقال مصطفى افندى رضوان من تلامذة مدرسة الالسن)

علل بذكرى ناعس الاجفان * قلبى فقد صحت به أشجانى
عربية ألفاظه هندية * ألحاظه وتقول يا السنان
فلكم لها بذوى الصبابة معرك * ولكم لها وقع بكل جنان
ومراشف قد اخجلت كاس الطلا * ومعاطف ازرت بغصن البان
وشمائل حكت الشمول ولفتة * فضحت جمالة لفتة الغزلان
دع عنك جلباب التورع والحيا * وانثر على سمعى عقود جمان
وأدر كؤوس سلافة من ذكره * رقت وراقت فى صفا الأدنان
اوليس أن حديثه فى مسمعى * اشهى من الدوكات للندمان
ولقد كتمت عن الوشاة صبابتى * ومدامعى لم ترض بالكتمان
كبدى على ذاك القوام حمامة * طارت جوى من شدة الخفقان
ولكم سهرت صبابة فى حبه * أرعى السهى ماحيلة الولهان
والنجم فى جو السماء كأنه * درر تنظم فى نحور غوان
ان كنت تجهل فى هواه تولهى * شغفا فشانى معرب عن شانى
واری العدالة ترتجى من قده * اوحكم عباس فتى الفتيان
صدر الوزارة والعلا بحر العطا * شرفت به مصر على البلدان

Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF IOWA

وغدت به مصر تنافس غيرها * فخرا ولا تخشى صروف زمان
سبحان من اولاه حلما قد غدت * فيه رعاياه بظل أمان
ذو هيبة ملء الصدور وصولة * عند النزال وملتقى الشجعان
شهم شمائله المروءة والسخا * بحر عباب دائم الفيضان
اراؤه مثل السيوف قواطع * آلاؤه كالوابل الهتان
لما تحلى بالفصاحة انشدت * فى مدحه الشعرا بديع معانى
يروى الوزارة عن أبيه وجده * والعدل عن كسرى انوشروان
ولكونه رب البلاغة والذكا * زفت اليه عرائس الأذهان
ان رمت أن احصى ماآثر فضله * نفد المداد وقصرت اوزانى
دم فى سماء المجد يا قمر العلا * متوشحا بالعز كل أوان
فلمصر أنت حياتها بل روحها * ولعين هذا العصر كالانسان
لما قدمت لها وقرت عينها * بالمدح أفصح عنك كل لسان
أمنت به مصر فقلت مؤرخا * بولاية العباس امن ثانى
٤٤٩ ١٦٤ ٩١ ٥٦١
١٢٦٥

ولما

ولما صادف ثانى يوم ولايته انسكاب الغيث الذى عاد بالمنافع على الزراعة المصرية * غب ما كان من العاهات والمضار الجوية والمائية * تفاءل الناس باليمن والبركة * لاهل هذه المملكة * فقلت

تقلد مصر عباس فجادت * بما فيها من الغيث السحاب

فقال الفال يحصل للرعايا * بفيض سخائه العجب العجاب

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات * والصلاة والسلام على صاحب المعجزات الباهرات * وعلى اله واصحابه *

وعترته واحبابه *

امين

وقد وافق الفراغ من طبع هذا الكتاب الجليل * المشتمل على كل وصف جميل * بدار الطباعة العامره * الكائنة ببولاق مصر القاهره * يوم الخميس المبارك رابع وعشرى صفر الخير (سنة ١٢٦٥) من الهجرة النبويه * على صاحبها أفضل الصلاة وازكى التحيه *

امين

تم

Digitized by Google Original from UNIVERSITY OF IOWA

مكتبة

Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

المجلد العربي
القاهرة - الأزهر
١٩٧٣
Digitized by Google
Original from
UNIVERSITY OF IOWA

Digitized by Google

Original from
UNIVERSITY OF IOWA

Digitized by Google

Original from
UNIVERSITY OF IOWA

Digitized by Google

Original from
UNIVERSITY OF IOWA